مكتبة النفسية

علم النفس العسكري

تأليف

أ.د. فيصل محمد خير الزرّاد

تقديم ومراجعة

أ.د. أسعد السحمراني



دار النفائس

علم النفس
العسكري

المكتبة النفسية

علم النفس العسكري

تأليف

أ. د. فيصل محمد خير الزّراد

رئيس قسم علم النفس السريري،
استشاري أول في مشافي الطب النفسي في أبوظبي (سابقاً)
عضو الأكاديمية الدولية للمعالجين النفسيين والاتحاد العالمي للصحة النفسية
أستاذ علم الشذوذ النفسي والأمراض النفسية في جامعة دمشق

تقديم ومراجعة

أ. د. أسعد السحمراني

أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي ـ بيروت

دار النفائس

علم النفس العسكري

تأليف: أ. د. فيصل محمد خير الزّراد

الطبعة الأولى: 1431 هـ ـ 2010م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 476 - 0

Publisher	نشـــر

DAR AN-NAFAES
Printing-Publishing-distribution
Verdun Str - Safiedine bldg.
P.o.Box 14-5152
Zip code 1105-2020
Fax: 009611 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194.
Beirut - Lebanon

دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14
الرمز البريدي: 2020 ـ 1105
فاكس: 009611861367
هاتف: 803152 ـ 009611810194
بيروت ـ لبنان

E-mail: alnafaes@yahoo.com

Web Site: www. alnafaes.com

مقدمة

الحرب، والقتال، والصراع، والمعارك، والنزاعات، وغيرها من المفردات لم تغادر الاجتماع البشري منذ كان أمر الله تعالى بوجود الإنسان على الأرض.

أفراد البشر متفاوتون في قدراتهم، وأفهامهم، ودوافعهم، ومقاصدهم، وأهدافهم، كما أنهم يختلفون في عقائدهم، وأفكارهم، وتتنوع انتماءاتهم، وأساليب استجاباتهم لما يتعرضون له من التحديات، لهذا كله يفزع كل فرد إلى أسلوب في المعالجة وكذلك كل مجموعة أيّاً كان حجمها.

عندما تُذكر كلمة حرب! أو قتل، وقتال، يعود الإنسان بذاكرته إلى تاريخ الإنسان في تلك المحطة الأولى مع ابني آدم: قابيل وهابيل.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة/ ٢٧ ـ ٣٠].

لقد وضعت حواء مع قابيل فتاة جميلة اسمها إقليمياء، ومع هابيل أختاً ليست كذلك، واسمها ليودا، وكان كل واحد منهما قد قدَّم قرباناً لله تعالى. فقابيل صاحب قمح قدم سنابل من أردأ زرعه، بينها سنبلة فيها حبات ففركها وأكلها، وهابيل قدّم كبشاً من الغنم، فهو يملك غنماً، وكان الكبش أجود ما في قطيعه، وقد تقبل الله تعالى قربان هابيل ولم يتقبل من قابيل.

وعندما حان موعد الزواج أبى قابيل أن يزوج إقليمياء لهابيل كما هي السُّنَّة في أولاد آدم، ولم يطع والده ولا أثر فيه زجره، وأمام هذه الدرجة من الحسد والميل والهوى حدَّثته نفسه بقتل أخيه، فرفض هابيل أن يبدأ

بذلك، وأراد أن يقول له: لئن بدأت ببسط يدك لقتلي ظلماً فما أنا بظالم. لكن هذا لا يستفاد منه ما يحاول نشره بعض المتخاذلين، أو المأخوذين بوافد ثقافي يسمونه ثقافة السلام. فالثقافة واحدة، وكلها تعطي الإنسان حق الدفاع عن نفسه وعما يخصه، وعند القرطبي في تفسيره حول الآية: «ومدافعة الإنسان عمن يريد ظلمه جائزةٌ؛ وإن أتى على نفس العادي»(١).

ولا يخفى على أحد أن مقاصد الشريعة قد وجهت إلى الدفاع، والمقاصد هي: حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ المال، وهذه المقاصد تحتاج لجهود، وإعداد، ووسائل، وأسباب، ومن ذلك المواجهة والمدافعة.

فلسفة التدافع أساسية في الإسلام، وهي سنَّة كونية حضَّ الله تعالى عليها المؤمنين الغيارى على دين الله تعالى، وشرع الله تعالى، وعلى الإنسان وكرامته، يتبيَّن ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٤٠].

قال القرطبي حول هذه الآية: «لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشِّرك وعطَّلوا ما بيَّنه أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرَّغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات... لولا القتال والجهاد لتُغُلِّب على الحق في كل أمة»(٢).

سنَّة التدافع هذه تحتاج قراراً يلتزم مشروعية الجهاد، وضرورة الحرب لمنع العدوان، ومن التزم نهج المدافعة واجبه الأخذ بالأسباب والوسائل، أي الإعداد للمعركة، لا بل للمعارك الواقعة أو المتوقعة، والإعداد أمر إلهي، فهو ضروري لأن الحرب ضرورية. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤١٣.

(٢) القرطبي م. س، ج ١٤، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

والإعداد يشمل كل القطاعات والميادين الروحية والمادية والفكرية والعسكرية والاقتصادية والفنية، والإعلامية.. إلخ.

والإعداد يحتاج، من جملته، إلى الإعداد النفسي أو ما يسمونه: التعبئة لرفع الروح المعنوية عند المقاتل ليكون مؤمناً بالأهداف، وبمهمته الموكلة إليه، وليكون مستعداً للتضحية والإقدام، وقد جاء الوحي الإلهي يأمر النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال/ ٦٥].

فالأمر هنا لرسول الله أن يحض المؤمنين ويحثهم على الاندفاع إلى ساحات المعارك بكل إقدام، وأن يتسلحوا بالثبات والصبر؛ أي الجلد والتحمُّل، والأمر كله هنا يدخل في إطار الحياة النفسية. ففعل التحريض وقعه على النفس وأثره عليها، والصبر لا يكون إلا عند مَنْ كان قوي العزيمة والإرادة، وهذان عاملان يرتبطان بالنفس وبالعامل النفسي في الحرب.

وكما أن العامل النفسي الإيجابي مهم لصناعة الانتصار من قِبَل المؤمنين، فإن الحالة النفسية المضطربة التي تتولد عند العدو تدفعه إلى الخضوع والاستسلام، وهو ما يسمى: الرعب. فالرعب يحل بالعدو ويؤدي به إلى الهزيمة النفسية كلما أتقن المؤمنون فنون الحرب، وكلما قاموا بعمليات عسكرية نوعية تزرع في نفسه الرهبة والخوف واليأس من الانتصار، إما لحشد فاجأه، أو لقدرة فتكت به فخضع واستسلم، قال تعالى: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال/ ١٢].

وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الشريفة نجد واقعة فتح مكة المكرمة التي كان للعامل النفسي دور رئيسي فيها. فالمشركون من قريش عندما رأوا جحافل الصحابة رضوان الله عليهم بقيادة النبي ﷺ سلّموا بلا قتال، وكان الحديث النبوي الشريف: (أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب).

الوجه الآخر هو حالة الانفعال التي أصابت بعض الصحابة مما دفع أحدهم، ولدواعٍ نفسية إلى القول: «اليوم يوم الملحمة»، فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالَ له: (بل اليوم يوم المرحمة، فأنا نبي الرحمة، ولست نبي الملحمة) وبذلك، إضافة إلى العبارة النبوية المأثورة التي أجاب بها القرشيين: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، حقن رسول الله ﷺ بهذا الموقف الدماء، وقد لجم التداعيات النفسية من جهة، وألَّفَ القلوب من جهة أخرى، وكلا الحالين للعامل النفسي أثر بالغ فيه.

ويدخل في موضوع الحرب بالبعد النفسي، ما يعرف بعامل المباغتة[1] الذي يُفاجأ به العدو فيرتبك ويضطرب نفسياً، ويصيبه شعور بالضعف والوهن فيسلِّم ويستسلم، أو يفرُّ من المعركة. جاء في شأن المباغتة والتعرض في كتاب: «قيادة الرسول السياسية والعسكرية»: «نقصد به مبادرة العدو بالقتال: فالمهاجم غالباً هو صاحب النصر، وهناك قول مأثور أو قاعدة عامة في القتال تقول: «الهجوم وسيلة للدفاع»، وهي بمعنى قول الإمام علي عليه السلام: «ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذُلوا». ويقتصر نصر المدافع على منع المهاجم من تحقيق أهدافه فقط، بينما يعمل المهاجم بشكل إيجابي على تحقيق أهدافه. ومن استعراض حروب الرسول ﷺ كلها نجدها تعرضية (هجومية) ما عدا غزوتين فقط هما: أُحد والخندق»[2].

والنص القرآني قد وجَّه إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات/ ٣].

إن النماذج عن استخدام الهجوم ليبقى زمام المبادرة بيد الجيش المسلم كثيرة، منها ما كان يوم فتح المدائن، وكان ذلك في شهر صفر من سنة ست عشرة للهجرة، حيث جهز سعد بن أبي وقاص وحدات من الجيش عبرت نهر دجلة «فلما رأى الفرس ذلك وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حُلوان، وكان يزدجرد قد قدَّم عياله إلى حلوان قبل ذلك،

(١) يراجع: العسلي، بسام، المذهب العسكري الإسلامي، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) عرموش، أحمد راتب، قيادة الرسول السياسية والعسكرية، بيروت، دار النفائس، ط ٣، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٧٦، ١٧٧.

وخلَّف مهران الرازي والنخيرخان، وكان على بيت المال بالنهروان، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه، وما قدروا عليه من بيت المال، وبالنساء والذراري، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والألطاف ما لا يُدرى قيمته، وخلَّفوا ما كانوا أعدُّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة... وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، وهي كتيبة عاصم بن عمرو»(١).

إن المباغتة أو المبادأة فأجات الفرس فقادتهم إلى الفرار فكانت هزيمتهم، وإذا عددنا معارك المسلمين نجد أن الحالة النفسية لجهة توافر درجة عالية من المعنويات عند المقاتلين، هي التي لعبت الدور الأساسي في تحقيق الانتصارات: «كانوا يتسابقون إلى الموت، وهو أقصى ما يمكن أن يواجهه الإنسان، لأن الرسول القائد استطاع أن يغرس في نفوسهم أن الاستشهاد في سبيل الله إنما هو انتقال إلى حياة أفضل. ويكفي للتدليل على معنويات المسلمين العالية وتسابقهم إلى الموت هذا المثال»(٢): «وقف في غزوة بدر يحرض المسلمين على القتال فقال: (والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير بن الحمام الأنصاري، وكان في يده تمرات يأكلهن: بخ، بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل)»(٣).

هذا الكتاب، الذي نقدِّم له، جديد في موضوعه، وأسلوب معالجة الموضوع، فقد جمع مؤلفه بين الاختصاص العلمي وجوانبه التقنية، وبين الثقافة العسكرية التي مكنته من متابعة الموضوع المعنون: «علم النفس العسكري»، ومعهما تطل من خلال مادة الكتاب مواقف وطنية تخبر عن هوية الكاتب وغيرته على دينه وأمته، وعن التزامه خط مقاومة العدوان الصهيوني وكل احتلال واستعمار، وهذا وجه وظيفي لعلم النفس العسكري.

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، م ٢، ص ٥١٣، بيروت، دار صادر، ط ٦، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) عرموش، أحمد راتب، م س، ص ١٨٠.

(٣) ابن الأثير، م س، م ٢، ص ١٢٦.

لقد لفت الكاتب إلى مكانة علم النفس في حياة الفرد وحياة المجتمع، كما الحال بالنسبة لعلوم أخرى لها علاقة بحياة الإنسان كعلم الاجتماع والتربية، والهندسة الوراثية (Gene) وغيرها من العلوم.

كما أن الكتاب يعرض لأنواع الحروب والمعارك التي لا يقتصر ميدانها على العمل العسكري، لأن الصراعات تتخذ ميادين أخرى، بالإضافة إلى الميدان العسكري، هي الميادين الاقتصادية والثقافية والحضارية والإعلامية.. إلخ.

والحروب قد تتخذ شكل التنافس لتوسيع النفوذ، وبسط السيطرة بواسطة الترغيب والترهيب، والنموذج القريب هو الحرب الباردة بين حلف الأطلسي، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وحلف وارسو، بزعامة الاتحاد السوفياتي السابق، والتي استمرت أكثر من أربعة عقود منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى العام ١٩٩٢.

ثم عالج الكاتب أهمية علم النفس في الإعداد والتدريب لأن التأهيل للعسكري مهم جداً قبل إنزاله إلى ساحات المعركة، مع الانتباه للحالات النفسية عند المتدرب لأن أي وضع مرضي نفسي، أو أي خلل في الحياة الداخلية للجندي تكون له انعكاساته على آرائه في ساحة المعركة، لذلك يحتاج معسكر التدريب، مع العناية بالجسد وتحصيل خبرة السلاح، إلى التأهيل النفسي، أو ما يسمى بالروح المعنوية، وأساسها الثقة بالنفس، والثقة بالمؤسسة العسكرية وقدرتها على صناعة الانتصار.

أما الفرد فهو محور الإعداد، وقطب الرحى في الجيوش، لذلك تحتاج شخصيته بعد الإعداد إلى متابعة، وتحديد معايير ومقاييس تتواصل من خلالها عمليات التقويم والقياس للوقوف على نمو كفاياته وتطورها، أو غير ذلك حال حصول أية مؤثرات سلبية قد تترك بصمات على الفرد العسكري، وقد أورد الكاتب في مادة الكتاب بعض أنواع الاختبارات التي تصلح في هذا الباب، وهي تقنيات مهمة في الجيوش في مثل أيامنا حيث التحديات والتشابك، واتساع رقعة العلاقات بين الدول والشعوب.

هذا التدريب والتقويم والمتابعة يؤهلون الجندي، ويسلحونه بروح معنوية هي عند الكاتب: «مجموعة عوامل عقلية ونفسية تدفع الفرد نحو القيام

بسلوكات معينة إيجابية أو سلبية، هي بمثابة الطاقة والدافعية». فالذي تكون عنده روح معنوية عالية يكون شجاعاً مقداماً يؤدي مهامه العسكرية بنشاط وحيوية، ويكون واثقاً بذاته وعنده إحساس بامتلاك القوة، ومن يفقد الروح المعنوية تصيبه حالات من اليأس والإحباط والتردد، ويكون فاقداً الثقة بنفسه وقليل الحيوية.

لكل هذا اعتمدت القيادات المتصارعة الحرب النفسية كأحد ميادين الصراع، وهي تقوم على استخدام مخطط من جانب الدولة أو مجموعة دول في وقت الحرب، أو في قوت السلام لإجراءات إعلامية، بهدف التأثير في آراء وعواطف وأفكار ومواقف وسلوك الجماعات المعادية أو المحايدة أو الصديقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة.

ويتعرض الجندي وأفراد المجتمع عموماً لحالة الصَّدمة التي لا يجوز لأية قيادة أن تهملها، ولكن الاستجابة لتحدي الصدمة، أيّاً كان نوعها، لا تكون واحدة، ويقول المؤلف: «وقد ثبت من حالات الضغط النفسي (Stress) بأن الأفراد يختلفون من حيث تفاعلهم مع ظروف الكارثة، من حيث تقييمها وتقدير الأضرار المحتملة، وتتحول الكارثة إلى صدمة أو أزمة عندما تكون هناك تهديدات للحياة أو للذات، وعادة تكون هناك ردود فعل عقلية ونفسية وجسمية تظهر على شكل أعراض نفسية».

لكن أخطر هذه التحديات هي قلق الموت، إذ الدافع الفطري عند الإنسان أن يحافظ على حياته، وأن يدافع عن وجوده، لذلك يكون قلق الموت طبيعياً بحدوده المقبولة، لكنه إذا تحول إلى وسواس قد يضعف الروح المعنوية، ويؤدي إلى الإحباط.

ختاماً، نجد المؤلف قد خصص فصلاً لمسألة الاضطرابات النفسية، أنواعاً وأثراً، وهي مفيدة في معرفة الأعراض في كل حالة من الحالات، وهذا يفيد في تشخيص حالات الفرد النفسية حين يمر بمثل هذه الصدمات أو يتعرض لمؤثرات قوية وتحديات. إن الفرد المصاب بالخوف والاضطرابات النفسية، من أثر الصدمات التي لا يقوى على تحملها، قد يفرُّ إلى الكحول والمخدرات، ويتحول إلى الإدمان ليغيب عن واقعه، ويغيب

وعيه، وهذه من أخطر النتائج التي تفتك بفرد ما أو بمجموعة عسكرية وغير عسكرية.

إن هذا الكتاب يؤمن للمكتبة العربية مادة ضرورية لكل عسكري محترف، وقيادي متميز أيّاً تكن مسؤولياته.

لبنان الشمالي ـ عكار
الأحد في ١٢/٧/٢٠٠٩
أسعد السحمراني

الفصل الأول

علم النفس العسكري

Military Psychology

* أهمية علم النفس في القوات المسلحة
* علم النفس العسكري
* أسس التدريب والممارسة في علم النفس العسكري

أهمية علم النفس
في القوات المسلحة

لم يعد يخفى على أي إنسان أهمية علم النفس في الحياة، لقد شهد القرن العشرون تطورات سريعة ومهمة في مجال علم النفس، وشملت هذه التطورات كافة مجالاته وفروعه، وأصبح لا غنى لدى أي إنسان عن معرفة بعض المبادئ والأسس النفسية التي تؤثر في حياته وفي أسرته، ومهنته، ودراسته، وأعماله.. لقد سمعنا كثيراً عن التنمية البشرية، وعن البرمجة اللغوية العصبية، وعن الطاقة البشرية، وعن قدرات الإنسان الإبداعية أو الخارقة، وعن القدرة على التحكم بالذات (Self-control)، وعن اليوجا[١] والسيطرة العصبية، وعن التأمل والاسترخاء... وكلها تقنيات نفسية من السهل التدرب عليها، وتعلمها بقليل من الجهد والوقت لما فيها من فائدة كبيرة في استثمار طاقات الفرد وقدراته العقلية والنفسية والجسدية... وبشكل مفيد وفعّال، وخاصة في مجال القوات المسلحة حيث تزداد الأهمية، وتصبح الحاجة ماسّة بالمقارنة بمجالات الحياة الأخرى. لقد حاول علماء النفس والباحثون طيلة السنوات الماضية دراسة سلوك الأفراد (والجماعات)، محاولين من وراء ذلك التعرف على شخصيات الأفراد، والدوافع التي تحرِّكهم، وعوامل النجاح والفشل، والقدرات العقلية وكيف تعمل، والعادات، والاتجاهات الفكرية، والقيم، والأمراض النفسية (من قلق وخوف وتوترات ووساوس...) والانحرافات السلوكية، والمشاكل التي

---

(١) **اليوجا**: رياضة بدنية روحية أسسها رهبان الهند من الهندوس، وأخذ بها البوذيون كذلك. تقوم على رياضات قاسية بالنسبة للبدن يرافقها تأملات ذهنية، والغرض منها ملاشاة البدن وإضعافه، بغرض تطهير النفس في دورانها في الأبدان للتخلص من حياة الأبدان وتتحد بالروح الكلية الكونية فيما يسمونه: نيرڤانا.

وكلمة «يوجا» بالسنسكريتية معناها: النير. حيث يشبهون البدن بالنير الذي يقيِّد الثور عند الحراثة، وغرضها، إذن، تحرير النفس من نير البدن.

يعاني منها الأفراد، ونقاط القوة والضعف في شخصية الإنسان وفي قدراته على العمل والأداء، والإنتاج، ومستوى الرضى عن العمل أو الوظيفة، والذاكرة والنسيان، والقدرة على التفكير والانتباه والاستيعاب، والذكاء العام والخاص، ومستوى الدافعية والروح المعنوية. . . إلخ، وفي وقتنا الحاضر لم يعد هناك أي مؤسسة في العالم (الأسرة، والمدرسة، والمصنع، والشركة، والجيش، ومراكز التدريب، والمؤسسات الاجتماعية. . .) إلا وتستفيد من الأسس النفسية، ومن طاقات الإنسان من أجل تحقيق التنمية البشرية وبالتالي التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، والمهنية. . والشخصية، خاصة في ظل الضغوط النفسية، والانفعالات، ومشاكل الحياة المعقدة والصراع النفسي، وعوامل الجهل والتخلف، وضعف الوازع الديني أو الإيمان. لقد ظهر في العالم اليوم ما يسمى بعلم نفس الفضاء (Space psychology)، وعلم نفس السلام[١] (Peace psychology) والإرهاب، بالإضافة إلى علم النفس العسكري، وعلم النفس الحربي (War psychology)، وغيرها من التخصصات. . . من ناحية نلاحظ التطور الكبير الذي طرأ على مجالات القوات المسلحة في العالم، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، بالإضافة إلى التعقيدات المتزايدة يوماً بعد يوم في تطوير واستخدام المعدات العسكرية، ومن بينها استخدام الأقمار الصناعية، والصواريخ بعيدة المدى، وأجهزة الرصد المبرمجة. . . وحاملات الطائرات. . . إلاّ أن القادة العسكريين في العالم، وقادة الجيوش أدركوا الحقيقة بأن التقنية العسكرية المتطورة لا تخدم أغراض الجيوش، ولا تحقق النصر إلاّ إذا توافرت عناصر أو أفراد مؤهلة ومدربة، ومزوّدة بقدرات جسدية، وعقلية، وعلمية، ونفسية، وإيمانية عالية، وتستطيع هذه العناصر الاستفادة من هذه التقنية المتطورة، فالعنصر البشري كان وما زال مهماً في معظم جيوش العالم (اقرأ عن الهندسة البشرية)[٢]، والأبحاث العسكرية في

---

(١) علم نفس السلام (الإرهاب) هو القسم رقم (٤٨) الذي أحدثته الجمعية الأميركية لعلم النفس عام (١٩٩١).

(٢) **الهندسة البشرية (Human Engineering) الهندسة الجينية Genetic Engineering الإرشاد الجيني Genetic Counseling**: فرع من علم الأحياء يدرس عامل الوراثة وأساس التكوين =

العالم أصبحت تركِّز الآن على معرفة قدرات الإنسان، وخصائص السلوك البشري، والحالة النفسية للفرد (في زمن السلم وزمن الحرب) ولقد تطورت الدراسات في هذا المجال (على غرار ما هو حادث في الجانب التقني ومن تطور للآلة العسكرية)، وأكَّد قادة الجيوش على أن أفضل الجيوش في العالم هي التي تستفيد من تطبيقات علم النفس في دراسة قدرات الأفراد، والعمل على تنميتها، لتحقيق أداء أفضل وباستمرار. وسنشير فيما يلي إلى هذه التطبيقات النفسية والمبادئ العامة التي تمكن القارئ من الاستفادة منها، وهي حصيلة خبرة طويلة امتدت لسنوات في مراكز الأبحاث العسكرية في العالم، والتي تهتم بموضوع علم النفس في القوات المسلحة، آملين من الله عز وجل أن يلقى جهدنا هذا قبولاً لدى القارئ داخل القوات المسلحة وخارجها.

= البيولوجي للمخلوق الحي، وقد تطور هذا العلم ليدرس تفاصيل تتعلق بالجينات الفاعلة في الذكاء وفي لون البشرة والأعين، وغير ذلك.

علم النفس العسكري
(Definition of Militaty Psychology)

١ ـ تعريف علم النفس وعلم النفس العسكري

وجد القادة العسكريون من خلال تجاربهم العسكرية، وأبحاثهم العلمية خاصة في مجال الحرب النفسية[١] أو (الحرب الباردة)[٢]، أنه من الضروري التركيز على معنويات الأفراد، وإعدادهم وتدريبهم، ومن الضروري امتلاك المعرفة الدقيقة حول السلوك البشري، وقدرات الإنسان، ومهاراته في أداء المهام وتنفيذ التعليمات... مما قد يوفِّر استخدام الآلة العسكرية، أو السلاح الفتَّاك، كما يوفر مزيداً من الوقت والجهد والمال. وانتهى هؤلاء القادة إلى أن النظرة المستقبلية للحرب ستعتمد على الحرب النفسية، (والحرب الاقتصادية[٣]، ....

---

(١) **الحرب النفسية**: هي تلك الحرب التي تعتمد كل أشكال التهويل والحشد والإعلام، وشتى المظاهر التي حاول صاحب هذه الحرب الإيحاء لعدوه بأنه لا إمكانية له بالمقاومة، وعليه بالتالي أن يستسلم. إذن حرب معنوية الطابع قد يستسلم فيها طرف بسبب شعوره بالضعف والرعب، وهذا نوع من الحرب له أمثلة عديدة منها فتح مكة المكرمة حيث استسلم المشركون أمام الفاتحين، رسول الله ﷺ وصحابته، وكان الحديث النبوي: (أوتيت جوامع الكلم ونُصرت بالرعب).

(٢) **الحرب الباردة**: مصطلح أُطلق على تسابق لبسط النفوذ دولياً، كان طرفا الحرب الحلف الأطلسي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وحلف وارسو، بقيادة الاتحاد السوفياتي السابق، وقد امتدت من نهايات الحرب العالمية الثانية وبعد اتفاقية يالتا عام ١٩٤٩ إلى العام ١٩٩٢ يوم تفكك الإتحاد السوفياتي وانهار حلف وارسو، وسموها حرباً باردة لأنها استخدمت ساحات وأسلحة غير ساحات الحرب والأسلحة النارية، والأساس فيها كان الاستقطاب الدولي ونشر القواعد واتفاقيات الدفاع والمعاهدات، وغير ذلك.

(٣) **الحرب الاقتصادية**: أساسها القضاء على الإمكانات الاقتصادية للعدو لإضعاف قدراته، وهذا ينتج ضعفاً عسكرياً، إذ الأساس، كما قال عبد الرحمٰن بن خلدون في المقدمة، أن علاقة جدلية تقوم بين المال والجند، وهما عاملان أساسيان في قيام الدول وانهيارها. =

والثقافية[١]، والحضارية[٢]...)، وأن التقارب والتكامل بين التقنية العسكرية المتطورة، وبين قدرات الإنسان (العقلية والنفسية والجسدية...) من شأنه أن يعطي نتائج أفضل، كما أن تعدد المهام والتخصصات في القوات المسلحة تطلب تقويم الأفراد والتنسيق بين التخصصات العسكرية. ومن أجل وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، وفي ضوء ذلك تمَّ إعداد الأفراد عقلياً، وصحياً، ونفسياً، ومهنياً، والاستفادة بشكل أكبر من مبادئ علم النفس الذي أصبح الإطار المرجعي في مجالات الحياة كافة (المدنية والعسكرية)، كما أصبحت المعرفة بالإنسان وبالسلوك البشري، والتنبؤ بهذا السلوك، ضرورية للناس الذين يعيشون في سلسلة من التفاعلات.

إن علم النفس هو العلم الذي يدرس مشاعر الإنسان، وانفعالاته، ومزاجه، كما يدرس السلوك البشري وخصائصه (Human Behaviour) الإيجابية والسلبية، ويدرس الوظائف الدماغية مثل (الإحساس، والإدراك، والانتباه، والذاكرة، والتصورات، والفهم، والتفكير، وردود الأفعال...)، كما يدرس الأمراض النفسية والعقلية مثل الخوف، والقلق، والتوترات، والضغوط النفسية، والوساوس، وحالات الاكتئاب، والحالات العقلية،

= وقد يكون ذلك من خلال إتلاف المحاصيل أو منع وصول المياه لزوم ري المزروعات، أو منع الوصول إلى التقنية التي تساعد على التطوير الاقتصادي.

وقد تكون الحرب الاقتصادية بمقاطعة بضائع العدو ومحاصرته في الأسواق لتحصل حالة كساد تضر بإنتاجه الاقتصادي. وقد تكون بزرع الفتن والبلبلة لتوليد حالة من عدم الاستقرار تؤثر على السياحة والاستثمار وقدومه إلى البلد المستهدف بهذه الحرب.

(١) **الحرب الثقافية**: وتُعرف بالغزو الثقافي، وتقوم هذه الحرب على ضرب الهوية الثقافية لبلد بنشر لغة المحتل أو المستعمر، ومن ثمَّ نشر مفاهيم الغازي وتقاليده ومنظومته القيمية التي بسببها تتحول البلاد المستهدفة إلى عجينة طرية يشكلها الغازي كيف يشاء. وبالتالي فإن غزواً عسكرياً أو اقتصادياً يسهل طردهُ وردعه أما النجاح في الغزو الثقافي فمخاطره أبعد أثراً في ضرب شخصية من يتمُّ غزوه.

(٢) **الحرب الحضارية**: هي تلك الحرب التي يعمل فيها عدو لمنع التقدم عن عدوه، يمنع عنه كل المنجزات والتقنيات وأسباب التطور المعرفي أو الزراعي أو الصناعي. ومن نماذج ذلك سلوك الولايات المتحدة الأمريكية التي تحتكر الكثير من أسرار العلوم والسلاح والصناعة والطب وسواها لنفسها، وتريد للأمم أن تكون أسواقاً لاستهلاك ما تنتجه.

والاضطرابات السلوكية، مثل حالات الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات على العقل، وحالات الشذوذ، والجريمة، والانتحار، والحالات النفسية ـ الجسدية (السيكوسوماتية)[١]... وعلم النفس يعتمد على أسس علمية عصبية، وهو ليس نوعاً من السحر أو الخرافة أو الشعوذات، إنه علم قائم بذاته له أسسه ونظرياته وقوانينه واختباراته... وباختصار إن علم النفس هو العلم الذي يدرس السلوك البشري أثناء التفاعل مع الآخرين، كما في حالة الحرب والقتال والهجوم والدفاع... (أو كما في حالة البيع والشراء، أو الأنشطة المهنية والجماعية وقت السلم...). وفي ضوء ذلك نشأ داخل مؤسسات القوات المسلحة ما يسمى بعلم النفس العسكري (Military Psychology) وهو أحد فروع علم النفس التطبيقية في مجال القوات المسلحة، وقد اتسعت مجالات علم النفس العسكري في الآونة الأخيرة، حتى شملت أهداف هذا العلم (علاوة على بعض الأهداف السابقة التي أشرنا إليها) ما يلي:

١ ـ إجراء فحوص واختبارات لتقويم أبعاد شخصية الأفراد وقدراتهم، ومعرفة الفروق الفردية بينهم.

٢ ـ إعداد الفرد (الجديد) للحياة العسكرية.

٣ ـ وضع خطط للتأهيل والتدريب، والتعليم في ضوء نتائج التقويم.

٤ ـ تحليل المهام، والتخصصات، ومطالبها من القدرات والاستعدادات...

٥ ـ الاهتمام بالإعلام والتوعية والتثقيف النفسي ـ العسكري.

٦ ـ الاهتمام بالروح المعنوية ووسائل قياسها، ورفع مستواها.

٧ ـ الاهتمام بالقيادات العسكرية (اختيار القادة).

٨ ـ الاهتمام بالقيادة (Leadership) بشكل عام.

---

(١) **السيكوسوماتية**: مدرسة في علم النفس ترى أن كل ما يتعرض له الإنسان تكون له آثاره الجسدية والنفسية معاً، فكل أثر نفسي يترك أثراً جسدياً، وكل ما يتعرض له الجسد يترك آثاراً نفسية، ويقال عن هذه النظرية: النظرية النفسجسمية، ويسمى بالفرنسية **Psychophysiologie**، أي دراسة العلاقات بين الواقع النفسي والحركات البدنية العضوية.

٩ ـ مفهوم العقيدة.

١٠ ـ الاهتمام بالتنمية البشرية، والهندسة البشرية.

١١ ـ الحرب النفسية وأبعادها.

١٢ ـ أساليب الدعاية والإشاعات.

١٣ ـ سيكولوجية التمويه والخداع.

١٤ ـ سيكولوجية التحقيق.

١٥ ـ سيكولوجية الأسرى والمعتقلين واستجوابهم، وحقوقهم.

١٦ ـ سيكولوجية الاستطلاع، والاستخبارات والتجسس.

١٧ ـ سيكولوجية العنف والإرهاب والسلام.

١٨ ـ أساليب غسيل الدماغ (Brain Washing).

١٩ ـ تحليل خطط العدو وأيديولوجيته، وقراراته.

٢٠ ـ قياس الرأي العام، والاتجاهات، والتعصب، والعنصرية...

٢١ ـ الصحة النفسية وإصابات الحرب النفسية والعقلية والسلوكية، وتشمل:

أ ـ عصاب الحرب، والمناعة النفسية.

ب ـ الضغوط النفسية (Stress).

جـ ـ اضطراب ما بعد الصدمة للمحاربين (P. T. S. D).

د ـ حالات الخوف والذعر، والقلق.

هـ ـ الاكتئاب.

و ـ الفصام(١).

ز ـ الشخصية الضد اجتماعية (السيكوباتية)(٢).

---

(١) **الفصام** **Schizophrenie**: حالة مرضية تكون الشخصية معها مفككة، وفاقدة التكيف مع الواقع. ومن عواملها استعداد فطري لدى أفراد عندهم حساسية مفرطة وانطواء، والفصام تكون معه ازدواجية الشخصية.

(٢) **السيكوباتية**: الاعتلال النفسي Psychopathie: كل شكل من تنظيم الشخصية يتجلّى =

ح ـ الاضطرابات السلوكية (الإدمان، الجريمة، والانحرافات الجنسية والانتحار).

ط ـ أساليب العلاج النفسي والسلوكي، والتدريب على التأمل، ورياضة اليوجا، والاسترخاء، والسيطرة على الذات، والبرمجة اللغوية العصبية (N. L. P)، والعلاج السلوكي ـ المعرفي، والعلاج بالأدوية... إلخ.

ي ـ إصابات وإعاقات الحرب (العلاج النفسي والتأهيل).

ك ـ مهام أخرى.

يضاف إلى ذلك إجراء البحوث العلمية النفسية ـ العسكرية. وباختصار، يمكن القول بأن علم النفس العسكري يهتم بدراسة العلاقة القائمة بين الفرد العسكري، والمعدات العسكرية، والمشاكل النفسية والعقلية والسلوكية المترتبة عن هذه العلاقة، وذلك عملاً بمبدأ أن استخدام التقنية العسكرية الحديثة يبقى مرهوناً بحدود الإمكانيات والقدرات البشرية المتوفرة.

ويعرِّف بعض علماء النفس علم النفس العسكري بأنه فرع من فروع علم النفس الاجتماعي والذي يعتمد بدوره على مبادئ علم النفس العام (General Psychology)، ويهتم بدراسة التفكير والتعليم والذاكرة والانفعال... ومع تطور الدراسات والأبحاث النفسية، والتجارب، والنظريات السلوكية والتحليلية والمعرفية... اتسعت فروع علم النفس، وظهر علم نفس الفارق، وعلم نفس النمو، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم نفس الشواذ، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الصناعي والتجاري، وعلم النفس الجنائي، وعلم النفس القضائي، وعلم النفس الفضائي، وعلم النفس السياسي، ومؤخراً علم النفس للسلام، وعلم نفس الإرهاب والعنف والعدوان، وعلم النفس العسكري الذي يهتم في الموضوعات التي ذكرناها آنفاً بالإضافة إلى الموضوعات التالية والتي أصبحت، حديثاً، مجال اهتمام القوات المسلحة والقادة العسكريين في العالم.

= برقابة انفعالية سيِّئة، واندفاعات وتصرفات على هامش المجتمع أو معادية له، ناجمة عن حاجة لا تُقاوم إلى إشباع رغبات مباشرة. والسيكوباتي يكون متمرساً بالجريمة، وتضعف مسألة الضمير عنده.

١ ـ فهم سلوك المقاتل أو الجندي وتفسير هذا السلوك، والتحرّي عن أسبابه، وتقويمه..

٢ ـ التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه مستقبلاً في زمن السلم وزمن الحرب.

٣ ـ ضبط سلوكه والتحكُّم فيه بتعديله وتطويره...

ويستتبع ذلك الحقائق التالية:

أ ـ فهم الدوافع الحقيقية (Motives)، أو الدوافع الزائفة التي تحرك الفرد العسكري.

ب ـ فهم نواحي القوة والضعف في شخصية الفرد العسكري، وما لديها من قدرات واستعدادات خافية عنّا.

جـ ـ معرفة أسباب ما يظهر من سلوك الزملاء من انحراف ولاسواء.

د ـ الكشف عن العوامل التي تفسد التفكير، أو تعطِّل عملية التعلم لدى الفرد.

هـ ـ وضع كل فرد في القوات المسلحة في المكان المناسب لقدراته وشخصيته.

و ـ تدريب الأفراد بالطرق العلمية على إتقان أعمالهم (Mastering of Learning) في أقصر وقت ممكن، وأقل جهد، وأقل أخطاء...

ز ـ تعزيز (Reinforcement) وتدعيم الروح المعنوية، والحماس، والدافعية للإنجاز لدى الأفراد، ومقاومة الحرب النفسية بأشكالها المختلفة.

لقد نشأ هذا العلم (علم النفس العسكري) في الغرب حيث أدت الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، إلى حق القادة العسكريين والاستراتيجيين[١] إلى الاعتماد على خدمات المختصين الاجتماعيين والنفسانيين، فعلى سبيل المثال: لفت نظر القادة أثناء الحرب كثرة حوادث

---

(١) **الاستراتيجية Strategy**: مصطلح كان استخدامه بداية للعمل العسكري، وهو اعتماد خطط وبرامج من خلال خطوات متناسقة ومتكاملة والغاية هي إنجاز مشروع محدد تحديداً دقيقاً أو أهداف واضحة ومرسومة بدقة متناهية... وقد توسع استخدام المصطلح بحيث بات يقال: الاستراتيجية التربوية، والاستراتيجية الاقتصادية.. إلخ.

الطيران الحربي التي كانت تعزى للمصادفة، فقام علماء النفس لدراسة هذه الظاهرة، وسرعان ما عرفوا بأن مهنة الطيران تتطلب استعدادات خاصة لم تكن متوافرة لدى معظم الذين كانوا يتورطون في هذه الحوادث، وهنا برزت أهمية استغلال الطاقة المعنوية إلى جانب التدريب والطاقة المادية. لذلك كان واضحاً أمام القادة بأن الجندي لا يستطيع القتال في أي ظروف إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار القدرات والاستعدادات الكامنة في النفس، وهذا الذي يحدد نتائج المعركة من نصر أو هزيمة، ومثالنا على ذلك ما نشاهده على الواقع من أن مجموعة صغيرة تتفوق على قوة معادية كبيرة، والسبب هو ارتفاع الروح المعنوية، وامتلاكها إرادة القتال (كما حدث مع المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية التي انتصرت على النخبة من القوات الجوية والبرية والبحرية في جيش العدو الإسرائيلي وقواته الخاصة (لواء الغولاني) في تموز يوليو/ ٢٠٠٦م).

أسس التدريب والممارسة
في علم النفس العسكري
(Training and Practicing Basics)

التدريب عملية منظمة تهدف إلى إحداث تغييرات مرغوبة في سلوك الفرد وخبراته من أجل تحقيق هدف، وهي تتضمن مجموعة من الإجراءات تحدث بين عدد من الأطراف أهمها المدرِّب والمتدرِّب، وهذه الإجراءات لا تحدث بشكل عشوائي بل بشكل مخطط له مسبقاً. ويرى بعض علماء النفس بأن التدريب يتضمن إحداث تطوير متكامل في شخصية الفرد جسمياً وعقلياً ونفسياً وسلوكياً، لدرجة إتقان الأداء وتنمية المهارة في العمل والإنتاج أو في أداء المهام. وقد أُجريت حولَ عملية التدريب عدة دراسات توصَّل الباحثون من خلالها إلى الكشف عن طبيعة عملية التدريب، والعوامل المؤثرة فيها، مثل قدرة المتعلم أو المتدرِّب وصفاته الشخصية، والطرق المناسبة لتدريبه، ولضمان أفضل تدريب، مع إثارة اهتمام ودافعية المتدرِّب، وانتباهه، ومستوى نموِّه المعرفي والعقلي، مع تحديد طرق الاتصال الفعالة بين المدرب والمتدرب، وكذلك تحديد طرق قياس وتقييم عملية التدريب، وقد وجد بأن من العوامل المؤثرة في عملية التدريب ما يلي:

١ ـ خصائص الفرد المتدرِّب وذلك لأن الأفراد المتدربين متعاونون من حيث قدراتهم العقلية والجسدية والنفسية، كما يختلفون في اتجاهاتهم ودوافعهم وميولهم نحو عملية التدريب.

٢ ـ خصائص شخصية المدرِّب: مثل كفاءة المدرب وذكائه وقيمه وخبرته.

٣ ـ مستوى التفاعل بين المدرِّب والمتدرِّب، مما يؤثر في نتائج التدريب.

٤ ـ الإمكانات المادية والوسائل المتوافرة لعملية التدريب.

٥ ـ موضوع التدريب ومدى تنظيمه، وإجراءات التدريب العملية.

خصائص

أهداف التدريب ← الفرد المتدرِّب ← الأساليب والطّرائق ← تقويم التدريب

الظروف المساعدة على عملية التدريب

١ ـ الاستعداد للتدريب (Readiness): ويقصد بذلك مجموعة الصفات الموجودة لدى الفرد المتدرب، والتي تعمل على تسهيل عملية التدريب أو إعاقتها.

٢ ـ النضج الجسمي والعضوي (Maturation): إن عملية تدريب الطفل تختلف عن الراشد، وعنه لدى الكبير أو المسن، وذلك بسبب عوامل النضج والنمو الجسدي، والعقلي، والنفسي، والسلوكي، والاجتماعي... إلخ. إن العديد من الدراسات تؤكد على وجود تأثير للنضج لتحديد فعالية التدريب.

٣ ـ الخبرة السابقة لدى الفرد المتدرب: إن أية عملية تدريب أو تعليم تعتمد على ما اكتسبه الفرد سابقاً من مفاهيم وخبرات وحقائق أو معاني وقيم وعادات... إلخ.

٤ ـ مستوى الدافعية للتدريب (Motivation): وهو مجموعة الظروف الداخلية والخارجية لدى الفرد المتدرب والتي تدفعه نحو القيام بسلوك ما لتحقيق هدف، فالدافعية تحرك وتنشط الفرد وتوجِّه سلوكه، وتحافظ على استمرارية الفرد المتدرب على الانتباه والتركيز والاهتمام طالما أن عملية التدريب قائمة. ويرتبط مستوى الدافعية بالاتجاه نحو عملية التدريب، فمستوى الدافعية المرتفع يجعل اتجاه الفرد نحو عملية التدريب إيجَابياً، والعكس.

٥ ـ العلاقة أو الروابط الموجودة بين عمليات التدريب: حيث يمكن الاستفادة من عمليات تدريب سابقة، وما اكتسبه الفرد من مهارات أو أعمال في تدريبات جديدة أو لاحقة.

٦ ـ معرفة المتدرب لنتائج تدريبه (معرفة النتيجة) (Feedback or Knowledge of Results): لقد ثبت من الدراسات أن الأفراد الذين يتدربون على أداء مهارة أو عمل ما، ويتلقون معلومات باستمرار عن نجاحهم أو

فشلهم قد أظهروا تحسناً ملموساً في عملية التدريب من حيث الإتقان والمهارة والاقتصاد في الجهد والوقت، وبالعكس. وتبيَّن بأن معرفة نتيجة التدريب تزيد من تسهيل وتسريع عملية التدريب والتعليم وتقلل من الأخطاء.

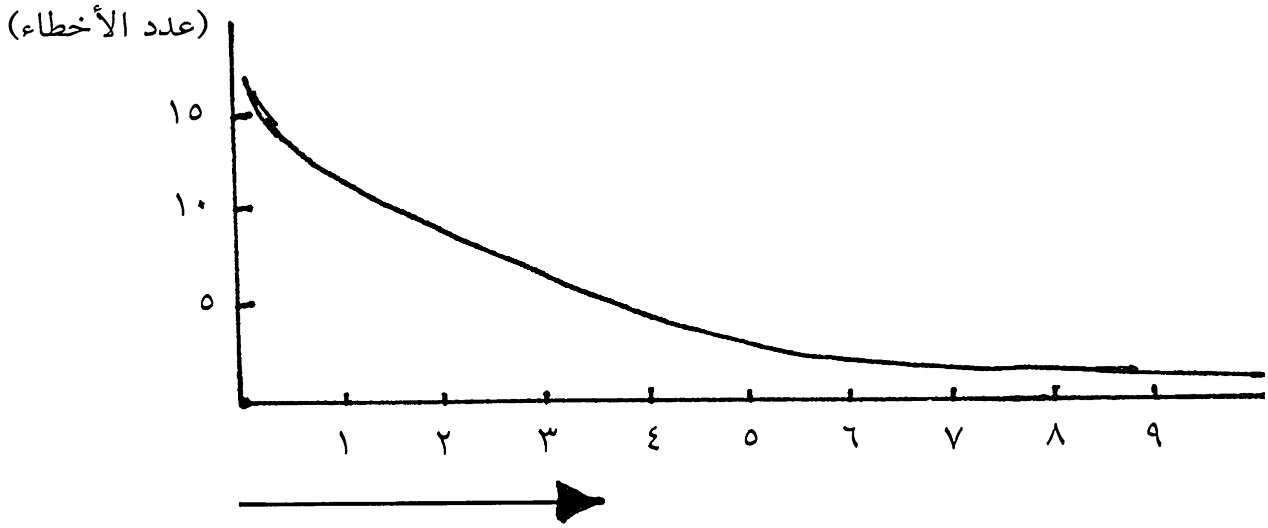
٧ ـ التعزيز أو الإثابة (Reinforcement): إن عملية التعزيز أو الإثابة (وكذلك العقاب) تؤثر على عملية التدريب، حيث إن التعزيز أو المكافأة تشجِّع على التدريب، وتزيد من كفاءة المتدرِّب، ومستوى الأداء لديه، بينما عملية التأخير أو إهمال التعزيز يضعف من كفاءة الفرد على التدريب والاستيعاب أو الاهتمام...

التدريب الموزع والتدريب المكثَّف

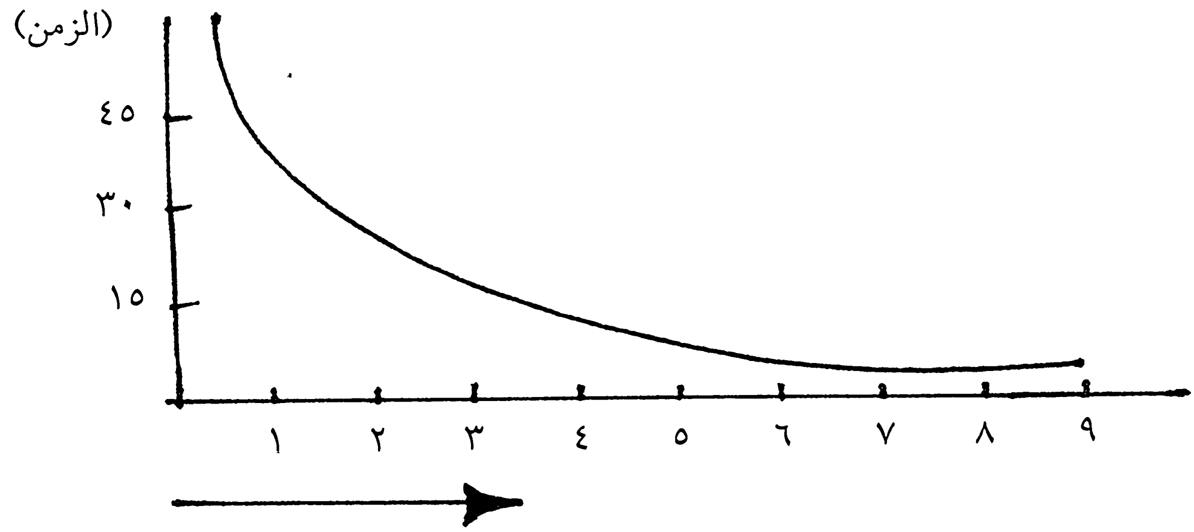
(Distributed Practice) and (Massed Practice)

إن عملية التدريب تتم على مراحل أو على خطوات تنتهي بإكمال عملية التدريب، أو إتقانها (Mastering)، وقد تبين من خلال الدراسات العلمية بأن أية عملية تدريب تتم على مراحل يتخللها فترات من الراحة أو الاسترخاء تثبت لدى الفرد، وتقاوم عملية المحو أو النسيان وتحافظ على مستوى أداء رفيع لدى الفرد. ومما لا شك فيه بأن الاستراحة التي تتخلل عملية التدريب تعمل على تجديد نشاط الفرد وزيادة انتباهه وتركيزه واستيعابه لما يتدرب عليه، ولقد لوحظ بأن مراحل التدريب المتتالية والموزعة أو التي تكون بفواصل، يصاحبها نقصان في عدد الأخطاء، وكذلك نقصان في الزمن الذي يستغرقه الفرد خلال فترة التدريب، مع الاحتفاظ بمشاعر إيجابية لدى الفرد المتدرب بعيداً عن الإحساس بالملل أو السأم أو ما شابه ذلك. والشكل التالي رقم (٢) يوضح محاولات التدريب الموزع وعلاقتها بعدد الأخطاء وبالزمن المستغرق.

أمّا التدريب المكثَّف الذي لا يتخلله فترات للاستراحة أو لتجديد النشاط ولمقاومة السأم والتعب وما شابه ذلك، فقد ثبت بأنه أقل فائدة من التدريب الموزع من حيث الاحتفاظ بالمادة التي يتدرب عليها الفرد، ودرجة الإتقان أو المهارة، وكذلك من حيث الزمن المستغرق، وعدد الأخطاء التي تزيد في حالة التدريب المكثَّف.



شكل (١) (محاولات التدريب)



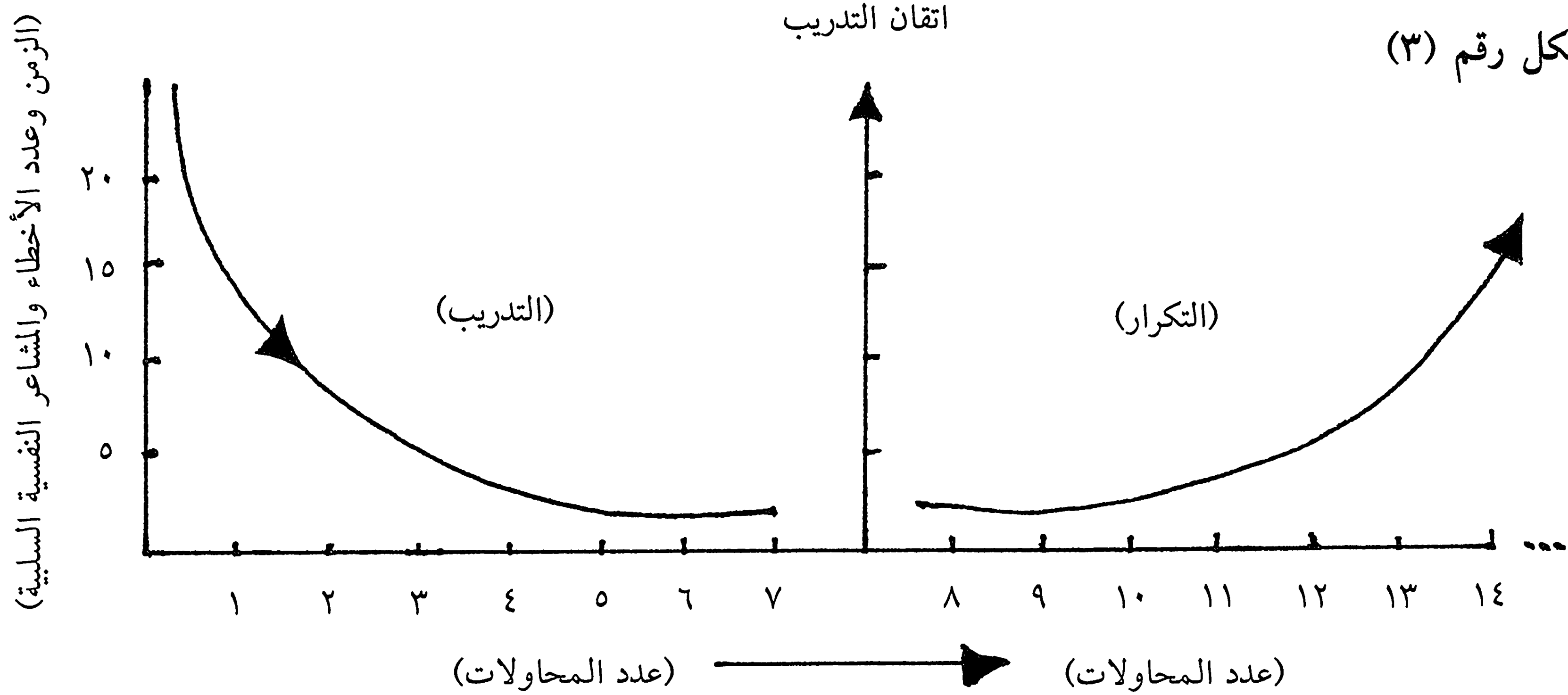
شكل (٢) (محاولات التدريب)

من ناحية أخرى، هناك بعض المفاهيم التي يتناقلها الأفراد وهي أن عملية التكرار (Repetition) هي مفتاح التدريب أو التعليم، ولكن الدراسات العملية لم تؤيد ذلك، حيث ثبت بأنه قد يكون هناك تكرار آلي غير هادف من دون أن يحصل تدريب أو تعلم، كما أن التكرار لمرات قليلة لا تؤدي إلى التعب أو الملل النفسي مع دافعية ذاتية يفيد نسبياً. إن العديد من الأفراد يضربون على الآلة الكاتبة لسنوات من دون أن يتحسن مستوى الأداء لديهم، كما أننا نعلم بأن مستوى الأداء أو الإتقان يضعف تدريجياً لدى

الفرد إذا قام بتكرار سلوك معين لدرجة كبيرة، وبعد أن يكون هذا الفرد قد تدرَّب على هذا السلوك وأتقنه خلال عمليات التدريب السابقة. والإتقان هنا يعني قدرة الفرد المتدرب على إعادة ما تدرَّب عليه وبشكل صحيح مرَّة واحدة على الأقل وبدون وجود مشرف أو مدِّرب وبأقل قدر من الزمن والأخطاء. مثلاً لو طلبنا من فرد ما رسم زاوية حادة (٢٥°) عشر مرات أو أكثر وزودناه بالوسائل اللازمة، فإننا نلاحظ بأن هذا الفرد ما أن يصل إلى رسم الزاوية العاشرة إلاّ ويشعر بالملل والتعب وضعف الدافعية والنفور من الرسم، كما أننا إذا قسنا الزاوية المرسومة (أي مستوى الأداء) في المرة العاشرة فإننا نجد بأنها أقل أو أكبر من (٢٥°)، وكذلك كلنا يعلم بأن المعلم، أو المدرِّب إذا أراد عقوبة فرد ما طلب منه تكرار كتابة الوظيفة عدداً كبيراً من المرات، أو القيام بسلوك ما لدرجة النفور أو الإعياء... والمهم هنا ليس عملية التكرار ذاتها بل أيضاً ما يصاحب هذه العملية من مشاعر سلبية، بالإضافة إلى أن عملية التكرار تزيد من الجهد ومن الوقت المستغرق وأيضاً من الأخطاء، لهذا فإن التكرار لا يُعتبر عاملاً هاماً في مجال التدريب (وذلك بعد إتقان الفرد لعملية التدريب). إذن يمكننا، عن طريق التحكم بالعوامل المصاحبة للتكرار، زيادة مستوى أداء الفرد أو إضعافه. والشكل التالي رقم (٣) يميِّز بين عمليتي التدريب والتكرار.

وباختصار، هناك فرق بين عمليتي التكرار والتدريب، والتدريب يعتمد على دافعية الفرد المتدرِّب وعلى طريقة التدريب، ومعرفة المتدرب لنتائج تدريبه، وكذلك على العوامل السارَّة أو غير السارة المصاحبة لعمليتي التدريب والتكرار أو التعلم بشكل عام.

شكل رقم (٣)



١ ـ زيادة الزمن المستغرق في المحاولة.
٢ ـ زيادة الأخطاء تدريجياً.
٣ ـ ظهور المشاعر النفسية السلبية.
٤ ـ ضعف مستوى الأداء.
٥ ـ ضعف الاحتفاظ بالذاكرة بسبب عوامل الكف.

١ ـ نقصان الزمن تدريجياً حتى يتم تحقيق أفضل زمن.
٢ ـ نقصان الأخطاء تدريجياً.
٣ ـ الفرد بقي محافظاً على نشاطه ودافعيته.
٤ ـ تحسُّن مستوى الأداء مقاساً بالزمن، وعدد الأخطاء، ودافعية الفرد.
٥ ـ الاحتفاظ في الذاكرة أفضل.

الفصل الثاني

التقويم والاختبار والتوجيه

* التقويم والقياس في علم النفس العسكري
* اختبارات الشخصية
* مقياس مستوى الروح المعنوية في القوات المسلحة
* التوجيه المعنوي

التقويم والقياس في علم النفس العسكري
(Measurement and Evaluation)

إن الدول المتقدمة والدراسات العسكرية المتطورة تعتبر الفرد هو عصب القوات العسكرية، وأن طاقاته، وخبرته ومهاراته، ومعنوياته تفوق من حيث الأهمية الأسلحة المتطورة، وبدون إعداد الفرد تفقد كل الأجهزة العسكرية (والمدنية) فعاليتها، ومهما وصلت إليه هذه الأجهزة من تطور وتحديث، لذلك فإن القوات المسلحة في الدول المتقدمة تهتم بتقييم أفرادها ومعرفة قدراتهم ومشاكلهم كلما قامت هذه القوات بإعداد وتدريب وتثقيف أفرادها، من أجل الحفاظ على قدراتهم وتوفير الأمور اللازمة لهم، حتى ينمو لديهم الإحساس بالطمأنينة داخل القوات المسلحة، وكذلك الإحساس بالولاء والانتماء إلى الوطن، ويستطيعون أداء واجباتهم على أفضل وجه ممكن.

وكنا قد أشرنا سابقاً بأن الفرد العسكري الجديد هو فرد يعيش في مجتمع مدني قبل دخوله المجتمع العسكري، وهو فرد له شخصيته، وقدراته، وأفكاره... التي عاش من خلالها فترة من الزمن، وهي تختلف عمّا لدى الفرد العسكري بسبب اختلاف الأهداف التي تسعى القوات المسلحة إلى تحقيقها في الفرد العسكري عن طريق التعليم والتدريب... وهذا كله لا يتم من دون عملية تقييم لقدرات الأفراد قبل وبعد عملية الإعداد والتدريب. وعملية التقييم تخضع لمبادئ علمية، وهي التي تمدنا بصورة أولية عن شخصية الجندي وقدراته، واحتياجاته، وحتى يتم إعداده عسكرياً وبشكل منظم وفعّال يحقق أهداف القوات المسلحة.

إن الخطط العسكرية الاستراتيجية في الدول المتقدمة، والقادة العسكريين يضعون في حسبانهم بأن ما يقارب ($\frac{٣-٤}{٥}$) ثلاثة إلى أربعة أخماس النصر في المعركة يرجع إلى الأفراد وإعدادهم وتدريبهم وقدراهم، والباقي ($\frac{١-٢}{٥}$) واحد إلى اثنين من خمسة في عملية النصر ترجع إلى السلاح المتطور،

والتقنيات الحديثة، وكلنا يعلم بأن الخطط الاستراتيجية للعديد من جيوش العالم يعتمد على الأفراد، كما يعتمد على الروح المعنوية لدى هؤلاء الأفراد، والحرب النفسية، وما شابه ذلك. ومما لا شك فيه أيضاً بأن اهتمام القوات المسلحة بقضايا الأفراد سواء في حالة السلم أو في حالة الحرب يرفع من معنوياتهم، ويضاعف من حماسهم، ومن قدراتهم على أداء الواجبات، وكذلك يستفاد من الطاقة البشرية للعسكريين في عمليات التنمية والتقدم الاجتماعي والحضاري. إن إعداد الفرد العسكري بشكل جيد يجعله يقاوم عمليات اليأس، ويزيد من الثقة بالنفس، ومن قوة الإرادة، ومن مناعته النفسية ضد الإشاعات، والحرب النفسية، ويزيد من ثقته بالقيادة، ويعمل على تحقيق التعاون وتحسين مستوى الأداء والكفاءة (أو الإنتاج)...

القياس والتقويم

إن عملية القياس والتقويم تعدُّ من العمليات الهامة، وهذه العملية تساعد الاختصاصيين على إصدار أحكام وقرارات على قيمة المهام، والاتجاهات، والقيم، وسمات الشخصية، والقدرات العقلية، والروح المعنوية، والرأي العام، والانتباه، وسرعة اتخاذ القرار... إلخ، ويكون ذلك في ضوء معايير (Criteria) أو محكات (Norms) عملية دقيقة، ومن خلال عملية القياس والتقويم يتم التعرف على مدى كفاية الموضوعات، أو الأشياء، أو المهام، أو الأفراد، وذلك في ضوء أهداف تسعى المؤسسة إلى تحقيقها. ويتفق جميع الباحثين على أن عملية القياس والتقييم (والتقويم) هي عملية منهجية تحتاج إلى مهارة، وتدريب وخبرة، وهي عملية لها وسائلها وتقنياتها، وهي في النهاية تعطينا صورة واضحة عن مستوى العمل أو التدريب وضمان جودة الأداء أو الأعمال لدى الأفراد (Quality Assurance) والكشف عن نقاط القوة، ونقاط الضعف أو القصور، وعادة تتضمن عملية التقييم إعطاء وصف كمي وكيفي للموضوعات، وتحديد ما يحدث لدى الفرد في الواقع من تغيير، أو تحسين أو تطوير، أو تعديل، وذلك بعد مرحلة الإعداد والتدريب والتعليم... ولا بد من معرفة طبيعة المهمة أو العمل الموكل للفرد (تحليل العمل Job Analysis) ومدى ملائمة قدرات الفرد وخبراته إلى هذا العمل أو هذه المهمة (كما أشرنا سابقاً في حديثنا عن الهندسة البشرية). وعملية

التقييم تشتمل على إعداد وتصميم اختبارات ومقاييس لها أهداف محددة مثل الاختبارات التي تستخدم في القوات المسلحة البريطانية والفرنسية، وكثير من الدول الأوروبية، وفي إسرائيل العديد من الاختبارات التي صُممت لأغراض عسكرية، وأغراض تصنيف الأفراد من أجل توجيههم إلى تخصصات أو مهام عسكرية محددة، كما تستخدم وسائل القياس والتقييم لإجراء البحوث العلمية، ويشترط بهذه الوسائل أن تكون مقننة محلياً (Standardization) ولها صدق (Validity)، وثبات (Reliability) ومعايير دولية (تائية، ميئينية، تساعية، سباعية...). وهناك اختبارات تطبق بشكل فردي، أو بشكل جماعي، كما أن هناك اختبارات للأطفال وأخرى للكبار، واختبارات لفظية، وأخرى عملية، ولكل اختبار هدف محدد، وبشكل عام توجد مقاييس متعددة لقياس القدرات العقلية (IQ. test) كما توجد مقاييس لقياس أبعاد الشخصية: مثل الاستخبارات (الاستبيان) (Questionnaires)، ومقاييس التقدير (Rating Scale)، والطرق الإسقاطية (Projective Technique)، واختبارات السلوك الموضوعية (Objective Behaviour Tests)، بالإضافة إلى المقاييس الفسيولوجية والعصبية (Physiological and Neuralolgical) يضاف إلى ذلك اختبارات الاتجاهات (Attitudes)، والميول (Tendencies)، والتوافق، والقيم (Values)، وهناك اختبارات للدوافع، والقلق، والوظائف العقلية مثل الذاكرة. إن اختبارات الاتجاه تهدف لمعرفة مشاعر الفرد وآرائه ومعتقداته بالنسبة لبعض القرارات أو التنظيمات، أو الأعمال... مثل الأحزاب، وتنظيم الأسرة، أو مثل منح المرأة حقوقها السياسية،... والميول لمعرفة التفضيلات المتعلقة بالمهن وموضوعات الدراسة (كالطب، أو الزراعة، أو القوات المسلحة)... واختبارات القيم للتعرف على نسق القيم النظرية والاجتماعية والجمالية والاقتصادية والدينية، والسياسية... والأهمية النسبية لكل منها لدى الفرد أو المجموعة... وبشكل عام إن عملية التقييم لها عدة أهداف مثل:

١ ـ تهدف إلى جعل الفرد الجديد في القوات المسلحة يشعر بأنه موضع اهتمام، ورعاية لشؤونه ولحالته الصحية والنفسية مع الإحساس بالتقبل من قبل المسؤولين عنه.

٢ ـ تهدف عملية التقييم للكشف عن نقاط القوة ونقاط الضعف في قدراته

العقلية، والشخصية، والنفسية، والصحية، والاجتماعية، والثقافية... وبالتالي يمكن توجيه الفرد وإرشاده نحو عمل معين أو مهنة، أو اختصاص، أو مهمة ما في التوجيه المهني، والإرشاد الأسري، أو كما في حالة قوة الشخصية وثباتها، وضعف الشخصية... والذكاء والغباء... وغير ذلك. وهذا التوجيه أو الإرشاد يجعل الفرد يستفيد من قدراته، ويحقق أفضل أداء في العمل أو في المهمة الموكلة إليه، كما أن ذلك يجعل الفرد يتعرف على قدراته ولا يتجاوزها في مهامه، مما قد يؤدي به إلى الفشل أو الإحباط... وضعف الأداء (تصنيف الأفراد)، وقد يكون الهدف الانتقاء أو الترقية.

٣ ـ إن عملية التقييم القبلية توفر الكثير من الوقت والجهد والإمكانيات للإعداد والتدريب، .في القوات المسلحة، حيث أن الكشف عن أبعاد وسمات شخصية الفرد العسكري وقدراته العقلية، وعن حالته النفسية والصحية والاجتماعية... تساعد في وضع الفرد المناسب في المكان المناسب (كاتب، إداري، مراسل، كيمياء، محاسب، إعلام، طيران، كمبيوتر، مدفعية، وحدات خاصة، استطلاع، بحرية... إلخ)، وهذا بدوره يساعد الفرد على أداء عمله بنجاح والإحساس بالسعادة والتفوق... (Feedback)، كما أن عملية التقييم قد تجعل الفرد يتطلب مزيداً من الإعداد والتدريب لاستخدام أفضل للآلة أو للسلاح أو لأداء المهمات.

٤ ـ من خلال عملية التقييم يمكن الكشف عن مستوى الروح المعنوية (Moral) للفرد واتجاهه نحو مهنة القوات المسلحة، ومدى رضاه عن هذه المهنة، وهذه تعتبر من أهم أهداف القوات المسلحة في مجال إعداد الأفراد، ويمكن إعادة التقييم كل فترة زمنية (كل سنة، أو كل ستة أشهر، أو بعد إجراء الدورات التدريبية...) وذلك لمعرفة التغيرات التي طرأت على أداء الأفراد، ومستوى الروح المعنوية، أو الاتجاه نحو مهنة القوات المسلحة... إلخ، والكشف عن النواحي الإيجابية والنواحي السلبية، والمشكلات المستجدة، (تقييم بعدي).

٥ ـ إجراء الدراسات والبحوث العلمية في ضوء عملية التقييم القبلية، والتقييم البعدية، أي بعد أن أمضى الفرد فترة في القوات المسلحة، ولمعرفة التغيرات التي طرأت على الفرد المجند بعد هذه الفترة التي قضاها في

القوات المسلحة. وهذا ما يساعد القادة في معرفة مدى تحقيق الأهداف العسكرية المطلوبة، سواء الأهداف الخاصة للقوات المسلحة، أو الأهداف البعيدة على المستوى السياسي والعسكري الدولي والوطني، بالإضافة إلى وضع توصيات علمية (Recommendations) للأخذ بها وتطبيقها في الواقع.

٦ - في ضوء عملية التقييم يتم وضع الخطط والاستراتيجيات والأهداف، وتوفير الإمكانيات اللازمة لتطوير القوات المسلحة نحو الأفضل، وذلك في ضوء حقائق مستمدة من عملية القياس والتقييم، وقد تختلف هذه الحقائق حسب العمر والجنس والتعليم والبيئة والدين والتطلعات، كما أن هذه الخطط تفيد في مجال الوقاية ومجال العلاج للمشكلات المستجدة.

والاختبارات أو وسائل التقييم تتكون من مجموعة بنود (Items) أو أسئلة منتقاة حسب الدراسات السابقة، وبطرق إحصائية متقدمة مثل التحليل العاملي، وفي ضوء المعلومات التي يريد الباحث أو المسؤول الحصول عليها، ويتم تحديد شكل الأسئلة ووضوحها والاستجابات، وزمن التطبيق، مع مراعاة صدق وثبات أسئلة الاختبار، ووضع المعايير لذلك.

إجراءات القياس والتقييم

١ - تطبق الاختبارات (كما ذكرنا سابقاً) بشكل فردي أو بشكل جمعي، وفي حالة التطبيق الفردي، يشعر الفرد بالحرج، ولا يألف الموقف سريعاً، في حين أنه في الموقف الجمعي يدرك أن غيره يشاركه فيما يمر به، كما أنه يكون منصرفاً عن الشعور بالموقف لأنه يعلم بأن لا أحد يركز الانتباه عليه، كما أنه في التطبيق الجمعي تبرز عوامل مثل التعاون والتنافس والشعور بأن الخبرة عامة بسبب توحيد الظروف وطريقة الإجراء، بينما تظهر في الموقف الفردي عوامل مثل إقامة علاقة طيبة، وكسب ثقة الفرد (المفحوص) وإثارة اهتمامه، وإمكانية الحصول على استجابات قد لا يمكنه أن يدلي بها في الموقف الجمعي، لذلك يفضل استخدام الاختبار في مواقف مشابهة للمواقف التي قنن فيها، ولأنه قد يختلف التقنين الفردي عن الجمعي بالنسبة للاختبار الواحد، ولا بد من تحديد هدف القياس أو التقييم، وتحديد المساعدين في هذه العملية مع إعداد الاختبار والوسائل اللازمة للتطبيق.

٢ - تحديد زمان ومكان إجراءات التقويم، ومقابلة الفرد، (أو الأفراد)

وتوفير الإضاءة والتهوية ودرجة الحرارة المناسبة، والبعد عن الضوضاء، وتوفير الجلوس المريح. وبالنسبة للاختبارات غير المؤقته (Untimed) يجب أن لا نعجِّل الأفراد حتى لا يصبح الزمن كعامل ضغط عليهم، ومع ذلك تعطى التعليمات بأننا نريد الإجابة الأولى من دون تفكير طويل، ويفضل تقديم الاختبار في وقت ملائم للأفراد، ولأن عامل التعب (بسبب المحاضرات أو التدريبات...) يقلل من الدافعية.

٣ ـ إعطاء التعليمات (The Instruction) للمفحوص (أو للمفحوصين) حيث يقوم الاختصاصي بذكر الهدف العام من القياس بأسلوب مبسط وعام (للتعرف على حالتك النفسية، أو العقلية...)، وفي حالة التطبيق الجماعي، وبعد أن يستقر الأفراد في أماكنهم، ويلتزمون الصمت، يبدأ الاختصاصي في إلقاء التعليمات: «سأقدم إليكم الاختبار التالي الذي يهدف إلى... وإجابتكم عليه تكشف لنا عن اتجاهكم أو قدراتكم... والمطلوب منكم قراءة كل سؤال بدقة، والإجابة عنه بصدق وصراحة بوضع إشارة (نعم) أو (لا)... إلخ، ولا يوجد إجابة صحيحة أو خاطئة، وإجابتك ستحفظ بسرية تامة، وتكون موضع فائدة علمية».

٤ ـ يطلب من كل فرد كتابة البيانات العامة أو الأولية، كما يحددها الاختصاصي أو الفاحص، ويجب حسم مشكلة كتابة الاسم من عدمه، ويفضل في البحوث العلمية عدم كتابة الاسم، ويمكن وضع رقم مكان الاسم وخاصة إذا كان الاختبار سيطبق في جلستين أو أكثر، وعادة تشمل البيانات العامة عن الفرد المفحوص ما يلي: الاسم، العمر، الوزن، الطول، التعليم، الحالة الاجتماعية، المستوى الاقتصادي (الدخل)، معلومات عن الأب، والأم، عدد الإخوة والأخوات، الحالة الصحية، (الأمراض والإعاقات وسلامة الحواس)، الهوايات والأنشطة، التدخين، تعاطي الكحول أو المخدرات، انحرافات سلوكية (لا حكم عليه)، عنوان السكن، الأسباب لدخول سلك القوات المسلحة، الالتزام الديني، الوعي الوطني والسياسي والثقافة العامة.

٥ ـ بعد جمع الإجابات، يتم تصحيحها (Scoring) حسب مفاتيح التصحيح (Scoring Key) وأوزان الاستجابة، مثلاً: «أبداً (صفر) قليلاً (١)،

أحياناً (٢)، غالباً (٣)، دائماً (٤)» بعدها يتم تفسير الدرجات، ورسم الصفحة النفسية بيانياً، ويمكن كتابة تقرير عن المفحوص، في ضوء معايير الاختبار، وتحديد المستويات المرتفعة والمتوسطة والمنخفضة، أو تحديد ما يسمى بالنقطة الفاصلة (Cut - off point) التي توصف الدرجات التي تصل إليها بأنها مرتفعة جداً أو مَرَضية في حالة السمات المَرَضية وتحدد عادة بمقدار انحرافين معياريين[1].

إجراءات القبول والمقابلة الشخصية والتقييم

سنشير فيما يلي إلى أهم الاختبارات اللازمة في المقابلة المبدئية لقبول الأفراد في القوات المسلحة، أو في سلك الشرطة، أو من أجل العمل في وظيفة ما، وغير ذلك... ويشترط بالاختصاصي أو الفاحص أن يكون ملماً بمبادئ المقابلة الشخصية التي تهدف للتعرف على الفرد الممتحن وأهم سماته الشخصية والنفسية والصحية والاجتماعية والعقلية. وعادة يتم تحديد مكان وزمان المقابلة والوسائل اللازمة والهدف، ويتم التعرف على البيانات الشخصية العامة التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة رقم (٤)، بالإضافة إلى طريقة الحديث والنطق، واتزان الشخصية، والمظهر...

١ ـ **المقابلة الشخصية (The Interview)**: المقابلة الشخصية تستخدم على نطاق واسع وفي كافة مجالات الحياة، ولأهداف مختلفة، وكثير من أصحاب المؤسسات يشترطون في مجال الاختيار المهني اجتياز المتقدم للمقابلة الشخصية بنجاح. والمقابلة هي علاقة اجتماعية يتم فيها محادثة وفق أُسس علمية دقيقة بهدف الحصول على معلومات هادفة، وفي ظل يسوده الثقة المتبادلة. والمقابلة تحتاج إلى تدريب، وهي علم وفن قائم بذاته، وتتطلب مهارة خاصة مبنية على خبرة واستعداد. والمقابلة تستخدم في

---

(١) الدرجة المعيارية (Standard Score) تساوي: $\frac{\text{الدرجة الخام للمفحوص ـ متوسط الدرجات}}{\text{الانحراف المعياري (ع)}}$

الانحراف المعياري (Standard Deviation) = $\sqrt{\frac{\text{مج (س - م)}^2}{\text{ن}}}$

القوات المسلحة لاختبار الأفراد والتعرف على شخصياتهم وأحوالهم ككل، وتفيد المقابلة في ملاحظة سلوك الفرد وجوانبه الانفعالية والحركية، وأسلوب النطق والتعبير، والتفكير، وتسلسل الأفكار وترابطها، والاستجابات، أو ردود الأفعال، ومعرفة الاتجاهات والميول الكامنة وراء ذلك، بالإضافة إلى الثقافة العامة والمظهر الخارجي. وعن طريق المقابلة يمكن التعرف على قدرة الفرد في التعامل مع الآخرين، وهذه أمور لها أهميتها في بعض الأعمال المهنية وفي مجال الأمور العسكرية. وخلال المقابلة يتم بناء الثقة المتبادلة، فيشعر الفرد بالطمأنينة والأمن مما يشجِّع الفرد إلى التحدث بصراحة عن مشاكله وميوله أو رغباته... وتعتبر المقابلة من الوسائل الهامة في تقييم أفراد القوات المسلحة (إلى جانب وسائل أخرى). والمقابلة على أشكال، منها: المقابلة الفردية (Individual Interview) والمقابلة الجماعية (Group Interview)، ومنها المقابلة التشخيصية لتشخيص سلوك الفرد وأفكاره وشخصيته.. والمقابلة العلاجية، والمقابلة الإرشادية، والمقابلة المهنية (للقبول أو للتعيين أو للتوظيف). وفي المقابلة يتم الإعداد للمقابلة، وتحديد أهدافها، والأسئلة الرئيسية فيها، وتحديد موعد المقابلة، ومكان المقابلة، وأدوات التسجيل، والاستمارات اللازمة، ثم تأتي مرحلة البدء في المقابلة، ثم تحقيق أهداف المقابلة، وانتهاء المقابلة. ويشترط في المقابلة سرية المعلومات، وتوفير العلاقة الإنسانية (Human Relationship)، والمناقشة الموضوعية (Subjective Discussion)، ووضوح المناقشة (Clarity of Discussion) والصمت أو الاستماع الجيد (Listening)، بعد ذلك يتم جمع المعلومات وتحليلها، ثم إصدار القرار أو النتيجة. ويمكن أن تشمل المقابلة على تطبيق بعض الاختبارات الهامة بالنسبة للأفراد الجدد. من هذه الاختبارات:

١ ـ اختبار قياس القدرة العقلية العامة (الذكاء العام).

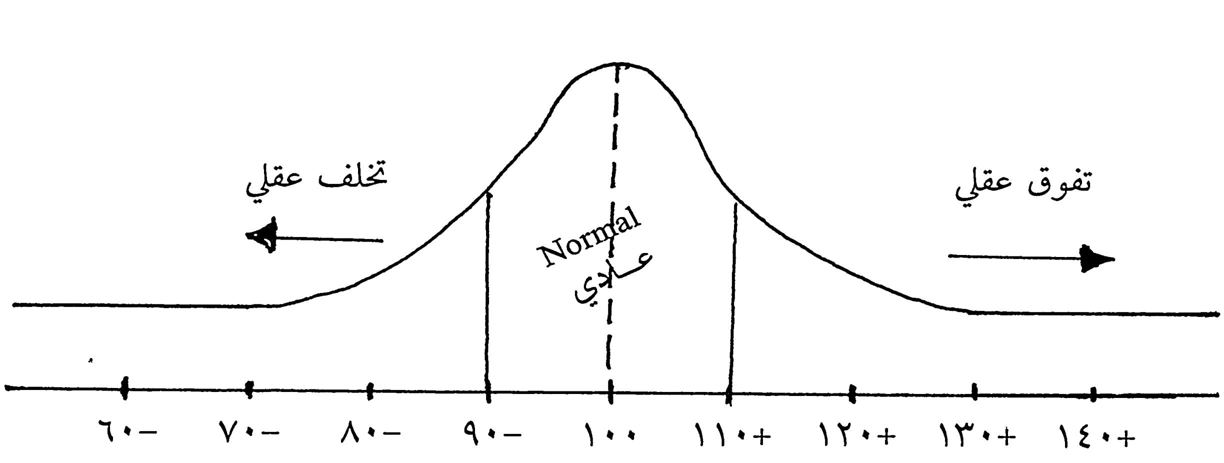
٢ ـ اختبار لقياس بعض سمات الشخصية (مفهوم الذات).

٣ ـ اختبار لقياس الاضطرابات النفسية (القلق، التوتر، عدم الاتزان، الخوف...).

٤ ـ اختبار لقياس الاتجاه نحو مهنة القوات المسلحة.

هذا بالإضافة إلى المعلومات المستمدة من المقابلة.

٢ ـ اختبارات القدرة العقلية العامة والخاصة، والوظائف العقلية:
(Measurement of Intelligence and Intellectual Functions) وهذه الاختبارات تفيد في معرفة القدرة العقلية العامة (الذكاء العام)، أو القدرات العقلية الخاصة مثل (القدرة الميكانيكية، والقدرة الأدبية، والقدرة الفنية، والقدرة الحسابية..) وهذه الاختبارات يمكن أن تطبق بشكل فردي، أو بشكل جماعي، أي على مجموعة أفراد في وقت واحد، والاختبارات الجماعية غالباً ما تستخدم الورقة والقلم، وبعضها بعتمد على المفردات واللغة، والبعض الآخر يعتمد على الجانب العملي، ومن هذه الاختبارات ما يصلح للأطفال، ومنها ما يصلح للكبار، ولكل اختبار صدق وثبات، ومعايير، ومفتاح تصحيح، كما أن معظم هذه الاختبارات العقلية لها وقت محدد (Timing)، وهذه الاختبارات تفيد في تصنيف الأفراد وفرزهم حسب قدراتهم العقلية، ويكون ذلك على النحو التالي: (فرد ذكي جداً أو مبدع، فرد جيد الذكاء، ذكاء فوق المتوسط، ذكاء متوسط، ذكاء دون الوسط، ذكاء على الحدود بين العادي والضعيف عقلياً (Borderline)، ضعف عقلي خفيف (Mild)، ضعف عقلي متوسط (Moderate)، تخلف عقلي حاد (Severe)، تخلف عقلي حاد أو عميق (Profound). ومن الطبيعي أن حالات التخلف العقلي المتوسط والحاد والعميق لا توجد في القوات المسلحة. الشكل التالي رقم (٤) يوضح ذلك.



شكل (٤) ـ مستويات القدرة العقلية العامة
IQ Levels

من هذه الاختبارات المعرَّبة والمقننة في البيئة العربية ما يلي:

١ ـ مقياس وكسلر بلفيو لذكاء الراشدين (WAIS): (The Wechsler - Bellevue Scale).

من إعداد لويس كامل مليكة، ومحمد عماد الدين إسماعيل.

ويقيس هذا الاختبار: (المعلومات، والمفردات، والفهم العام، والمتشابهات، والاستدلال الحسابي، وإعادة الأرقام، ورموز الأرقام، ورسوم المكعبات، وتجميع الأشياء، وتكملة الصور أو ترتيب الصور)، ويستخلص الفاحض نسبة الذكاء اللفظية، ونسبة الذكاء العملية، ونسبة الذكاء العام.

٢ ـ اختبار راڤن للمصفوفات العادي والملوَّن (APM) للبالغين: (Standard Progressive Matrice) شكل رقم (٥).

وهذا الاختبار يعتمد على الأشكال، حيث يتم اختيار شكل من بين مجموعة أشكال يكمل الشكل الأصلي، والاختبار غير مؤقت (Untimed)، يمكن للفرد أن يأخذ وقتاً كافياً ولا داعي للسرعة، كما أنه يمكن توقيت الاختبار، ويبدأ تحديد الزمن بعد كتابة البيانات، وإعطاء التعليمات، وشرح المثال، وعادة يستغرق تطبيق الاختبار حوالي (٢٠) دقيقة إلى ساعة واحدة، ويفيد ذلك لأغراض التوجيه المهني التي تتطلب سرعة الأداء، وهذا الاختبار يصلح للأعمار بين (٦ ـ ٦٥) سنة، وله معايير ميئينية، والدرجة الكلية للاختبار هي (٦٠) درجة. وهناك خمس مصفوفات وأشكال (A. B. C. D. E) وعادة.

١ ـ الدرجة من (٩٥) فأكثر المستوى الأول (ذكي جداً، متفوق (Superior Intelligence).

٢ ـ الدرجة من (٩٠ ـ ٩٥) ذكي جداً (Intellectual Capacity).

٣ ـ الدرجة من (٧٥ ـ ٩٠) (Intellectual) ذكي.

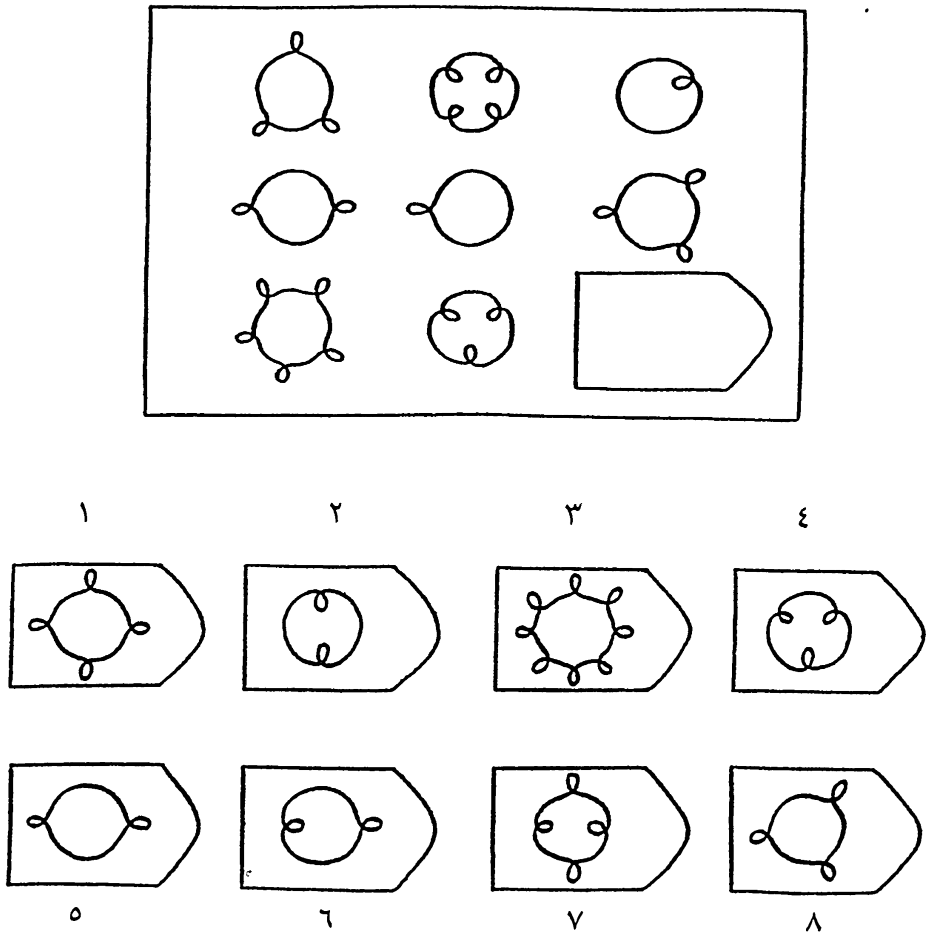
٤ ـ الدرجة من (٥٠ ـ ٧٥) (Above Mean) فوق المتوسط.

٥ ـ الدرجة من (٢٥ ـ ٥٠) المتوسط في الذكاء (Mean)

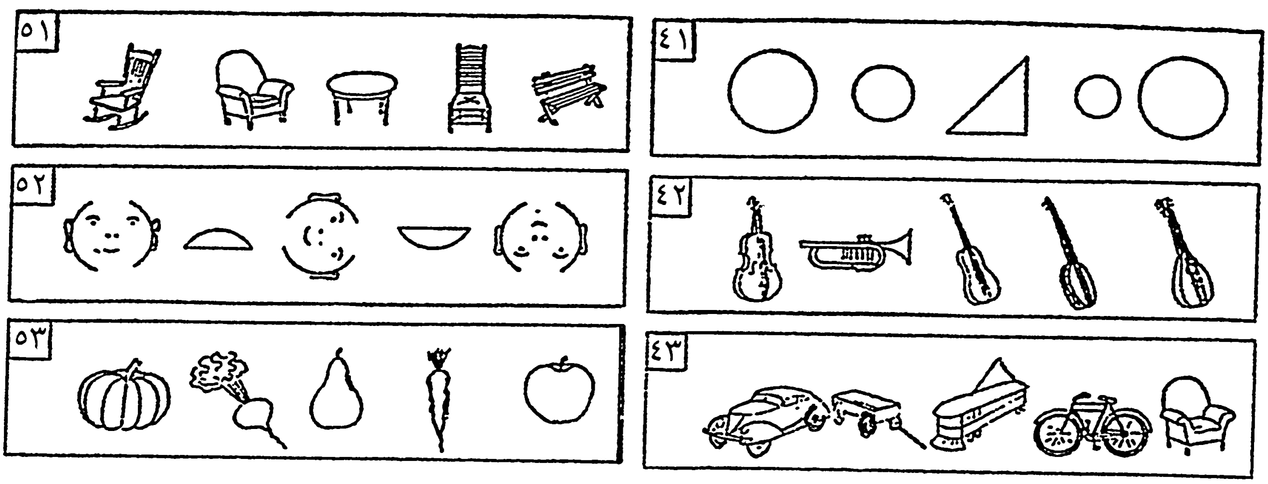
٦ ـ الدرجة من (١٠ ـ ٢٥) تحت المتوسط (Below Mean).

٧ ـ الدرجة من (٥ ـ ١٠) ضعيف عقلياً (Mentally).

٨ ـ الدرجة أقل من (٥) قصور عقلي واضح (Defective).

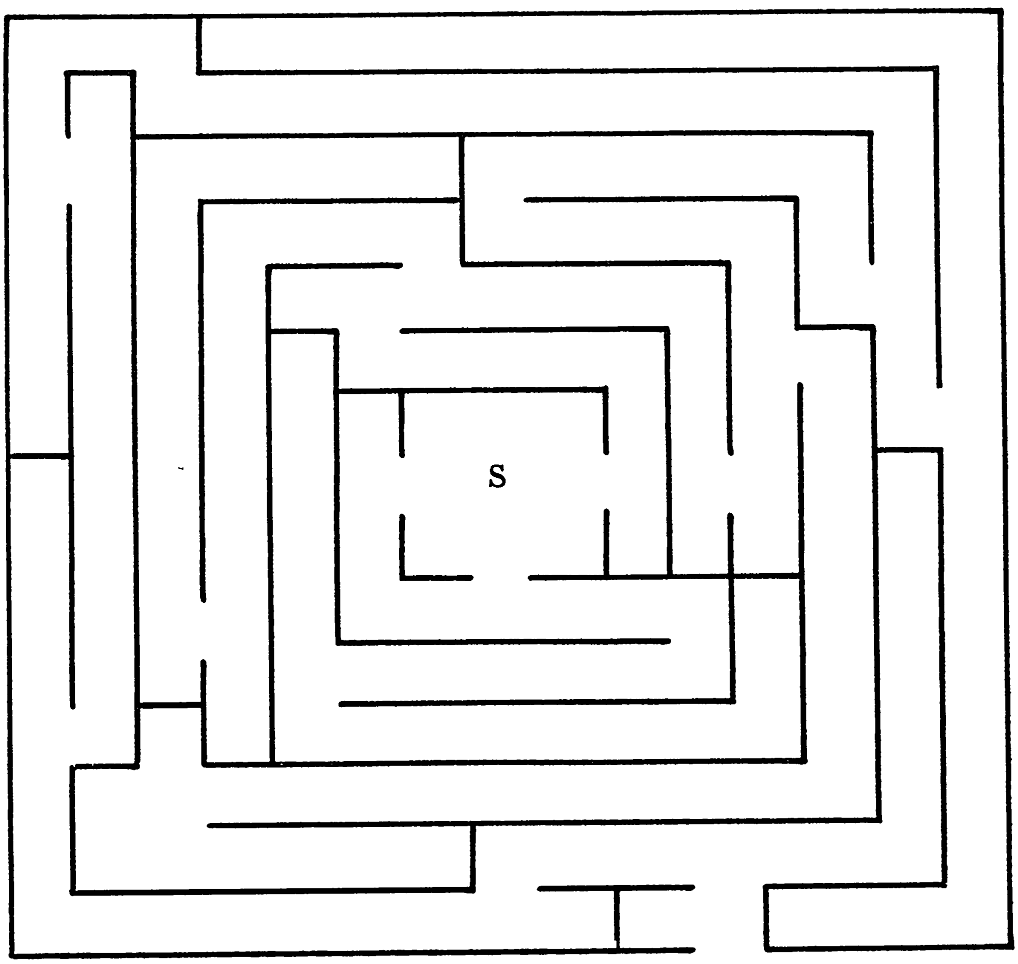


شكل (٥) (اختبار رافن للمصفوفات)



شكل (٦) اختبار ذكاء مصور (غير لفظي)

٣ ـ اختبار متاهات بورتيوس (Porteus Intelligence Test) شكل (٧): يعتمد على رسم متاهات متدرجة في الصعوبة، حسب الأعمار (The Maze test) والاختبار مفيد وسريع، وله معايير وصدق، وثبات، وتعليمات خاصة. ويتكون الاختبار من إحدى عشر متاهة تبدأ من عمر (٣) سنوات وحتى (١٦ ـ ١٧) سنة، ولكل عمر تعليمات خاصة، ويستمر التطبيق حتى يفشل المفحوص في ثلاثة اختبارات منفصلة، أو اختبارين متتاليين، ولا يدخل عامل الوقت في التقدير.



شكل (٧) متاهات بورتيوس

٤ ـ اختبار الذكاء العالي لمحمد خيري: يتكون من (٤٢) سؤال تتدرج في الصعوبة، وتقيس بعض الوظائف العقلية مثل تركيز الانتباه، إدراك العلاقات بين الأشكال، الاستدلال العددي، الاستدلال اللفظي، وهو اختبار يصلح لطلبة الجامعة والثانوي...

٥ ـ اختبارات قدرات عقلية مصوَّرة من إعداد عطية محمود هنا، وأحمد ذكي صالح. (اختبارات ذكاء غير لفظية) (شكل (٦)).

٦ ـ اختبارات تقيس الذكاء الاجتماعي (Social Intelligence) والقدرة على إدراك العلاقات الاجتماعية وفهم الآخرين والتفاعل معهم، وحسن التصرف في المواقف الاجتماعية مما يؤدي إلى التوافق الاجتماعي والنجاح الاجتماعي (اختبار موس وهنت) (Moss and Hunt).

اختبارات الشخصية
(Personality Tests)

١ ـ البروفيل الشخصي (Personal Profile)، من إعداد وترجمة جابر عبد الحميد جابر، وفؤاد أبو حطب: ويقيس بعد السيطرة، والمسؤولية، والاتزان الانفعالي، والاجتماعي، وللاختبار صدق وثبات ومعايير حصرية ميئينية..

٢ ـ مقياس الصحة النفسية، من إعداد محمد عماد الدين إسماعيل، وسيد عبد الحميد مرسي، مقتبس من دليل كورنيل (Cornell index): ويتكون المقياس من (١٠١) سؤالاً تقيس الأعراض العصابية والذهانية والعصبية والسيكوسوماتية، واستخدم هذا الاختبار في القوات المسلحة الأميركية لأغراض قياس عدم التوافق، والاكتئاب، توهم المرض، أعراض سيكوسوماتية، الحساسية المفرطة، السيكوباتية الشديدة... للاختبار صدق وثبات ومعايير وتعليمات خاصة.

٣ ـ اختبار القلق (حالة القلق، وسمة القلق)، تعريب وإعداد أمينه كاظم (Trait and State Anxiety): وسمي باستفتاء تحليل الذات. وللاختبار صدق وثبات، ومعايير وتعليمات، ويستغرق الاختبار (١٠ ـ ١٥) دقيقة للصورة الواحدة.

٤ ـ اختبار القلق، من إعداد سمية أحمد فهمي (مقتبس عن ريموند كاتل): يتكون من (٤٠) بنداً تشير إلى أعراض القلق الظاهر، والقلق المستتر. وللاختبار صدق وثبات وتعليمات ومعايير للتصحيح.

٥ ـ اختبار قلق التحصيل المدرسي أو الأكاديمي، ترجمة جابر عبد الحميد جابر، كلية التربية، جامعة الأزهر، وهذا الاختبار من وضع (ألبرت وهابر): يتكون الاختبار من (١٩) عبارة تدور حول قلق المتعلم إزاء التحصيل المدرسي أو الأكاديمي. ويكشف هذا الاختبار عن الأفراد من ذوي الدرجات المتطرفة (المرتفعة والمنخفضة) في التحصيل الدراسي،

والذين غالباً ما يعانون من قلق التحصيل الذي بدوره يرتبط بأبعاد الشخصية.

٦ ـ اختبار قلق الامتحان (Test anxiety)، من إعداد فيصل محمد خير الزراد، ومصطفى الصفطي: وهو يقيس مستوى القلق قبل الامتحان، وأثناء الامتحان، وبعد الامتحان. وللاختبار تعليمات وصدق وثبات ومعايير تائية في البيئة الإمارتية.

٧ ـ مقياس التفضيل الشخصي (Edwards Personal Preference Schedule (EPPS)، إعداد (ألن إدواردز) إعداد جابر عبد الحميد جابر: يقيسّ عدداً من الحاجات النفسية مثل: (التحصيل، الخضوع، النظام، الاستعراض، الاستقلال الذاتي، التواد، التأمل الذاتي، المعاضدة، السيطرة، لوم الذات، العطف، التغيير، التحمل، الجنسية الغيرية، العدوان).

٨ ـ مقياس المسؤولية الاجتماعية (Social Responsibility)، إعداد سيد أحمد عثمان: يقيس المسؤولية الذاتية للفرد والمسؤولية الذاتية عن الجماعة، وتتضمن عناصر ثلاثة هي: الاهتمام والفهم والمشاركة. وللمقياس صورتان إحداهما للمرحلة الثانوية والثانية للكبار. ويطلب من المفحوص الإجابة وفقاً لمقياس متدرج (دائماً، في كثير من الأحيان، قليلاً، نادراً) يستعمل المقياس في مجال التدريب،، وتحمل المسؤولية، والعلاقة بالجماعة.

٩ ـ قائمة أو اختبار بيرنرويتر للشخصية (Bernreuter Personality Inventory): صدر هذا الاختبار عن جامعة ستانفورد عام (١٩٣١) ونقل إلى اللغة العربية من قبل محمد عثمان نجاتي عام (١٩٦٠)، ويتكون الاختبار من (١٢٥) بنداً تقيس سمات فرعية هي: (الميل العصابي، الاكتفاء الذاتي وتفضيل العزلة وإغفال نصيحة الآخرين، والانطواء ـ الانبساط والسيطرة والخضوع)، للقائمة صدق وثبات، ومفتاح تصحيح وتعليمات...

١٠ ـ قائمة بل لقياس التوافق (Bell's Adjustment Inventory)، إعداد محمد عثمان نجاتي: وتتكون القائمة من (١٤٠) بنداً، تقيس التوافق المنزلي، والتوافق الصحي، والتوافق الاجتماعي، والتوافق الانفعالي، وتستخدم القائمة مع طلبة الثانوي والجامعات والأفراد العاديين الذين يعانون من مشكلات توافقية. كما يوجد اختبار التوافق المهني من إعداد محمد أحمد غالي.

١١ ـ قائمة منسوتا متعددة الأوجه للشخصية: (Minnesota Multiphasic Personality Inventory) (MMPI) وضعها عالم النفس ستارك هاثاواي (S. Hathaway) والطبيب النفسي تشارلي ماكنلي (J. C. Mckinley)، وتم الاعتماد الكلي على هذا المقياس خلال الحرب العالمية الثانية وكذلك بعد انتهاء الحرب، وبعد أن اتسع مجال علم النفس السريري. وتشمل هذه القائمة (٥٥٠) بنداً على شكل عبارات تقريرية، وتناسب التطبيق على الراشدين من عمر (١٦) سنة إلى ما بعد ذلك. أعد القائمة باللغة العربية عطية محمود هنا، وعماد الدين إسماعيل، ولويس كامل مليكه، وللاختبار صدق وثبات ومعايير ومفاتيح تصحيح، وصفحة نفسية، وللاختبار أربعة مقاييس صدق هي (الكذب، والتكرار، والتصويب،؟) وعشرة مقاييس إكلينيكية سريرية هي (توهم المرض، الاكتئاب، الهستريا، الانحراف السيكوباتي، الذكورة والأنوثة، البارانويا، السيكاثينيا، الفصام، الهوس الخفيف، الانطواء الاجتماعي). وهناك صورة مختصرة للمقياس تشمل (٣٧٥) بنداً. انظر جدول رقم (٢) وشكل رقم (٨).

اختبار منسوتا للشخصية متعدد الأوجه (MMPI) (MMPI-2)

تفسير الدرجات المرتفعة	رقم المقياس	الرمز المختصر	المقياس الصدق
ـ إنكار الأخطاء الشائعة والعيوب، مع دفاعات ساذجة.	...	ل	ـ مقياس الكذب
ـ نادراً أو (إحصائياً) ما يتم الموافقة على أمور غير عادية، مثل التزييف للأسوأ، البكاء للمساعدة، حالات الذهان.	...	ف	ـ مقياس التكرار أو الإجابات المزيَّفة
ـ إنكار بشكل غير ملائم، ودفاعات محرَّفة (سفسطائية).	...	ك	ـ مقياس التصحيح
			المقاييس السريرية
ـ درجة من العلاقة مع الوظائف الجسدية.	١	هـ س	ـ توهم المرض
ـ ارتباطات معرفية، انفعالية، سلوكية، وفسيولوجية مع الاكتئاب.	٢	د	ـ الاكتئاب
ـ إنكار الحاجة الماسَّة للعاطفة، تجسيد التمركز حول الذات، القدرة على التلاعب أو المناورة، كثرة المطالب.	٣	هـ ي	ـ الهستيريا
ـ الاندفاعية، تحمُّل ضعيف للإحباط، ضعف القدرة على التكيُّف الاجتماعي، مشاكل مع السلطة.	٤	ب د	ـ الانحراف السيكوباتي
ـ نمط الاهتمام والاتجاه النموذجي نحو الجنس الآخر.	٥	م ـ ف	ـ الذكورة ـ الأنوثة
ـ شكوك، حساسية عالية أو زائدة، التصلّب، احتمال تشوش الوعي (أوهام).	٦	ب أ	ـ البارانويا
ـ قلق، إزعاج، مخاوف، عدم الثقة بالذات وضغوط شخصية.	٧	ب ت	ـ السيكاثينيا
ـ انسلاخ الجانب الاجتماعي والانفعالي بشكل غير عادي، مع أفكار خاصة، وخبرات شاذة أو غريبة، واحتمال الهلوسات.	٨	س ك	ـ الفصام
ـ نشاط حركي زائد وعقيم (غير هادف)، هيجان، ضجر، إثارة زائدة، لا يتحمل أي تأخير، غير متحفظ.	٩	م أ	الهوس (الخفيف)
ـ خجل، انسحاب من المجتمع، سلوك اجتماعي غير مناسب، قلق اجتماعي.	٠	س ي	ـ الانطواء الاجتماعي

دولة الامارات العربية المتحدة - أبو ظبي
مستشفى الطب النفسي الجديد
الاسم :
رقم الملف :

شكل (٨)

التاريخ :

بطاقة التخطيط السيكولوجي في اختبار M.M.P.I.

مستشفى الطب النفسي الجديد :

الدرجات التائية ⇐

بيانات	
؟	عدم اجابة
ل	تزييف الاجابة
ف	خطأ
ك	الاتجاه نحو الاختبار
1	توهم المرض (ه س)
2	الاكتئاب (د)
3	الهستيريا (5 س)
4	السيكوباتيه (ب ء)
5	الذكوره ،الانوثه (م ف)
6	البارانويا (ب أ)
7	السيكاثينيا (ب ت)
8	الفصام (س ك)
9	الهوس (مَ أ)
0	الانطواء الاجتماعي (س ي)

115																
110																
105																
100																
90																
85																
80																
75																
70																
65																
60																
55																
50																
45																
40																
35																
30																
25																
20																
15																
	؟	ل	ف	ك			1	2	3	4	5	6	7	8	9	0	

(Name and Signature of Clinical Psy.)

١٢ - قائمة آيزنك للشخصية (Eysenck Personality Inventory) (EPI): من وضع هانز جورجن آيزنك، وسيبل آيزنك، ولها صورتان (أ) و(ب) وتناسب الاستخدام مع الراشدين، إعداد جابر عبد الحميد جابر، ومحمد فخر الإسلام، وتشمل كل صورة (٥٧) سؤالاً لقياس بعد العصابية (٢٤) سؤالاً، والانبساط (٢٤) سؤالاً، بالإضافة إلى مقياس الكذب (٩) بنود، وللصور صدق وثبات ومفتاح تصحيح وكراسة التعليمات، وتفيد في تشخيص وعلاج اضطرابات السلوك.

١٣ - استخبار آيزنك للشخصية (EPQ)، صدر عام (١٩٧٥م) ويحتوي هذا المقياس زيادة على الاختبار السابق مقياس إضافي هو مقياس الذهانية (Psychoticism)، كما أجريت تحسينات على مقاييس الانبساط والعصابية والكذب، كما يشمل الاستخبار الأحدث على مقياس إضافي للتمييز بين المجرمين وغير المجرمين، ويمكن أن يكون مقياساً للإجرام (Criminality) وهذا مفيد في الكشف عن الجناح أو العود إلى الإجرام، ويشير بعد الذهانية إلى سمة كامنة في الشخصية، وللاختبار تعليمات، وصدق، وثبات، ومفتاح تصحيح، وقام مصطفى سويف، ومحمد فرغلي فراج بتعريب الاستخبار.

١٤ - مقياس الذاكرة (Memory Test)، من إعداد فيصل محمد خير الزراد، من وضع دافيد وكسلر، ويستخدم لأغراض تشخيصية في المجال الإكلينيكي، وهذا المقياس يتكون من سبعة اختبارات فرعية (Seven sub - tests) تقيس أبعاد الذاكرة وكواحدة من الوظائف العقلية التي تتأثر بالاضطرابات النفسية والعقلية والصحية والإصابات الدماغية، والأمراض العصبية وأمراض الشيخوخة.

١ - الاختبار الأول، ويقيس الذاكرة البعيدة (Remote Memory).

٢ - الاختبار الثاني، ويقيس الذاكرة الآنية (Immediate Memory).

٣ - الاختبار الثالث، ويقيس ذاكرة التحكُّم العقلي (Mental Control).

٤ - الاختبار الرابع، ويقيس الذاكرة المنطقية (Logical Memory).

٥ - الاختبار الخامس، ويقيس ذاكرة الأرقام أو مدى الذاكرة (Memory Span).

٦ - الاختبار السادس، ويقيس الذاكرة البصرية (Visual Memory)

٧ - الاختبار السابع، ويقيس ذاكرة التعلم الاقتراني (Associate Memory).

وللمقياس صدق وثبات ومعايير تصحيح حسب الأعمار.

١٥ - مقياس الضبط الداخلي - الخارجي (Locous of control) ستيفن نويكي (Stephen Nowicki)، ومارشال دوك (Marshall P. Duke) ترجمة وإعداد رشاد عبد العزيز موسى، وصلاح الدين أبو ناهية، ويحتوي المقياس على (٤٠) بنداً تهدف إلى معرفة كيف يفكر الأفراد في أمور معينة، ويبرزون قضاياهم وما يعانون منه من مشكلات، وللاختبار صدق وثبات، وتعليمات، ومفتاح تصحيح، ومعايير تائية للذكور وللإناث.

١٦ - اختبار الدافع إلى الإنجاز (A Questionnaire Measure of Achievement Motivation)، إعداد فاروق عبد الفتاح موسى. يتكون الاختبار من (٢٨) فقرة غير كاملة، ويلي كل فقرة مجموعة من العبارات يمكن أن يكمل كل منها الفقرة، أو يجيب عنها، وهذا المقياس هو الرغبة في الأداء الجيد وتحقيق النجاح، وهو هدف ذاتي يوجه ويدفع السلوك ويعتبر من العناصر الهامة للنجاح. وهؤلاء الأفراد ذوو الدافع العالي للإنجاز يميلون إلى بذل الجهد، وهم أفضل في مستوى الأداء، وفي القدرة على المثابرة، وأكثر ميلاً للعمل والاجتهاد وللوصول لحلول لمشكلاتهم، وهم أكثر واقعية، ويتجنبون مواقف الفشل. لقد أعد هذا الاختبار (H. J. Hermans). يستغرق الاختبار (٣٥ - ٤٥) دقيقة بعد إعطاء التعليمات، ولا يوجد زمن محدد للاختبار، وهو اختبار يميِّز الأفراد ذوي الدافعية للإنجاز، عن ذوي الدافعية المنخفضة للإنجاز، وذلك من حيث الصفات التالية:

(مستوى الطموح، المثابرة، القابلية للتقدم للأمام، السلوك الذي تقل فيه المغامرة، إدراك سرعة مرور الوقت، الاتجاه نحو المستقبل، البحث عن التقدير، الرغبة في الأداء الأفضل، اختيار مواقف المنافسة، الرغبة في إعادة التفكير في العقبات، الثقة بالنفس، إرادة عالية).

١٧ - اختبار هولمس وراهي (Holmes - Rahe) لأحداث الحياة التي يتعرض لها الإنسان (Life Events Scale). هذا الاختبار يساعد في معرفة أنماط التوترات والتغيرات التي يختبرها الإنسان في حياته، ولهذا الاختبار

أهمية في الكشف عن الحالة الصحية، ويشير المفحوص إلى أهم الأحداث الحياتية الهامة التي صادفته في السنة الأخيرة، أو إذا كان المفحوص يتوقع حصول الحدث خلال الأشهر الإثني عشر القادمة، ويتم وضع إشارة (X) داخل المربع المقابل للحدث. والاختبار مهم جداً في معرفة التبدلات الطارئة التي تسبب التوتر، وللاختبار طريقة تصحيح خاصة.

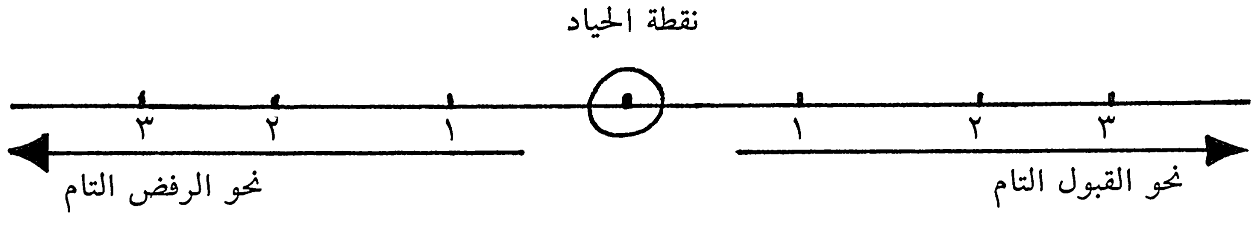
١٨ ـ اختبار مفهوم الذات للكبار، إعداد محمد عماد الدين إسماعيل (١٩٨٦م). مفهوم الذات يعتبر متغيراً من متغيرات الشخصية الهامة، وهو المفهوم الذي يكوِّنه الإنسان عن نفسه باعتباره مصدراً للتأثر والتأثير بالآخر. ومفهوم الذات (Self - concept) هو تنظيم إدراكي انفعالي يتضمن استجابات الفرد نحو نفسه ككل، ويظهر ذلك من التقرير اللفظي. ومفهوم الذات إيجابي أو سلبي له علاقة بالتوافق، وبالخبرات الإكلينيكية. ومفهوم الذات ينشأ من تفاعل الفرد مع بيئته، وينمو مفهوم الذات تدريجياً... والاختبار يتضمن (١٠٠) عبارة، ويقيس الاختبار مفهوم الذات الواقعية، ومفهوم الذات المثالية، ومفهوم الذات لدى الشخص العادي، ويستخلص من النتيجة مقياس التباعد (أي الفرق بين الذات الواقعية والتقدير لدى الشخص العادي)، ومقياس تقبل الذات وهو (الفرق بين الذات الواقعية والمثالية)، ومقياس تقبل الآخرين وهو (الفرق بين الذات المثالية والتقدير لدى الشخص العادي).

١٩ ـ مقياس قبول السلطة (Accept of Authority)، من إعداد الدكتورة سلطانة عثمان، استشاري نفسي في قيادة شرطة دبي، والهدف من الاستبيان معرفة ردود الأفعال، أو طريقة التصرف في حال وجود سلطة، ويتكون المقياس من (٢٤) بنداً يجاب عنها من خلال سلم مدرج ذي خمسة أبعاد هي: (مطلقاً، نادراً، أحياناً، غالباً، دائماً).

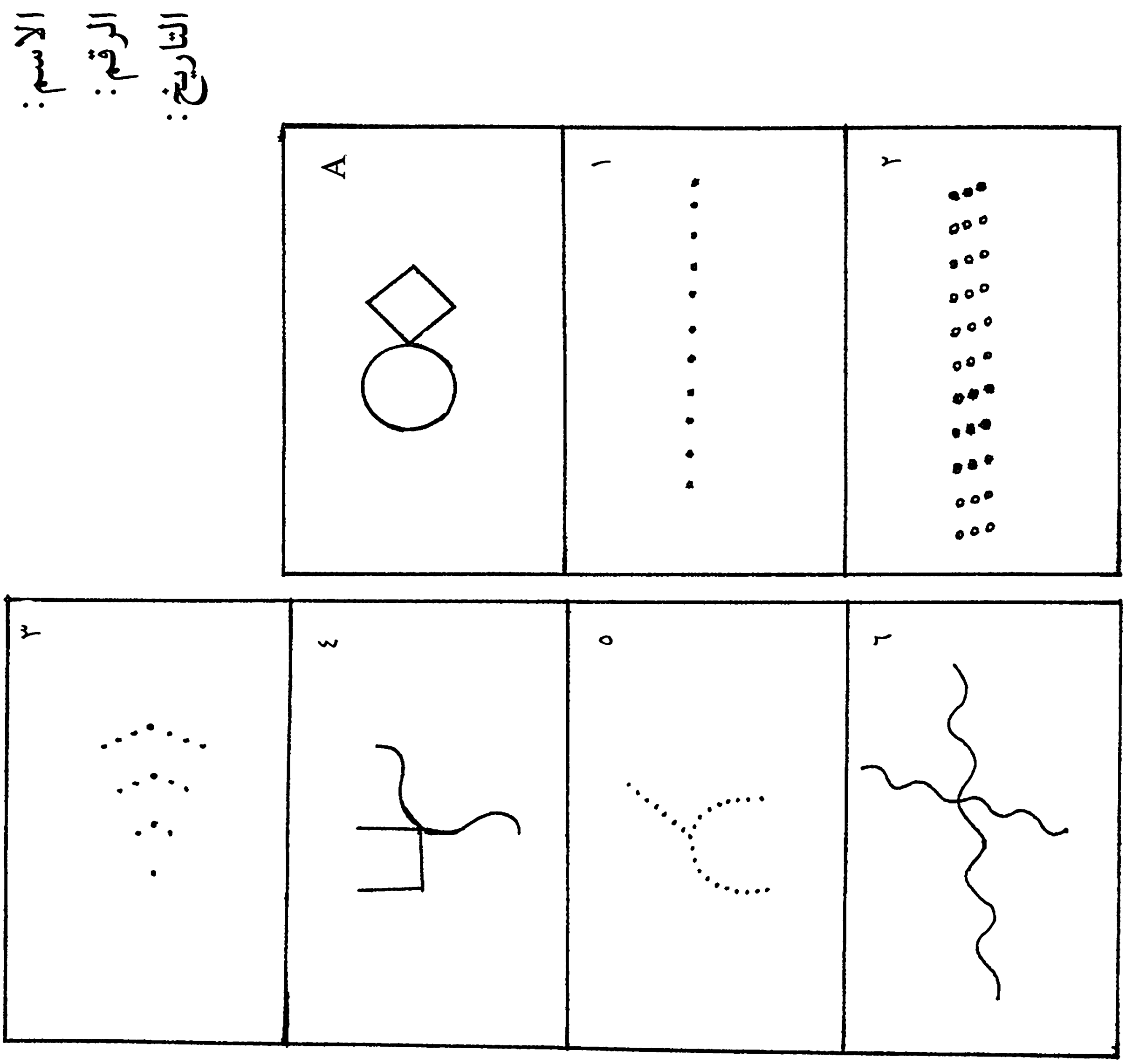
٢٠ ـ اختبار لوريتا بندرجشتالت البصري ـ الحركي (Bender Visual - Motor Gestalt Test)، وهو من الاختبارات النفسية العصبية، ويتألف الاختبار من تسع بطاقات، يوجد على كل منها شكل هندسي بسيط ينقله المفحوص إما مباشرة (في حالة الأطفال) أو من الذاكرة، وبعد النظر إلى الشكل لمدة عشر ثواني، ويعتمد الاختبار على تحديد ما يطرأ على رسم

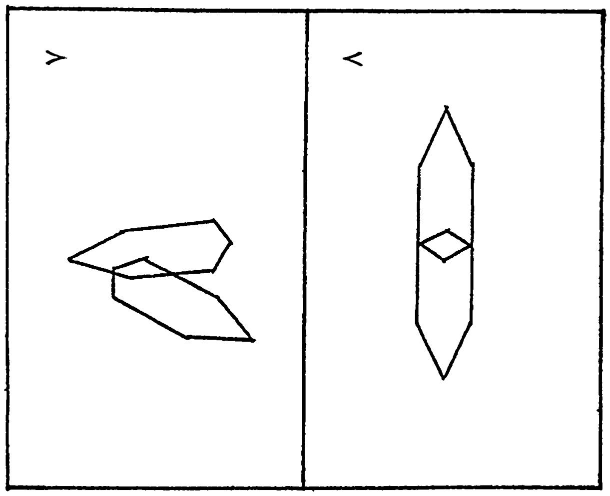
الأشكال من تحريف أو تشويه، والاختبار يعتمد على نظرية الجشتالت الألمانية التي درست أهمية الإدراك في الحياة. وللاختبار طريقة خاصة في التعليمات والتطبيق، وهو يقيس حالات الأفازيا الحسيِّة، والشلل الجنوني العام، والفصام، وذهان الهوس والاكتئاب، والضعف العقلي، وحالات العصاب، وتوهم المرض، والإصابات العصبية الدماغية. شكل (٩).

٢١ ـ قياس اتجاهات الفرد (The Attitudes) نحو القوات المسلحة مثلاً.
الاتجاه يعتبر من أبرز المفاهيم في علم النفس الاجتماعي الأمريكي المعاصر، ومن أهم المقاييس النفسية، والاتجاه هو عبارة عن استعداد (Aptitude) أو تأهب عصبي (إثارة) نفسي (دافع) فكري (خبرة)، تنتظم هذه كلها ويكون لها تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد تجاه موضوعات أو مواقف معينة، والاتجاه يرتبط بشخصية الفرد وفي كلا الجانبين العقلي والوجداني أو الانفعالي، وحيث تؤثر هذه الجوانب في عضوية الفرد وسلوكه واستجابته فتوجِّه هذا السلوك نحو أو ضد أمر معين (جورن ألبورت) (G. W. Allport). والمقياس يقيس التركيب العقلي النفسي الذي أحدثته الخبرة المتكررة لدى الفرد، والاتجاه يتصف بشيء من الثبات أو الاستقرار النسبيين، مثل كراهية الأمريكان للزنوج، اتجاه الفرد نحو تنظيم الأسرة، أو نحو تحرر المرأة، اتجاه الفرد نحو العولمة... إلخ. والاتجاه يحدد مدى ميل الفرد فكرياً ونفسياً وسلوكياً نحو بعض عناصر البيئة أو بعيداً عنها، (استجابة إقدام، أو استجابة إحجام) (تجاه أو ضد) (تفاعل إيجابي أو تفاعل سلبي)... والبعض يمثل الاتجاه بخط مستقيم على النحو التالي:



وفيما يلي نموذج لمقياس أعدَّه فيصل محمد خير الزراد حول الاتجاه لدى الأفراد في القوات المسلحة نحو استخدام الأجهزة الواقية ضد الغارات والإشعاعات في دولة الإمارات.





شكل (٩) اختبار بندر جشتالت البصري - الحركي لتشخيص الإصابات الدماغية، وحالات التلف أو التدهور في الوظائف العقلية (Bender Visual Motor Gestalt Test)

دولة الإمارات العربية المتحدة

القوات المسلحة

مستشفى زايد العسكري

قسم ....

(نموذج) استبيان الاتجاه الفكري والنفسي نحو استخدام الجهاز الواقــي ضــد الغــازات والإشعاعات لدى أفراد القوات المسلحة

إعداد الدكتور فيصل محمد خير الزراد

التعليمات

أخي الفاضل، تحية وبعد. في إطار إجراء دراسة علمية حول مدى تأثير عملية استخدام الجهاز الواقي ضد الغازات السامة والإشعاعات الضارة على مشاعرك النفسية وحالتك العقلية... يرجى قراءة الأسئلة التالية والإجابة عنها (بنعم) أو بوضع إشارة صح (✓) إذا كان السؤال ينطبق على حالتك العقلية أو مشاعرك النفسية، والإجابة (بلا) (X) إذا كان السؤال لا ينطبق على حالتك النفسية والعقلية. ابتعدْ عن التخمين قدر الإمكان، وأجب بصدق وصراحة، وإجابتك ستكون موضع دراسة علمية مفيدة، وتُحفظ في سرِّية تامة، ويمكن عدم كتابة الاسم إن أردت ذلك. شاكرين تعاونك معنا.

البيانات العامة

١ ـ الاسم

٢ ـ العمر

٣ ـ القسم أو الاختصاص

٤ ـ الرقم العسكري

٥ ـ المستوى التعليمي (يقرأ ويكتب، ابتدائي، إعدادي، ثانوي...).

٦ ـ الحالة الاجتماعية: (أعزب، متزوج، مطلق...)

٧ ـ الحالة الصحية: (أمراض سابقة، إعاقات بسيطة...)

٨ ـ إضافات.

أسئلة الاستبيان

	(الأسئلة)	(نعم)	(لا)
١ -	هل تدربت على الجهاز الواقي..؟		
٢ -	هل عملية التدريب كافية ومناسبة..؟		
٣ -	هل ترى بأن القناع واللباس الواقي مفيد عملياً في الوقاية من الإشعاع والغازات السامة...؟		
٤ -	هل ترى بأن القناع واللباس الواقي مصمم بشكل مناسب (من حيث الشكل والحجم والوزن والاستعمال...) لقدرات الفرد على التحمل؟		
٥ -	هل ترى بأنك تستطيع استخدام الجهاز بيسر وسهولة؟		
٦ -	هل تشعر بأن استخدام الجهاز يزيد من أعباء الفرد ومسؤولياته التعبوية؟		
٧ -	هل تعتقد بأن استخدام الجهاز يؤثر سلباً على وظائف الفرد الحيوية؟		
٨ -	هل تحاول تجنب استخدام الجهاز الواقي أو التدريب عليه؟		
٩ -	هل تشعر بأن الجهاز الواقي يؤثر سلبياً في مظهرك الخارجي؟		
١٠ -	هل هناك ما يزعجك عند استخدام الجهاز الواقي، اذكر بعض ذلك؟ ١ - ٢ - ٣ -		

	(الأسئلة)	(نعم)	(لا)
١١ ـ	ما هي المشاعر النفسية التي تنتابك عند استخدام الجهاز الواقي؟ ضع أشارة (✓) أمام المشاعر التي تنطبق على حالتك. ١ ـ مشاعر عادية. ٢ ـ مشاعر تقبُّل ورضا. ٣ ـ مشاعر أمن وطمأنينه (من التلوث) بعيداً عن الخطر. ٤ ـ مشاعر خوف. ٥ ـ مشاعر قلق، وتوتر، وارتباك.. ٦ ـ مشاعر حزن واكتئاب. ٧ ـ مشاعر كراهية، ورفض. ٨ ـ مشاعر ضيق واختناق. ٩ ـ مشاعر خلل وعدم اتزان. ١٠ ـ مشاعر ضحك وسخرية.. بسبب الشكل العام.		
١٢ ـ	هل تدور بذهنك بعض الأفكار أو الأحاسيس السلبية حول الجهاز الواقي واستخدامه... أذكر بعض هذه الأفكار: ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ		
١٣ ـ	يمكنك إضافة أية ملاحظات أو مقترحات تراها ضرورية حول الجهاز الواقي واستخداماته أو التدريب عليه.. وذلك من خلال خبرتك الشخصية: ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ		

٢٢ ـ مقياس الروح المعنوية للأفراد (Moral Measurement Test)، من إعداد فيصل محمد خير الزراد، وهو مقياس يقيس مستوى العامل المعنوي في تحقيق النصر والنجاح، وفي أداء المهمات، والروح المعنوية هي، في الواقع، التعبير عن العلاقات الإنسانية بين أفراد الجماعة وقادتهم، أو ساستهم، ورضا الأفراد عن أنفسهم وعن عملهم، بما في ذلك من ثقة وإرادة ووعي وأحاسيس ومشاعر إيجابية. وهي الحالة العقلية والنفسية للفرد في وقت معين، وهي تأخذ شكل قطب متغير بين الإيجاب في حالة الروح المعنوية العالية، والسلب في حالة الروح المعنوية الانهزامية، وعامل الروح المعنوية لا يقل أهمية عن السلاح وعن التكنولوجيا المتطورة، في حالة السلم وحالة الحرب، وهي عنصر هام في استثمار الطاقة البشرية.

٢٣ ـ اختبار القيم لألبورت وفرنون، إعداد مصطفى فهمي، ومحمد أحمد غالي، وهو يقيس القيم (Values) المسيطرة على سلوك الفرد ومدى الاهتمام النسبي ببعض أشكال السلوك الذي يرتبط بالقيم المختلفة. والاختبار يقيس القيمة الاجتماعية، والقيمة الدينية والأخلاقية، والقيمة النظرية، والقيمة الاقتصادية والعملية، والقيمة السياسية، والقيمة الجمالية... ويفيد الاختبار في تصنيف الأفراد حسب قيمهم، ودراسة الفروق بين الأفراد، (الأسوياء والجانحين)، وللاختبار تعليمات. ويتكون الاختبار من (١٠١) بنداً تغطي كافة أشكال القيم، وله مفتاح تصحيح وصدق وثبات.

٢٤ ـ مقياس قلق الانزعاج لدى المدمنين على الكحول والمخدرات والمؤثرات على العقل: (Discomfort Anxiety Scale for Alcoholics, Drug Abuser and Other Affecting Mood Substances) ـ من إعداد فيصل محمد خير الزراد ـ، ويهدف الاختبار إلى الكشف عن الأفكار والمعتقدات الخاطئة وراء عملية الإدمان والتي تعزز هذا السلوك الإدماني، أي تحديد الإطار الفكري للمدمن والكشف عن الأفكار اللاعقلانية حول سلوك الإدمان من أجل تنظيمها ثم العمل على دحضها وتغييرها من خلال أسلوب علاجي سلوكي ـ معرفي. وللمقياس صدق، وثبات، وتعليمات، ومعايير تائية،

ومفتاح تصحيح، وقد استخدم المقياس في العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الوطن العربي. والاختبار مكون من (٨٧) بنداً وعشرة أسئلة مفتوحة في النهاية، والبنود مكتوبة باللغة العربية واللغة الأجنبية وذلك حتى يستفاد منه لدى الأجانب المقيمين في الوطن العربي (ودول الخليج العربية)، والذين لا يعرفون اللغة العربية.

مقياس مستوى الروح المعنوية
في القوات المسلحة
(Morale measurement test)

الاسم:

العمر:

الوحدة أو مكان العمل الحالي:

الحالة التعليمية: (اقرأ وأكتب، ابتدائي، إعدادي، ثانوي، فوق الثانوي).

الحالة الاجتماعية: (متزوج، أعزب، مطلق. . .).

سنوات الخبرة في العمل الحالي: (   ).

العنوان ورقم الهاتف:

التاريخ:

التعليمات

أخي الفاضل/ أختي الفاضلة، فيما يلي مجموعة من العبارات أو الأسئلة التي تتعلق بمشاعرك ومقدار الثقة والإرادة لديك. . . يرجى قراءة هذه العبارات جيداً وفهم مضمونها ثم الإجابة عنها بوضع إشارة (✓) أمام الإجابة التي تشعر بأنها تنطبق على حالتك، يرجى الإجابة بصدق وصراحة، وإجابتك ستحفظ بسرية تامة وتكون موضع دراسة علمية، شاكرين تعاونك معنا.

١ ـ إن مناخ العمل داخل الوحدة العسكرية التي أعمل فيها:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ سيئ.

٢ ـ علاقتي مع الضباط والقادة:

أ ـ جيدة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة.

٣ ـ علاقتي مع أفراد الجماعة التي أنتسب إليها داخل وحدتي:

أ ـ جيدة.

ب ـ عادية (متوسطة).

جـ ـ ضعيفة.

٤ ـ النظام الإداري الذي أخضع إليه في وحدتي:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف أو سيئ.

٥ ـ إن شعوري من حيث الرضا الشخصي عن نفسي أو عن ذاتي هو:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ سيئ أو ضعيف.

٦ ـ إن شعوري من حيث رضا الآخرين (القادة والمدربين والزملاء...) عني هو:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ سيئ أو ضعيف.

٧ ـ شعوري من حيث الرضا عن عملي الذي أقوم به داخل الوحدة هو:

أ ـ جيد

ب ـ عادي (وسط)

جـ ـ سيئ أو ضعيف.

٨ ـ إن مشاعري من حيث اعتزازي بالخدمة العسكرية وبهذه المهنة:

أ ـ جيّدة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة.

٩ ـ أتقيد بالأوامر والتعليمات بشكل:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

١٠ ـ ثقتي بوسائل الإعلام ومصادر المعلومات في القوات المسلحة:

أ ـ جيدة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة.

١١ ـ قواتنا المسلحة على مستوى من تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات:

أ ـ بشكل جيد.

ب ـ بشكل عادي (وسط).

جـ ـ بشكل ضعيف.

١٢ ـ ثقتي بقادتي في القوات المسلحة:

أ ـ جيدة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة.

١٣ ـ حماسي لأداء الواجبات المطلوبة مني هو:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

١٤ ـ إن التعامل بين الضباط وأفراد القوات المسلحة يتم بشكل:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

١٥ ـ التردد في تنفيذ الأوامر والتعليمات:

أ ـ لا أتردد مطلقاً.

ب ـ أتردد أحياناً.

جـ ـ أتردد في معظم الأوقات.

١٦ ـ إننا قادرون على الدفاع عن إنجازات دولتنا وأمنها بشكل:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

١٧ ـ قواتنا المسلحة توفر كافة الإمكانيات اللازمة لأفرادها بشكل:

أ ـ جيد.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

١٨ ـ الإعلام العسكري يزودنا بالأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة والمعلومات المفيدة:

أ ـ بشكل جيد (باستمرار).

ب ـ بشكل عادي (وسط) (أحياناً).

جـ ـ بشكل ضعيف (لا يزودنا في معظم الأحيان).

١٩ ـ الإيمان بالله يعتبر من دعائم الفرد الذاتية في الحياة:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ أحياناً.

جـ ـ بشكل ضعيف (ليس دائماً).

٢٠ ـ ثقتي بعمليات الإعداد والتدريب لأفراد القوات المسلحة:

أ ـ كبيرة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة

٢١ ـ إنني أشعر بأن التعاون والاحترام بين أفراد القوات المسلحة متوفر بشكل:

أ ـ كبير.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

٢٢ ـ الإدارة العسكرية هي إدارة ناجحة بمقدار:

أ ـ كبير.

ب ـ عادي (وسط).

جـ ـ ضعيف.

٢٣ ـ قدرتي على تحمل الضغوط النفسية ومواجهة الخوف والمشاق...:

أ ـ كبيرة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ ضعيفة.

٢٤ ـ أقاوم الإشاعات والدعايات المغرضة ضد قواتنا المسلحة ودولتنا بشكل:

أ ـ كبير جداً:

ب ـ بشكل عادي.

جـ ـ بشكل ضعيف.

٢٥ ـ أعاني من القضايا أو المشاكل داخل القوات المسلحة:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ بشكل عادي.

جـ ـ لا أعاني من قضايا.

٢٦ ـ أشعر بالراحة النفسية والفكرية في حياتي العسكرية:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ عادي (متوسط).

جـ ـ بشكل ضعيف.

٢٧ ـ أحافظ على الأسرار العسكرية:

أ ـ دائماً.

ب ـ أحياناً.

جـ ـ أهمل ذلك.

٢٨ ـ قادتي يستمعون لي ويعملون على مساعدتي في تحسين أحوالي العامة:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ بشكل عادي (وسط).

جـ ـ بشكل ضعيف.

٢٩ ـ أهتم بالأدوات والمعدات العسكرية:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ بشكل عادي (وسط).

جـ ـ بشكل ضعيف.

٣٠ ـ أرغب في النقل إلى وحدة عسكرية أخرى:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ أحياناً.

جـ ـ لا أرغب.

٣١ ـ إنني أهتم بلياقتي البدنية وصحتي العامة:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ بشكل عادي (وسط)

جـ ـ بشكل ضعيف.

٣٢ ـ أهتم بمظهري العام (القيافة العسكرية):

أ ـ كثيراً.

ب ـ بشكل عادي.

جـ ـ لا أهتم.

٣٣ ـ التزم بنظام الحضور والغياب والإجازات في وحدتي العسكرية:

أ ـ بشكل كبير.

ب ـ بشكل عادي (وسط).

جـ ـ بشكل ضعيف.

٣٤ ـ العقوبات التي تعرضت إليها داخل القوات المسلحة:

أ ـ كثيرة.

ب ـ عادية (وسط).

جـ ـ قليلة جداً (أو لا أتعرض).

٣٥ ـ لا أعاني من قلق نفسي أو من أي مخاوف نفسية أو توترات، وأشعر بأن شخصيتي ثابتة:

أ ـ بشكل كبير (لا أعاني).

ب ـ بشكل عادي (أعاني).

جـ ـ بشكل ضعيف (أعاني بشدة).

يمكن للمفحوص إضافة أي خبرات أو صفات تتعلق بالروح المعنوية لديه، وعادة تُعطى (درجة)، (ودرجتان)، وثلاث درجات للاستجابة الإيجابية، وبهذا تتراوح الدرجات الخام بين (٣٥) درجة و(١٠٥) درجات، وكلما زادت الدرجة عن المتوسط كلما دل ذلك على ارتفاع مستوى الروح المعنوية لدى الفرد، والعكس.

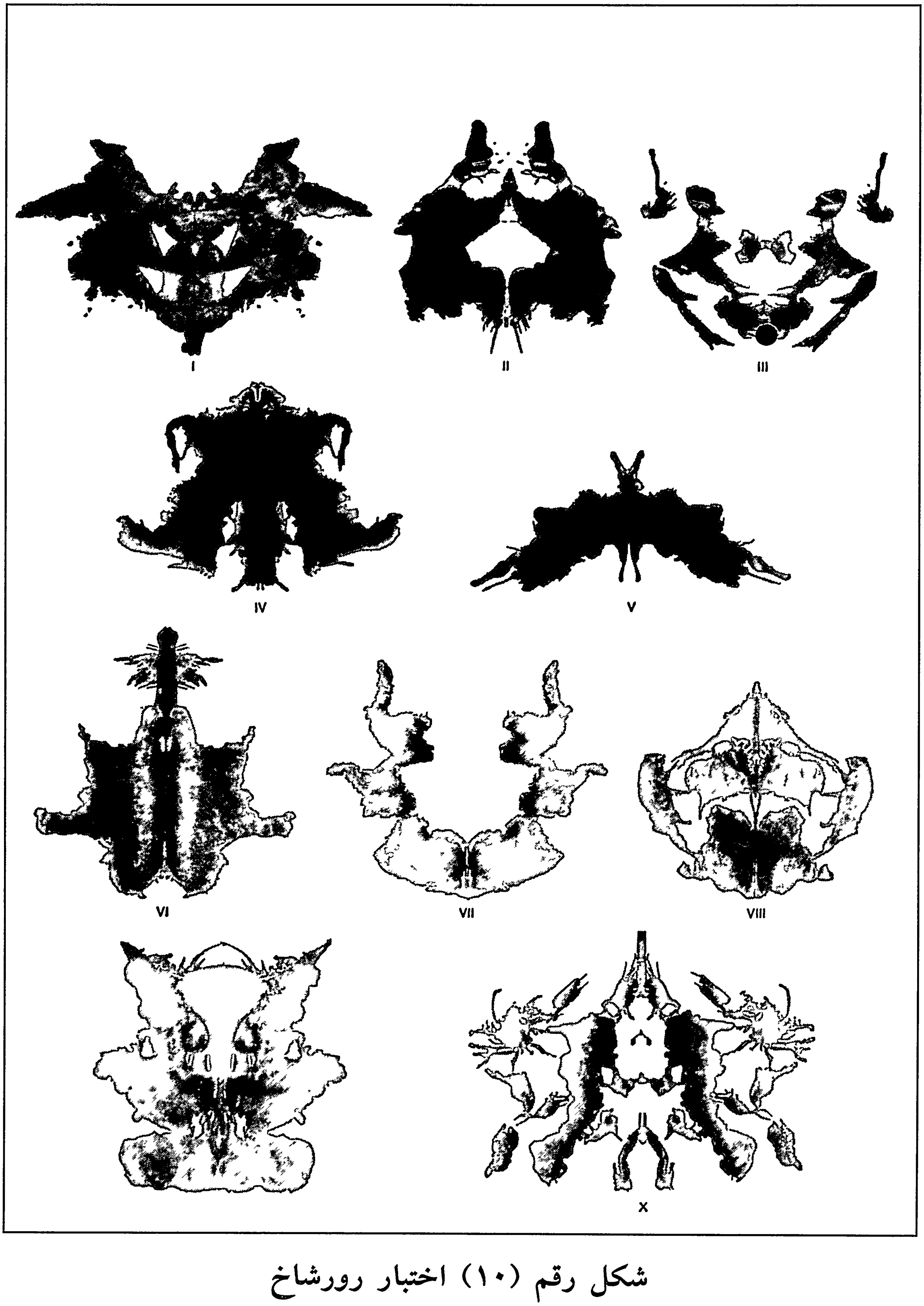
٢٥ ـ الاختبارات الإسقاطية (Projective Tests): هي وسائل غير مباشرة في دراسة الشخصية، والتي بواسطتها يمكن الكشف عن شخصية الفرد نتيجة ما تهيِّئه من مادة مناسبة يسقط عليها الفرد حاجاته ودوافعه ورغباته ومدركاته ومشاعره وتفسيراته الخاصة من دون أن يفطن إلى ما يقوم به من عملية. والإسقاط هو أحد العمليات الدفاعية التي يعزو بها الفرد دوافعه وإحساساته ومشاعره إلى الآخرين أو إلى العالم الخارجي، ويعتبر ذلك بمثابة عملية دفاعية تتخلص بها الأنا من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها، والتي إن بقيت سببت الألم للأنا (The Ego). والإسقاط عملية لاشعورية، عملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية، يترتب عليها خفض حدَّة القلق والتوتر لدى الفرد. والفرد عندما تعرض عليه مثيرات غير متشكلة وغامضة إلى حد ما ويطلب من الفرد أن يستجيب إليها يسقط على هذه المثيرات المبهمة حاجاته ونزعاته في صورة استجابات لهذه المثيرات، فحاجاتنا وإدراكاتنا السابقة تؤثر في إدراكاتنا الراهنة (لورنس فرانك L. K. Frank)، لهذا شاعت الاختبارات الإسقاطية نظراً لأهميتها في مجال الشخصية. إن الموقف المثير الذي يستجيب إليه الفرض غير متشكل وناقص التحديد وغير منتظم ومن شأن ذلك أن يقلل من التحكم الشعوري للفرد في سلوكه، والفرد يستجيب بدون أن تكون لديه أي معرفة عن كيف أو من أي جهة سوف يتم تقدير الاستجابات، وفي نفس الوقت يعبِّر الفرد عن أفكاره ومشاعره ورغباته في تشكيل المادة غير المتشكلة، إنها تعطي صورة كلية عن الشخصية. مثل هذه الاختبارات اختبار تداعي الكلمات لڤنت وكاتل، كربلين، سومر، واختبار تكملة الجمل الناقصة مثل اختبار روتر (Rotter Incomplete Sentences Blank) (ISB)، واختبار تفهم الموضوع: (Thematic Apperception Test) (TAT))، وهو من أكثر الاختبارات الإسقاطية شيوعاً، ويستخدم في أعمال العيادة النفسية وفي دراسة الشخصية، وهو يتكون من عشرين صورة، وهناك صور خاصة بالذكور وصور خاصة بالنساء، ويطلب من المفحوص تقديم قصة عن كل صورة منها. وضع الاختبار هنري موراي H. Murray وزميلته (Morgan) (١٩٣٥)، والقصة التي يرويها المفحوص تكشف عن مكوناته الشخصية، ويعتمد ذلك على نزعة

الفرد إلى تفسير المواقف الإنسانية الغامضة بما يتفق وخبراتهم السابقة ورغباتهم الحاضرة وآمالهم في المستقبل. وهناك نزعة شعورية ولاشعورية لدى كتّاب القصص في أن يغرقوا كتاباتهم بخبراتهم الشخصية، ويعبرون عما يدور في أنفسهم من مشاعر ورغبات. وهناك استمارة خاصة لتحليل القصص (استمارة بلاك) (الموضوع الرئيسي، البطل، الحاجات الأساسية للبطل، الحاجات السلوكية، الأشخاص والأشياء والظروف، والدلالة الديناميكية، البيئة المحيطة، الشخصيات الوالدية، أنواع الصراع، طبيعة القلق، وسائل الدفاع النفسية لمواجهة الصراع، شدَّة الأنا الأعلى، تكامل الذات كما تعبر عن نفسها، عمليات التفكير كما تظهر في حبكة القصة، التفسير).

ولاختبار الذات دلالة تشخيصية في مجال الطب النفسي والعيادات وأعمال علم النفس السريري، وهو يكشف عن حالات التقلب الوجداني، والاكتئاب، والوسواس القهري، وحالات البارانويا والفصام، الجنسية المثلية، والجناح...

ومن الاختبارات الإسقاطية الهامة اختبار بقع الحبر لهيرمان رورشاخ، كان (ليونارد دي فنشي) أول من أشار إلى الطبيعة الذاتية للمدركات التي تثيرها المثيرات الغامضة غير المتشكلة، وأدرك رورشاخ ذلك (كان والده مدرساً للرسم) وأهمية هذه الأفكار، واهتم الكثيرون بعده ببقع الحبر كرنر (١٨٥٧)، ديربورن (١٨٩٨، بينيه..). وألف رورشاخ كتابه (التشخيص النفسي) ولاحظ بأنه كلما زاد الفرد إمعاناً في بقع الحبر كان أكثر قدرة على تكوين أشكال بصرية، كما أصبح محتوى الإجابات أكثر إبداعاً، وتبين بأن سمات شخصية الفنان العقلية الانفعالية يمكن أن تنعكس فيما يبدعه من أشكال، ويتألف اختبار رورشاخ من عشر بطاقات أو صور، وتتكون كل صورة من أشكال متماثلة (Symmetrical)، واختيرت هذه الصور من بين عدد كبير جداً من الصور، لأنها تثير أكبر قدر من الاستجابات المختلفة لدى الأشخاص المختلفين، وإن هذه الصور تقدم حسب ترتيب معين يكفل بقاء استثارة المفحوص، خمسة منها تتكون من ظلال مختلفة، وصورتان من الظل الأسود والأحمر، والثلاثة الباقية تتكون من ألوان متعددة غير الأسود. وضعت الصور على بطاقات محددة (٧ × ٩ ½) بوصة، وللاختبار إجراءات

خاصة للتطبيق، انظر شكل (١٠). ويرى رورشاخ وبيك ضرورة جلوس الفاحص خلف المفحوص وذلك ليرى البطاقة بالنظر من فوق كتف المفحوص، ويرى (ربابورت) (وشافر) ضرورة جلوس الفاحص مقابل المفحوص حتى يشاهد ما يطرأ على المفحوص من تعبيرات وانفعالات، ويترك الأمر للفاحص، والفاحص يمسك البطاقة ويترك مسافة معقولة كما في حالة القراءة، حوالي (٤٠) سم، ويفضل التطبيق في ضوء النهار، أو في إضاءة كافية، وتعطى التعليمات والمثال على بقعة الحبر (انظر في البطاقة وقل لي ما ترى فيها أو ماذا تتصور فيها، وعندما تنتهي قل إنني انتهيت حتى ننتقل إلى الصورة التالية. . .)، ويجب عدم التسرع في أخذ البطاقة بل عليه التشجيع من أجل تداعيات أو إجابات أخرى، ولا بد من حساب الزمن (Stop Watch)، ويمكن تدوير البطاقة، ويتم تسجيل الإجابات وينظر إلى الاستجابات التحديد المكاني (Location)، والعامل المحددة للاستجابة (Determinant) والمضمون (Content)، هل الاستجاة مألوفة أو الذي فيه جدة وإبداع (Popularity)، استجابة اللون، صدمة اللون، الظلال، ويستفاد من الاختبار في تشخيص الأمراض النفسية مثل حالات الوسواس والهستريا، والسيكوباتية، الاكتئاب، الفصام، الضعف العقلي، وغير ذلك.



شكل رقم (١٠) اختبار رورشاخ

٢٦ - مقياس التفاعل الاجتماعي: (Social Interaction Scale) داخل الوحدة: إن القوات المسلحة عبارة عن وحدات تحتوي على مجموعة من الأفراد أو الشخصيات المتفاعلة، والتفاعل الاجتماعي يتضمن حدوث مجموعة من التوقعات. ومن أشكال التفاعل الاجتماعي التوافق، والتعاون، والتنافس، والصراع. ويتضمن التفاعل التأثير المتبادل الإيجابي أو السلبي لسلوك الأفراد أو الجماعات، والذي يتم عن طريق الاتصال واللغة والرموز والإشارات، وتلوُّن الثقافة التي يعيش فيها الأفراد، وكذلك طبيعة العمل أو المهنة نمط هذا التفاعل الاجتماعي. والتفاعل الاجتماعي من الأمور الهامة في مجال القوات المسلحة حيث يتم معرفة العلاقات التي تربط بين أفراد القوات المسلحة، بعضهم ببعض، عقلياً ونفسياً ودافعياً، وفي الحاجات، والمشكلات، والرغبات، والأهداف، والخبرات... والتفاعل الاجتماعي يتوقف على شخصية الفرد ومكانته الاجتماعية، ويؤكد كثيرون من القادة على أهمية الحب والمودة والوفاق في عملية التفاعل الاجتماعي، وضرورة المشاركة في القيم والميول والاتجاهات... وتحقيق الأهداف، وأحياناً يحدث تفاعل بين جماعتين أو أكثر مما يثير روح التنافس، أو الإحباط، أو الاتجاهات السالبة في حالة وجود توتر بين الجماعات. وإذا كانت هناك أهداف واحدة بين الجماعات المختلفة فإن هذه الجماعات تميل إلى التعاون ويقل ما بينها من صراع أو توترات، وقسم بيلز (Beles) (١٩٥٠) في كتابه (تحليل التفاعل الاجتماعي)، التفاعل الاجتماعي إلى مراحل هي التعرف على المواقف، والتقييم، واتخاذ القرار، وعلاج التوترات، والتكامل لدى الجماعة. كما أن للتفاعل الاجتماعي أنماطاً، تفاعلاً محايداً، وتفاعلاً اجتماعياً سلبياً، وتفاعلاً إيجابياً. إذن، هناك تمايز وتوزيع للأدوار الاجتماعية داخل الجماعة. ومن أهم طرق قياس التفاعل الاجتماعي هي قياس شكل التفاعل الاجتماعي (الاتصال الاجتماعي أثناء عملية التفاعل، العدد الإجمالي للاتصالات، وزمن الاتصال بالنسبة لكل فرد، وتكرار عبارات تستخدم في الاتصال...). وقياس محتوى التفاعل الاجتماعي (لفت النظر، الاتصال اللفظي، طلب معلومات، مساعدة، مبادأه، مجادلة... إلخ)، قياس الهدف من التفاعل الاجتماعي مثل (السيطرة،

الاعتماد، تحقيق المكانة، العدوان، التنفيس، تأكيد الذات...) قياس وظيفة التفاعل الاجتماعي (طلب أو إعطاء تعليمات، طلب رأي أو إبداء رأي، طلب اقتراحات، تقديم اقتراحات معارضة، مؤيدة، موافقة، إظهار توتر، وتخفيف توتر، إظهار التماسك). ويمكن عمل بروفيل فردي أو جماعي للتفاعل الاجتماعي. هذا وقد وضع جولي (H. E. Gulley) (١٩٦٨) بعض الأسئلة المقننة لدراسة وتقييم مستوى التفاعل الاجتماعي (الإيجابي أو السلبي) داخل جماعة من الجماعات القيادية، ولمعرفة الأدوار القيادية في الجماعة، حيث طلب ترتيب الأفراد حسب درجة النشاط الذي يبدونه في الجماعة، وعدد الأفكار القيمة التي يقدمونها، ومقدار الحب الذي ينالونه، وتبيَّن أن القيام بنشاط أكبر، والمشاركة بالأفكار القيمة هي أساس إحراز المكانة القيادية. وقد تم وضع المقياس التالي للتفاعل الاجتماعي: مجموعة من الأسئلة أو الاستفسارات يجاب عنها بنعم أو لا، ثم يتم تصحيح الإجابات، وإعطاء درجة لكل إجابة صحيحة، ثم يتم رسم البروفيل التفاعلي للجماعة (مورينو).

مقياس التفاعل الاجتماعي بين أفراد الوحدة

الأسئلة	(نعم)	(لا)
١ ـ إلى أي حد يسمح مناخ الجماعة بحرية الكلام؟		
ـ هل جو الوحدة غير رسمي وغير جامد؟		
ـ هل يشارك كل عضو في التفاعل؟		
ـ هل يستجيب الأعضاء للاشتراك مع الأعضاء الآخرين في المناقشات بطريقة تشجعهم على الاستمرار في المناقشة؟		
ـ هل تستجيب القيادات لمشاركة الأتباع في المناقشة بطريقة تشجعهم على الاستمرار في المناقشة؟		
ـ هل الظروف المحيطة مشجعة على الكلام والمناقشة وإبداء الملاحظات؟		
ـ هل يبدو الأعضاء متحمسين للمناقشة في المشكلة التي يدور حولها الحوار؟		
ـ هل يرى الجماعة بأن المشاركة مجدية؟		
٢ ـ إلى أي حد يعتبر أعضاء الجماعة مؤتلفين؟		
ـ هل يعتبرون أصدقاء؟		
ـ هل يستمتعون بالحديث إلى بعضهم؟		
ـ هل يبتسم الأعضاء بين الحين والآخر عندما يتناقشون؟		
ـ هل يسلك الأفراد بطريقة ودية تبعث على المحبة والاطمئنان؟		
ـ هل يشاركون بعضهم مشاركة وجدانية في حال حدوث مشكلة لأحدهم؟		
٣ ـ إلى أي حد يعمل أفراد الجماعة كوحدة متماسكة؟		
ـ هل هناك مساعدة متبادلة بين الأعضاء؟		
ـ هل يعتمد الأعضاء بعضهم على بعض للمساندة؟		
ـ هل تسود روح الجماعة وتغلب على الفردية؟		
ـ هل يهتم الأفراد بجذب المخالفين ودمجهم في قلب الجماعة؟		
ـ هل يهتم الأعضاء بمصالح الجماعة أكثر من المصلحة الشخصية؟		
ـ هل يبدو أن أفراد الجماعة متعاونين أكثر منهم متنافسين؟		
٤ ـ إلى أي حد يسود التفاعل الاجتماعي السليم؟		
ـ هل يسهم الأعضاء إسهاماً كبيراً ومفيداً في التفاعل الاجتماعي؟		

الأسئلة	(نعم)	(لا)
- هل يوجه الاتصال للجماعة ككل؟ - هل الأفراد مستمعون جيدون؟ - هل الإسهام في التفاعل يتعلق بما سبق من تفاعلات ويبنى عليه؟ ٥ - تقييم اشتراك الفرد في التفاعلات الاجتماعية. - هل لدى الفرد اتجاهات تعاونية؟ - هل ينظر إلى المشكلة بطريقة موضوعية؟ - هل يتفاعل مع الآخرين بطريقة موضوعية؟ - هل يتعاون كجزء من الجماعة؟ - هل يناقش بحماس؟ ٦ - هل يشترك الفرد ويسهم إسهاماً بناءً في المناقشة؟ - هل لديه معلومات كافية؟ - هل هو متيقظ ومنتبه طوال الوقت؟ - هل يجيب أكثر مما يسأل؟ - هل يعطي معلومات عندما يطلب منه ذلك؟ - هل يفكر تفكيراً منطقياً؟ - هل يبني تفكيره وينظمه حسب ما انتهى إليه تفكير الآخرين؟ - هل يتقبل النقد والملاحظة؟ - هل هو واثق من مناقشاته؟ - هل هو مرن وغير متعصب لأفكاره؟ - هل هو يلتزم بآداب الحديث والحوار؟ ٧ - هل لغته في المناقشة واضحة؟ - هل كلامه واضح ودقيق؟ - هل كلامه مركّز على الموضوع؟ - هل كلامه منصف للآخرين؟ ٨ - هل يساعد قائد جماعته؟ - هل يعمل من أجل تماسك الجماعة؟ - هل يعمل على جمع شمل الجماعة والوصول إلى الهدف؟ - هل يمتنع عن التدخل في اختصاصات القائد؟		

الأسئلة	(نعم)	(لا)
٩ ـ هل يراعي أخلاقيات التفاعل الاجتماعي؟ ـ هل يمتنع عن التحريف والتضليل أو الكذب..؟ ـ هل يمتنع عن توجيه موضوع الحوار حسب أغراضه الشخصية؟ ـ هل يتكلم ويفكِّر باحترام وعدل؟ ـ هل هو مطيع للتعليمات الصادرة إليه من القادة؟ ـ هل يحافظ على أسرار الوحدة؟		

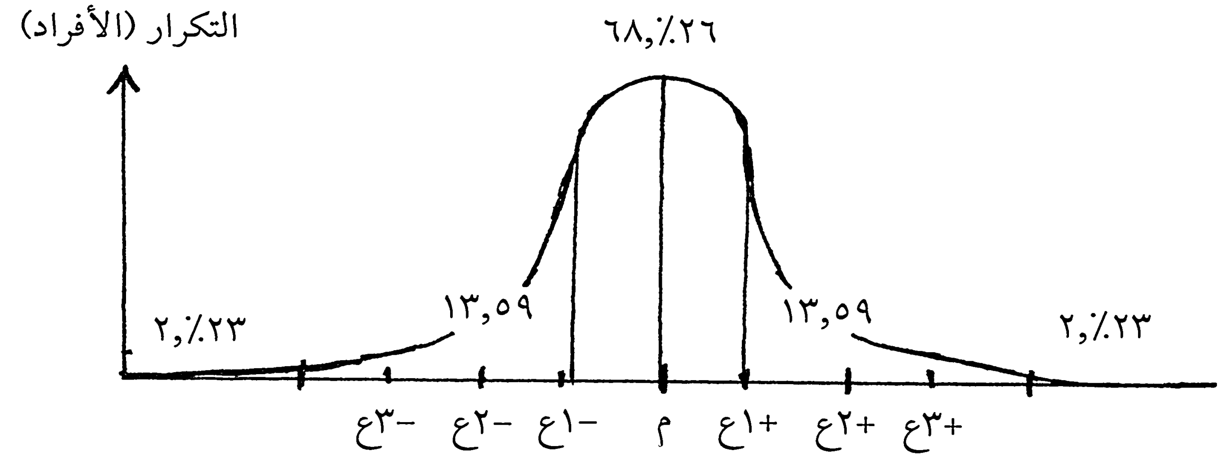
تصنيف الأفراد وتأهيلهم في ضوء نتائج القياس والتقييم

إن هذه الاختبارات السابقة تساعد القادة في القوات المسلحة على وضع الفرد العسكري في الوظيفة التي تلائم قدراته العقلية وسماته الشخصية، حيث أن سرعة تعلم العسكري، وإعداده وتدريبه تتوقف على نجاحه في عملية التلاؤم، ولا أحد ينفي بأن أكثر المهن والمهام العسكرية بحاجة إلى مهارة مسبقة أو استعدادات خاصة أكثر من الحاجة إلى الخبرة الفنية الخالصة، وبالإضافة لذلك فإن ما يطالب به الضباط القادة يختلف عما يطالب به ضباط الصف أو الأفراد، حيث أن الضابط يحتاج إلى خبرات عقلية ولياقة جسمية تؤهله لممارسة فن القيادة، كما أن هناك بعض المهن الاستثنائية التي تحتاج إلى مهارات خاصة مثل الطيران، والهندسة، والكيمياء.. وسلاح الإشارة والرادار... مما يصعب أن نجد ذلك لدى الأفراد في الحياة المدنية، وفي مثل هذه الحالات لا بد من الكشف عن الاستعدادات والقدرات والقابليات العقلية لدى الأفراد المرشحين لمثل هذه المهام أو الاختصاصات العسكرية، ومن ثم لا بد من التأهيل والتدريب لمن تتوفر لديهم الاستعدادات والقدرات اللازمة، مثلاً يمكن تحويل السائقين العاديين في الحياة المدنية إلى سائقي دبابات وآليات عسكرية، وبهذا لا يمكننا الاستغناء عن القياس والتقييم العقلي والنفسي.

لتصنيف الأفراد والقدرات والمهارات الفنية، وهذا ما يشغل ذهن القادة في القوات المسلحة، لهذا كان تعليم وتدريب أفراد الوحدة أمراً ضرورياً

وهاماً للوصول بالأفراد إلى جاهزية قتالية عالية وبأسرع وقت ممكن. والمشكلة في معظم أفراد قواتنا المسلحة وجود عناصر هم أقرب إلى الأمِّيَّة وذوي قدرات عقلية ضعيفة لا تستطيع اكتساب المهارات أو تعلم الخبرات اللازمة، وهذا ما يتطلب التقييم والتصنيف واستبدال الأفراد بآخرين من ذوي القدرات العقلية والشخصية الأفضل حتى لا يتم إلحاق الضرر بالوحدات العسكرية التي نقلت إليها العناصر الضعيفة، ولذلك فإن الإجراء الصحيح هو تصنيف الأفراد حسب قدراتهم وقابلياتهم منذ البداية، من قبل قيادة الجيش (أو قيادة الشرطة...). ولا بد (كما أشرنا سابقاً) من النظر إلى الفروق الفردية بين الأفراد وذلك لتجنب الخلط بينهم وبحيث يؤدي ذلك إلى وجود وحدات يتصف أفرادها بقدرات عالية وكفاءة قتالية، ووحدات أخرى يتصف أفرادها بضعف المهارات والقدرات وضعف التدريب العسكري والقتالي، وسنشير في حديثنا في الفقرات القادمة عن التعلم والتدريب (Learning and Training) إلى أن الأفراد يختلفون في قدرتهم على التعلم باختلاف قدراتهم، وعلى الرغم من هذا الاختلاف فإن معظم الناس حسب منحنى جاوس (Gauss)[1] يتوزعون حول المتوسط بنسبة (٦٨,٢٦٪)، والنسبة الباقية تتوزع مناصفة بين المتفوقين عقلياً، والضعاف عقلياً، وهذا ما ينعكس على قدرة الفرد على الاكتساب والتعلُّم، فبعض الأفراد أكثر بثلاثة أضعاف من

(١) منحنى جاوس (راجع شكل رقم (٤)).



منحنى جاوس (التوزيع الاعتدالي)
(Standardized Normal Curve)

البعض الآخر في القدرة على التعلُّم، وهناك ندرك أهمية القابلية والقدرات، أي القدرة على التعلُّم (أحد تعريفات الذكاء)، والقدرة على الأداء أو الإنجاز أو التحصيل أو الإنتاج.. إن عملية الإتقان (Mastering) والسرعة (The Speed) من الأمور الهامة (وكما سنرى في مجال التعلم والتدريب)، في مجال التعليم والتدريب والقوات المسلحة. فالمدرب في كلية الطيران مثلاً يجد بعض الطلاب يستطيعون الطيران بمفردهم بعد عشر ساعات من التدريب مع المدرب، بينما يحتاج آخرون إلى (١٥ ـ ٢٠) ساعة تدريب، فالسرعة في التعلم من الأمور الهامة في المهن العسكرية، وخاصة عندما تكون هناك حاجة ماسة إلى خطط استراتيجية عسكرية لا بد من تنفيذها في مدة معينة، أو عندما تكون هناك حاجة إلى إعداد سريع للجيش، ولكن ذلك لا يعفي القوات المسلحة من وجود أفراد أو مستوى بطيئي التعلُّم (Slow Learner)، أو ذوي قدرات ومهارات محدودة، ومثل هؤلاء يمكن تحويلهم إلى أعمال أو مهام أو مهن عسكرية لا تتطلب المهارات والقدرات أو السرعة في الأداء، وتعتبر الفروق الفردية من حيث السرعة، ودقة الاستجابة (Speed and Accuracy of Reaction)، وزمن الرجع (Reaction Time)، من الأمور الهامة في القوات المسلحة، ففي بعض الظروف العسكرية أو الحربية يتقرر بأن لا تتجاوز سرعة الرماية الثانية الواحدة وهي التي تقرر مصير حياة الفرد العسكري، وعادة يتم من خلال فحص اللياقة البدنية والنفسية وخاصة لدى مهنة الطيران الحربي إجراء اختبارات على زمن الاستجابة وردود الفعل، بما في ذلك اختبارات التوافق الحركي ـ البصري ـ اليدوي، وعادة تتحدد الفروق الفردية في الاستجابة الصحيحة بين (١,٣ ـ ٤,٨) ثانية، وتتحدد صلاحية المفحوص للطيران في حدود زمن الاستجابة، ومن حدود الأخطاء المرتكبة. (محمد الحجار، علم النفس العسكري، ٢٠٠٥م).

من ناحية أخرى هناك فروق بين العسكريين تتجاوز الدقة والسرعة وحسن الأداء في التعلُّم لتشمل الاهتمامات والميول والدوافع. والحوافز (Incentives) هي التي تقرر في الواقع دقة العمل، وكذلك التدريب الذي يصحبه حوافز هو الذي يخلق المهارة لدى العسكري، وقد ثبت بأن الأفراد المثقفين بشكل عام تتوفر لديهم اهتمامات بأعمالهم ووظائفهم، وهناك فكرة

خاطئة يحملها معظم القادة العسكريين بالنسبة للمجندين من حملة الشهادات العليا والمؤهلات الجامعية، حيث يعتبرون أن هؤلاء المجندين يتصفون بالميوعة وضعف الشخصية بسبب عدم خبرتهم بمشاكل الحياة، وعدم تعرضهم للأزمات الخطيرة، لذلك فهم يرون بأن الصرامة والقسوة في المعاملة يمكن أن تصقل شخصياتهم ويجعلهم يستجيبون للمتطلبات العسكرية، وهذا الاعتقاد خاطىء، والقوات المسلحة في أمس الحاجة إلى هؤلاء المثقفين الذين هم في حاجة لإتاحة الفرص للتعبير عن قدراتهم واستثمارها إلى أقصى الحدود، وإلاّ خسرنا إنتاجهم وقدراتهم.

وثمة نقطة أخرى على مستوى من الأهمية وهي أن توفُّر قدرات عقلية عالية قد لا يخلق من العسكري إنساناً قائداً ناجحاً... بالرغم من قيمة الذكاء في القيادة، إلاّ أنه ليس كل شيء، ونحن نلاحظ قادة متقاربين في مستوى الذكاء العام، لكن هناك قائداً محبوباً من قبل أفراد وحدته، بينما هناك قائد آخر فاشل في خلق الروابط الأخوية بين أفراد وحدته، وسنرى بأن القيادة، بمفهومها العميق تقاس بالكيف والنوعية، وهي عبارة عن مسؤولية كبيرة وتستلزم عوامل أخرى للنجاح غير القدرات العقلية، مثل الخبرة، وسمات الشخصية... وغير ذلك (الإفراط والتفريط في مستوى الأداء والتحصيل). ونحن في الواقع لا نلمس القدرة، فهي تكوين افتراضي، ولكن نلمس الأثر والنتائج المترتبة على القدرة (كما نستدل على التيار الكهربائي من آثاره) مثل الإنجاز والأداء والتحصيل والإنتاج المادي... والإنجاز أو الأداء هو السلوك أو العمل الذي نلاحظه بالعين ونستطيع قياسه بالاختبارات النفسية أو العقلية، ويمكن حساب معاملات الارتباط (Correlation Coefficient) بين القدرة العقلية ومستوى الأداء، أو بين التدريب، والأداء، أو القلق والأداء.. إلخ. هذا وَقد توسعت الدراسات النفسية حول القدرات العملية اللازمة في القوات المسلحة، وتوصل الباحثون إلى وجود القدرات التالية، (كنا قد أشرنا لأسمائها سابقاً): القدرة الميكاينكية وهي من القدرات الهامة في القوات المسلحة لشغل أي وظيفة ميدانية، ومن المعروف بأن كافة الأسلحة تحتاج إلى قدرة ميكانيكية لإتقان التدريب عليها، (دراسات كوكس في بريطانيا وباترسون في

جامعة منسوتا)، كما أن هارل (Harrel) استخلص عن طريق التحليل العاملي (Factorial Analysis) وجود العوامل الثلاثة في المهارة الميكانيكية وهي:

١ ـ عامل مكاني في اختبارات الورق والتعلم، وهو القدرة على تصور المكان بصرياً.

٢ ـ عامل المهارة اليدوية.

٣ ـ عامل إدراكي ويدخل في اختبارات الصور وتجميع الأدوات، ويعتمد على السرعة والدقة في إدراك التفاصيل المختلفة في الأشكال.

إلاّ أن دراسة جيلفورد (١٩٤٨) حول السلاح الأمريكي للطيران، أوضحت بأن الاختبارات الميكانيكية تعتمد على عاملين هما عامل التصور البصري للمكان، وعامل المعلومات الميكانيكية، وبطريقة التحليل الإحصائي تبين لجلفورد، في النهاية، وجود عامل التصور المكاني للمكان، والسرعة والدقة في الإدراك (Perception)، وثالثاً عامل المعلومات الميكانيكية.

بعد القدرة الميكانيكية توجد القدرة الكتابية، وهي قدرة هامة في المؤسسات التجارية والصناعية والعسكرية لتوفير كتبة ومحاسبين وإداريين أكفاء في الوظائف التجارية والإدارية والعسكرية، ويعود الفضل في اكتشاف القدرة الكتابية إلى مكتب التوظيف في أمريكا، الذي أعدَّ مجموعة اختبارات، كاختبار منسوتا للأعمال الكتابية، ثم جاءت دراسة هيئة تحليل المهن في أمريكا فبينت أهمية القدرة الكتابية في النجاح في الوظائف الكتابية، وتبين أن هذه القدرة تتكون من عاملين، عامل سرعة إدراك التشابه العددي أو اللغوي، وعامل السرعة والدقة في إدراك تفاصيل الرسوم والأشكال، وهذا العامل اكتشفه (ثورستون)، وهذه كلها مطلوبة في أعمال ومهام القوات المسلحة.

الفروق الفردية بين الأفراد من حيث القابليات والقدرات وزمن الرجع

يختلف الأفراد عن بعض من حيث الجنس، والبيئة، ومستوى الذكاء، والقدرة على التعلم، وسرعة الأداء وزمن الرجع (Reaction Time)، وبالرغم من هذا الاختلاف إلاّ أن معظم الأفراد، حوالي (٦٨٪)، يتوزعون حسب

المتوسط في منحنى جاوس. إن في مقدور بعض العسكريين أن يتعلموا استخدام رموز اللاسلكي في غضون ثمانية أسابيع وبمعدل (١٦) كلمة في الدقيقة، في حين يحتاج آخرون إلى (٥ ـ ٦) أشهر، فالقابلية العقلية هي مهارة واستعداد وهي القدرة على التعلم بإتقان وسرعة وأقل أخطاء، وهي القدرة على الأداء والإنجاز الدقيق والسريع في آن واحد، والقائد يدرك الفروق الفردية بين الأفراد، فالمدرب في كلية الطيران يجد طلاباً يستطيعون أن يطيروا بمفردهم بعد تدريب حوالي عشر ساعات من التدريب، بينما يحتاج غيرهم إلى (١٥ ـ ٢٠) ساعة أو أكثر، والسرعة في التعلم أمر مهم في المهن العسكرية، وخاصة إذا كانت هناك حاجة إلى إعداد سريع للوحدات العسكرية، ولكن كل ذلك لا يعفي القوات المسلحة من وجود أفراد بطيئي التعلم (Slow Learner) وبالمقابل هناك أعمال ومهن في القوات المسلحة لا تتطلب السرعة والدقة والذكاء... (Speed and Accuracy of Reaction)، وهناك فروق بين العسكريين من حيث الاهتمامات والميول والدوافع، وقد وجد بأن الأفراد المثقفين لهم اهتمامات بأعمالهم ولديهم قابليات وقدرات أعلى من غيرهم. وقد ثبت بأن توفر القدرات العقلية قد لا يجعل من القائد أو العسكري فرداً ناجحاً (الإفراط والتفريط في التحصيل والأداء). ومن العوامل الهامة ما يسمى بزمن الرجع الذي يشير إلى السرعة التي يمكن بها الفرد أن يستجيب عند بدء ظهور منبِّه معين، وبحيث يكون زمن الرجع هو الفترة الزمنية التي تمضي بين بدء استقبالنا للمنبه وبين بدء الاستجابة له، وعندما يكون هناك منبه واحد يتطلب استجابة واحدة فإن زمن الرجع يسمى بالبسيط، والفرد لا يكون متأكداً متى سوف يظهر المنبه، وأحياناً يعلم الفرد بأن المنبه هو ضوء أخضر والاستجابة له الضغط على مفتاح مورس المستخدم في البرقيات، وأحياناً يتضمن الموقف منبهين أو أكثر ولكل منبه استجابته الخاصة، وهنا يتطلب من الفرد المهارة والسرعة، ويسمى بزمن الرجع التمييزي أو المركب.

قد يكون المنبه ضوءاً أحمر وضوءاً أخضر، ويتطلب من الفرد الضغط على مفتاح مورس بيده اليمنىٰ عند ظهور الضوء الأحمر وبيده اليسرى عند ظهور الضوء الأخضر. إن زمن الرجع يرتبط بسلسلة معقدة من العمليات

العصبية التي تتلقاها الحاسة، ويصدر عن ذلك سيالة عصبية تصعد إلى المخ، وهناك يتم تحليل وإدراك طبيعة المنبه، ثم تنتقل المعلومات اللازمة إلى العضلات المحركة لتنفيذ الاستجابة. وزمن الرجع يتراوح بين (١٨٠ ـ ٢٥٠) ميللي/ ثا، أي حوالي ربع ثانية (الميللي/ثا = $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الثانية). ولما كان زمن الرجع المركب يتضمن عمليات إضافية هي التمييز بين المنبهات فإن زمن الرجع يطول قليلاً. ويتأثر زمن الرجع بالعديد من العوامل مثل: الحاسة التي تستخدم، فزمن الرجع للمنبهات الصوتية في المتوسط حوالي (٠,١٤٢) من الثانية، وفي المنبهات البصرية (٠,١٩٤) من الثانية وفي المنبهات الحسية الأخرى حوالي ٠,١٥٥ من الثانية. ويتأثر زمن الرجع أيضاً بعدد الحواس المشتركة، وشدة المنبه، ومدته. ومن العوامل الهامة العوامل الذاتية للفرد، والدافعية، ودرجة اليقظة والانتباه، والتعب، والملل، والمواد الكيميائية مثل المنشطات والكافئين، وعلى العكس في حالة المثبطات مثل الكحول والمهدئات. ويزداد زمن الرجع بازدياد عمر الإنسان، والاضطرابات النفسية وغيرها. ويرتبط بزمن الرجع عملية الإدراك الحسي للمنبه، ووظائف الدماغ في تنسيق المعلومات الواردة عن طريق الحواس.

منبه ← إحساس ← إدراك ← استجابة أو رد فعل.

التوجيه المعنوي
(Moral Guidance)

مما لا شك فيه إن العبء الأكبر في تحقيق العامل المعنوي لدى أفراد القوات المسلحة يلقى على شعبة الإعلام العسكري ومديرية التوجيه المعنوي، وتعتمد مديرية التوجيه المعنوي على وسائل التوجيه والإرشاد، والتدريب، ووسائل الإعلام، والمحاضرات، والندوات الثقافية، وإصدار الكتب، والنشرات، والمجلات العسكرية، والاستعانة بالمكتبات، والكتب الدينية وغيرها، ومن شأن هذه الوسائل مجتمعة أن تكون مصدراً لزيادة المعرفة والخبرات وتطويرها، وتعديل الأفكار والمعتقدات بما يعزز الجانب المعنوي والنفسي لدى الفرد، ويدفعه بكل رغبة وحماس للعمل من أجل تحقيق الأهداف.

وعملية التوجيه المعنوي هي عملية قديمة جداً في التاريخ قدم العلاقات والمشاكل الإنسانية، يضاف إلى ذلك استخدام المسرح العسكري والشعر وشبكة المعلومات (إنترنيت)، والتلفزة والإذاعة وكل وسائل الاتصال المتاحة.

ويختلف التوجيه عن الإرشاد (Counseling)، فالتوجيه ينصب على النواحي المهنية بينما الإرشاد يهتم بمشاكل الشباب والمشكلات الاجتماعية والنفسية للعسكريين، وصعوبات التوافق لديهم، وقد وصف فرانك بارسونز (F. Parsons) (١٩٤٥) التوجيه المهني للأفراد بأنه يشتمل على النواحي التالية:

١ ـ فهم الفرد لنفسه وقدراته واستعداداته وميوله وطموحاته وإيجابياته وسلبياته وأسبابها.

٢ ـ المعرفة بمتطلبات النجاح ورفع مستوى الأداء والكفاءة في كافة ميادين العمل.

٣ ـ التفكير الموضوعي في الارتباطات أو العلاقات بين الأفراد وقدراتهم وبين تحقيق النجاح.

ومع تطور الدراسات النفسية في مجال التوجيه على يد دونالد باترسون (D. G. Paterson) الذي قام بتصميم وتطوير اختبارات التقدير المهني، والتي كان الهدف منها معرفة العلاقة التجريبية والإحصائية بين خصائص شخصية الفرد، وبين متطلبات العمل، أو المهمة التي يُكلف بها، وكذلك دراسة مدى قدرة الفرد على التكليف للعمل، زاد الاهتمام تدريجياً بعمليات التوجيه المهني، وفي دراسة استعدادات الفرد وقدراته الخاصة والمهنية، ومتطلبات الوظائف، أو الأعمال، أو المهام، وكانت البدايات تهتم بتوجيه العمال نحو المصانع (الحربية)، ثم توجيه الطلاب الجامعيين نحو المهن أو الأعمال المناسبة لقدراتهم، إلى أن زاد الاهتمام بهذا المجال وأصبحت عملية التوجيه تهتم باستثمار المصادر الذاتية للأفراد من أجل تحقيق التكيف الأمثل في العمل، مع زيادة الإنتاج، ويشمل التوجيه على عملية تعليم موجه للأفراد لفهم قدراتهم وذواتهم، والتدريب الذي يحتاج إليه الفرد، مع بعض المساعدات التي يقدمها الموجِّه للفرد لكي ينمّي مهاراته، وتدريجياً زاد الاهتمام بتوجيه الجانب المعنوي للفرد باعتباره عاملاً فعالاً في الإنتاج وفي زيادة الدافعية للعمل والإنتاج (وفي كسب المعركة، كما أشرنا سابقاً)، وبدأ الاهتمام بالجانب المعنوي والنفسي لدى الفرد بما في ذلك اتجاهات الفرد العقلية، وميوله، ورغباته، وأفكاره، وإرادته، وثقته بذاته.. إلخ.

وفي مجال القوات المسلحة أصبح التوجيه المعنوي للأفراد علماً قائماً بذاته له قوانينه وأسسه العلمية وطرائقه، وهو محصلة تجارب وخبرات، وعادة ما يهتم بما يلي:

١ ـ الفرد باعتباره الأداة الفعّالة في كسب المعركة أو تحقيق النصر، وهذا الجانب يتضمن الاهتمام بكافة خدمات الفرد، واحتياجاته، وتعزيز مكانة الفرد وثقته بنفسه وبالآخرين.

٢ ـ الاهتمام بالتعليم والتثقيف والتدريب لتنمية قدرات الفرد ومهاراته مما يرفع مستوى الأداء لديه، والقدرة على إدارة السلاح المتطور والحديث.

٣ ـ الاهتمام بالعقيدة العسكرية وربطها بالقيم والعادات الاجتماعية والتراث.. إلخ.

تعريف التوجيه المعنوي: توجَّه، في اللغة، يعني انقاد واتَّبع، وإلى الشيء توجَّه بمعنى ولَّى وجهه إليه، والتوجيه في المعنى الاصطلاحي هو علم وفن قائم بذاته يهدف إلى دفع قدرات الفرد وتطويرها نحو الجهة الصحيحة. والتوجيه هو عملية إرشاد الفرد إلى أساليب مختلفة حتى يتمكن من استخدام قدراته بحيث يحقق النجاح ويعيش بأحسن حال ويوفر السعادة لنفسه ولمجتمعه، وبدون هدر للطاقات أو الخبرات. والتوجيه هو عملية تطبيقية لخدمة أهداف يقدِّرها المجتمع المدني أو المجتمع العسكري، وتحكم هذه العملية علاقات منظمة تمَّ التوصل إليها بالأسلوب العلمي... كما يعرف التوجيه المعنوي بأنه عملية تعلم وتعليم نفسي وفكري واجتماعي، وهي عملية مخططة وتهدف إلى تقديم المساعدة المتكاملة للفرد حتى يستطيع حل مشكلاته أو تعوق قدراته على أداء الأعمال أو المهام التي يكلف بها الفرد. ويعتمد التوجيه المعنوي على مكتشفات علم النفس، والصحة، والطب النفسي وعلوم الاجتماع، والدين، والعلوم العسكرية، والمبادئ المهنية، وعلوم العلاقات الإنسانية، وغيرها.

الأسس النفسية للتوجيه المعنوي

١ ـ يشترط لقيام عملية التوجيه توفر الألفة والمودة (Rapport) بين الموجِّه والفرد الموجَّه، وهذا يوطد العلاقة التوجيهية ويجعل الفرد يستقبل التعليمات من الموِّجه، ويستجيب إليها، وإلاّ لا فائدة من عمليات التوجيه، لهذا يُنصح دائماً في عملية التوجيه أن يكون الموجِّه على مستوى من الكفاءة، والسمعة الطيبة، والكفاءة في تقبل الفرد ومعاملته، وحفظ أسراره، واحترامه، حتى يشعر بالرضا الذاتي، والاحترام بعيداً عن المجاملة، أو القهر أو غير ذلك.

٢ ـ تشجيع الفرد على فهم ذاته (Self - Understanding)، أي يجب أن يدرك الفرد ما له وما عليه، وأن يستفيد من قدراته، وأن يتغلب على ما لديه من سلبيات، حتى يواجه المسؤوليات أو المهام بالشكل الصحيح. ويقوم

الموجِّه بشرح البرامج العملية المقترحة من أجل القيام بالمسؤوليات التي تحكم خطة العمل، أو المهام. . .

٣ ـ تخطيط برنامج العمل، ومساعدة الأفراد الذين لديهم اتجاهات أو ردود فعل انفعالية نحو قدراتهم، أو استعداداتهم، مما يجعل الفرد يتردد في القيام بالعمل، أو الوصول إلى قرار مناسب، ويتجنب المرشد عملية الفرض أو الإلزام، ويجعل الفرد يزداد ثقة بالمعلومات التي تقدم إليه حول العمل ويشعر بأن هذا العمل أو هذه المهام ليست أكبر من قدراته، وبالتالي فهو سيحقق النجاح ولا يتعرض للفشل. وعادة يحاور الموجِّه الأفراد من خلال المقابلات الشخصية، ويستخدم عدة طرق في توجيه ونصح الفرد، مثل:

أ ـ طريقة النصح المباشر.

ب ـ طريقة الإقناع.

جـ ـ الطريقة التوضيحية، حيث يقوم الموجِّه بتوضيح المهام بدقة وكيفية الاستفادة من إمكانيات الأفراد.

د ـ تنفيذ العمل، بعد اتخاذ القرار وحيث يقدِّم الموجِّه مساعدة مباشرة في عملية التنفيذ، وهذه العملية قد تتطلب عملاً تخطيطياً لبرنامج تدريبي، أو تعليمي. .

هـ ـ الموجِّه يجب أن يتصف بالدفء، والصداقة، والإخلاص، والحرص على مساعدة الأفراد، مع عدم إغفال المشاعر والأفكار، ومساعدتهم على عملية التفريغ والتبصر (Insight) المؤديين إلى إزاحة الصراعات النفسية المكبوتة التي تعوق الحركة والتطور والتي تؤدي إلى سوء فهم الذات.

أهداف التوجيه المعنوي

١ ـ تنمية الإيمان بالله عز وجل ثم الإيمان بالوطن وبالقوات المسلحة.

٢ ـ تنمية ثقة الأفراد بأنفسهم وأسلحتهم على أساس الواقع والحقيقة وليس الوهم أو الضلال.

٣ ـ تنمية الميول والاتجاهات العقلية الإيجابية، والمعتقدات. . . (العمل حق، وواجب، وشرف. . .) وهذه الميول والاتجاهات تدفع الأفراد نحو الابتكار والتطوير والتضحية والإبداع. .

٤ ـ المساعدة للتكيف مع الحياة العسكرية: من مهام التوجيه المعنوي مساعدة الأفراد في علاج مشاكلهم الاجتماعية والمهنية، وتعديل الظروف المحيطة بهم للوصول إلى التكيف في الحياة العسكرية، وبالطريقة العلمية وبمساعدة اختصاصيين في التوجيه المعنوي، والتوجيه الديني، والاجتماعي...

٥ ـ غرس العقيدة العسكرية لدى الأفراد، وهي مجموعة اتجاهات وأفكار يعتنقها الأفراد وتتعلق بالهدف الذي يعدون أنفسهم لأجله (الدفاع عن الوطن...).

٦ ـ توفير التعبئة المعنوية قبل الحروب وبعدها، وأثناء الحرب أو العمليات العسكرية.

٧ ـ التعاون والتنسيق مع أجهزة الدولة المختلفة، المؤسسات المدنية، والعسكرية.

٨ ـ غرس الرغبة والميل إلى الخدمة العسكرية، وأن الخدمة العسكرية هي شرف عظيم.

٩ ـ تنمية سمة التعاون وروح العمل الجماعية بين كافة أفراد القوات المسلحة.

١٠ ـ غرس سمة الاعتزاز بالقوات المسلحة والوحدة التي ينتمي إليها الفرد.

١١ ـ محاربة العوامل المؤثرة على الروح المعنوية مثل الإشاعات والحرب النفسية وغيرها.

١٢ ـ إثارة روح الكراهية والعدوان تجاه العدو، وإزالة الخوف من العدو...

١٣ ـ رفع مستوى التدريب بإثارة الدافعية والاهتمام لدى الأفراد.

١٤ ـ تقوية الرابطة بين الفرد وسلاحه.

١٥ ـ تنمية الوعي الديني وترسيخ مبادئ الدين الحنيف لدى ضباط وأفراد القوات المسلحة.

١٦ ـ تزويد الأفراد والجماعات بالثقافة العامة حول شتى المجالات

والمواضيع، وجعل الأفراد يتمتعون بالصفات التالية (الشجاعة، الانضباط، تحمل المشاق والصبر، الإيمان بالعقيدة والتضحية من أجلها، الدفاع عن أرض الوطن بإخلاص.. إلخ).

١٧ ـ التوجيه المعنوي يهتم بدراسة المشاكل الاجتماعية للأفراد ووضع الحلول لها، أو القضاء عليها، مثل:

أ ـ تعاطي الكحول والمخدرات والمؤثرات على العقل.

ب ـ ظاهرة التسرب أو الفرار من الخدمة العسكرية.

جـ ـ ظاهرة الغياب لدى العسكريين.

د ـ ظاهرة الشذوذ الجنسي.

هـ ـ ظاهرة الزواج من أجنبيات.

ومهمة التوجيه المعنوي التعليم، والإعداد، والتثقيف، والتوجيه، والإرشاد، لكافة أفراد القوات المسلحة، بالاعتماد على المحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، واللقاءات العلمية، والأفلام، ومطالعة الصحف والمجلات العسكرية وغيرها. ويعتبر الضابط في القوات المسلحة مستشاراً وقائداً للوحدة معنوياً، ومسؤولاً عن الحالة المعنوية للأفراد، وعن عمليات التعليم والتوجيه والمحاضرات والندوات... مع رصد العوامل الدالة على ضعف الروح المعنوية، أو تخاذل الأفراد للعمل على علاجها، وعلى الضابط تقع مسؤولية ملاحظة الحالة المعنوية والنفسية والفكرية والسلوكية للأفراد... والتي هي أساس للروح المعنوية. إن النواحي المعنوية تسري في النفوس من الأعلى إلى الأدنى، أي من القادة نحو الأفراد، لأن مشاعر الأفراد ومعنوياتهم تتبع مشاعر قائدهم، ومما لا شك فيه بأن التطور الكبير الذي حدث في نوعية الأسلحة والمعدات والحرب الإلكترونية، وعلى كافة الأصعدة العسكرية البحرية والبرية والجوية، هذا التطور الكبير فرض على القائد العسكري المعاصر متابعة ذلك، وتطوير ذاته والاعتماد على أسس علمية للانسجام مع هذا التطور التكنولوجي الكبير الذي يتسم بالدقة وبالعلم، والسرعة... الأمر الذي جعل القائد يتابع ذلك وبشكل مستمر، وهذا ما تطلب تطويراً موازياً لشخصيات الضباط والقادة وأساليب عملهم،

وفي ضوء ذلك اتصفت القيادة المعاصرة، بما أشرنا إليه سابقاً من صفات مثل القدرة على اتخاذ القرارات الفعالة وتنفيذها، وتحمل المسؤولية، والدافعية للعمل بجد وإخلاص، وتوفر اللياقة الجسمية، وقوة التحمل، والتركيز على المضمون أكثر من الشكليات، ولديه القدرة على إدارة الوقت، ويستفيد من الخبرات والخبراء المختصين، والقدرة على الإقناع، وعلى مساعدة الآخرين، وعلى نقل المعارف والتعليم، وتوفير جو من العلاقات الإنسانية الحسنة، والقدرة على التعبير والذكاء... إلخ.

مهام التوجيه المعنوي في السلم وفي الحرب

إن مديرية التوجيه المعنوي في القوات المسلحة، وبما يتوافر لديها من إمكانيات بشرية ومادية متخصصة، وخبرات... تعمل على تحقيق العديد من المهام التي تهدف إلى توطيد العلاقات بين أفراد القوات المسلحة وبين الجمهور أو أفراد المجتمع عامة، وكذلك توفير التعاون والتكافل بين أفراد القوات المسلحة لتحقيق أهداف معينة سامية في فترة السلم، مثل:

١ ـ تعزيز الروح المعنوية والحماس بين أفراد القوات المسلحة، ودعم الثقة بالنفس في مواجهة أي حرب نفسية أو إشاعات أو دعايات مغرضة يمكن أن تضر بالوطن وبالقوات المسلحة.

٢ ـ تعميق المبادئ الوطنية والدينية وترسيخ مشاعر ومعتقدات الإيمان بالله وبالوطن والثقة بالقيادة، ويتم ذلك عن طريق التوعية الدينية وغيرها.

٣ ـ تعميق الإحساس بقدرة القوات المسلحة بما لديها من أفراد وعتاد وأسلحة أنها قادرة على النصر، والعمل على رفع دافعية الأفراد، وطموحاتهم لزيادة العمل وتحسين الأداء وتحقيق التكامل والتعاون في القدرات بين الجهات المدنية والعسكرية.

٤ ـ الاستفادة من كافة وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة لتوضيح الأهداف السياسية، والواجبات، والمهام المطلوبة من القوات المسلحة لتنفيذها، ويتم ذلك بالتعاون بين وحدة الإعلام العسكري ووزارة الإعلام والثقافة.

٥ ـ الإشراف على أعمال الصحافة والإعلام العسكري والتأكد من أنها

تتماشى مع السياسة الإعلامية للقوات المسلحة وللدولة وللشعب وتعميق الثقة المتبادلة، وتعميق ثقة الشعب بقواته المسلحة والاهتمام بها، والتعاون وقت السلم ووقت الحرب، وتبصير الشعب بالأنشطة والفعاليات العسكرية وأهمية الالتزام بما تطلبه القوات المسلحة من تضافر جهود لكسب المعركة.

٦ ـ زيادة توعية الشعب بأسلحة العصر والقنابل الجرثومية، والكيميائية، والبيولوجية، والذرية، والغازات السامة... وغيرها، والأمراض أو الاضطرابات الناجمة عنها، وكيفية مواجهتها والوقاية من مخاطرها... بالإضافة إلى إصابات الحرب وغيرها.

٧ ـ يقوم التوجيه المعنوي بتغطية المناسبات الرسمية في القوات المسلحة لإظهار أهمية القوات المسلحة، وتدريباتها، وإعدادها... وكذلك تنظيم أعمال المراسم العسكرية الخاصة بالمناسبات والاحتفالات، والزيارات، وغيرها.

٨ ـ يمكن لوحدة التوجيه المعنوي إجراء بحوث علمية أو دراسات حول العوامل النفسية والاجتماعية والتنظيمية، والعسكرية، وغيرها التي تؤثر إيجاباً أو سلباً في مستوى الروح المعنوية.

٩ ـ تقوم وحدة التوجيه المعنوي بإعداد نشرات، وكتب، ومجلات متخصصة، وتنظم محاضرات، ولقاءات علمية، وندوات، وغيرها، وذلك لكافة تشكيلات القوات المسلحة، وإمداد هذه التشكيلات بالكتب والمراجع والنشرات الثقافية اللازمة لزيادة الوعي الثقافي والديني أو العلمي للعاملين في القوات المسلحة.

١٠ ـ إعداد خطط منظمة لدعم الجانب المعنوي لدى القوات المسلحة، والشعب معاً، وكذلك وضع خطط منظمة لمواجهة الحرب الباردة، أو الحرب النفسية.

أما عن مهام التوجيه المعنوي وقت الحرب فمما لا شك فيه أن هذه المهام تكون أكثر أهمية ودقة وخطورة مما هي عليه وقت السلم، وبشكل عام أهم هذه المهام ما يلي:

١ ـ تعبئة الروح المعنوية، وزيادة الإرادة والإصرار والعزيمة، في مرحلة

الإعداد أو في مرحلة التنفيذ، والاستفادة من هذه الطاقة الدافعة في تحقيق النصر.

٢ ـ توجيه الأفراد نحو الالتزام الدقيق بتعليمات القيادة، والطاعة، وتنفيذ كافة المهام المطلوبة من دون ضعف أو تردد..

٣ ـ خلق الدافع إلى الدفاع أو الهجوم أو التضحية، وتوعية الأفراد بروح الوطنية والاعتزاز والفخر الوطني، وأن كل شيء يرخص أمام الوطن والدفاع عن الحق، وعن الكرامة والمال والعرض والشرف.

٤ ـ تعزيز الثقة لدى الأفراد والمقاتلين بمبادئ ومنجزات القوات المسلحة، وتنمية ثقة الأفراد بقوة ومقدرة أسلحتهم ومعداتهم القتالية والشعور بالمسؤولية في الحفاظ عليها وصيانتها، مع السعي المستمر لزيادة أو لتطوير مهاراتهم القتالية في استخدام هذه الأسلحة، وخاصة في العمليات الجريئة أو الحاسمة.

٥ ـ محاربة الشائعات[1] والدعايات المغرضة، وتفنيدها، ومقاومة تأثيرها أو انتشارها بين الأفراد مع إظهار الاهتمام أو العناية بشؤون الأفراد وبكافة مراحل المعركة، مع تعبئة مشاعر الكراهية للعدو، والثقة بالنصر، وتحمل كل المشاق في المواقف القتالية.

٦ ـ مخاطبة المقاتلين والتواصل معهم عبر الإذاعة، أو الفضائيات، أو عبر النشرات، أو الهاتف وغيرها للمحافظة على الثبات والتضحية والطاعة، والترغيب في الدفاع عن الوطن، ويمكن توزيع نشرات توزع على المقاتلين في خطوط القتال مثل الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية تحث على الخروج في سبيل الله، وعلى الجهاد، والشهادة، والتضحية..

٧ ـ تزويد القطعات العسكرية المقاتلة بخطط منظمة لمحاربة العدو نفسياً والضغط عليه وعلى أفراده، وبالتالي كسب المعركة بأقل خسائر وأقل تكاليف مادية وبشرية.

---

(١) **الشائعة**، ويقال الإشاعة: وهي منظومة كلامية متناسقة تبنى على مفاهيم غير واضحة، أو على معلومات ملتبسة يتعمد مَن صاغها أن يثير شبهة ما، أو مناخاً ما ينال من خصومه ويجلب الإساءة لهم. فالشائعة أمر سلبي ينتج عنها تشويش وإرباكات وأفكار غير صحيحة، وقد تقوم على أساسها قناعات فاسدة.

٨ ـ زيارة المقاتلين في مواقع القتال كلما أُتيحت الفرصة لذلك، والاهتمام بالجرحى والشهداء وتكريمهم.

٩ ـ توعية الأفراد بضرورة الحفاظ على الأسرار العسكرية والحكومية.

١٠ ـ توعية الأفراد بضرورة التماسك والتعاون المستمر بين الوحدات الفرعية للوحدات المقاتلة.

١١ ـ عقد لقاءات مستمرة مع أفراد الشعب (الجمهور) لتوضيح الموقف القتالي، منعاً لتسرب الشائعات وتماسكاً للجبهة الداخلية الوطنية، وزيادة الثقة بالنصر مع كراهية العدو.

١٢ ـ الاهتمام بالنواحي المعنوية بالنسبة للأفراد في قوات الاحتياطي العام الذين هم في حالة تأهب واستعداد، وقد يدخلون المعركة عندما يطلب منهم ذلك.

١٣ ـ استجواب أسرى الحرب واستخلاص المعلومات التي تفيد في التخطيط للعمليات النفسية والمعنوية المستقبلية، والكشف عن نقاط الضعف في جبهات العدو واستغلالها دعائياً للتأثير على مقاتليه وعلى جبهته الداخلية بشكل سلبي، ويمكن عرض أسرى الحرب عن طريق وسائل الإعلام، والتركيز على المعاملة الحسنة لأسير الحرب، والالتزام بالمعاهدات الدولية لأسرى الحرب.

الفصل الثالث

المعنويات

* أهمية الجانب المعنوي لدى أفراد القوات المسلحة ومستوى الروح المعنوية
* وسائل قياس مستوى الروح المعنوية في القوات المسلحة
* الروح المعنوية لدى المجموعة (الجماعية)

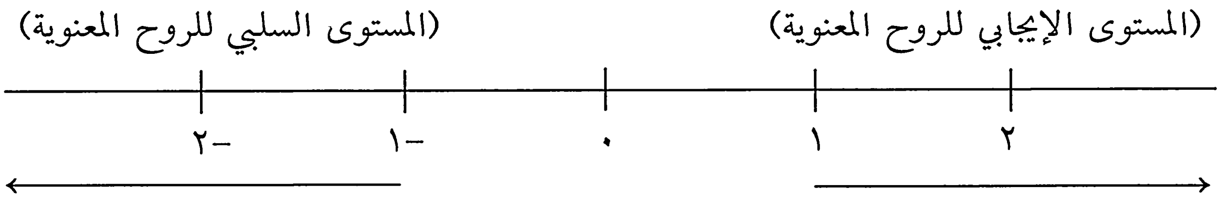
أهمية الجانب المعنوي لدى أفراد القوات المسلحة ومستوى الروح المعنوية

يُعتبر الجانب المعنوي والنفسي من العوامل الهامة لدى العاملين في مجال القوات المسلحة، ولا يقل هذا العامل أهمية عن عامل السلاح والتكنولوجيا العسكرية المتطورة التي يستخدمها العدو أو الصديق في الحرب، وتعتبر الروح المعنوية والمستوى الذي وصلت إليه لدى أفراد القوات المسلحة من العوامل التي تترك أثرها الإيجابي (أو السلبي) على الجانب الفكري والجانب النفسي والعملي والاجتماعي... لدى الفرد، وهذا الجانب هو الذي يؤدي بأفراد الوحدة العسكرية إمّا نحو تحقيق النصر والنجاح في أداء المهمات أو نحو الفشل والهزيمة وضعف الأداء، والتهرب من الواجبات، وعدم العمل بجد وإخلاص، أو طاعة واحترام... لقد ثبت من الدراسات النفسية العسكرية، أن عامل التحمل والإرادة القوية، والصبر، والتصميم في مواجهة التحديات، مع الإصرار على التعاون مع الجماعة لتحقيق الهدف المنشود، وكذلك مواجهة التحديات، والشدائد، ومواجهة آثار الاعتداءات أو الهزائم، وبذل كل غالٍ ورخيص من أجل الوطن والكرامة والشرف والدين والحفاظ على استمرار العقيدة، والحفاظ على التاريخ... كل ذلك له علاقة واضحة بمستوى المعنويات والدافعية إلى الإنجاز لدى الفرد. وتعتبر الناحية المعنوية لدى الفرد بمثابة دافع قوي (Motivation) نحو الرضا النفسي، وعامل مساعد في مجال التصدي للحرب النفسية وللإشاعات المغرضة وغيرها، وهي (أي النواحي المعنوية) تعتبر جزءاً هاماً في مجال الطاقة البشرية، ومجال التنمية البشرية، وغيرها. وكما أشرنا سابقاً فإن الفرد هو أساس القوات المسلحة، وبدونه تفقد كل الأجهزة المدنية والعسكرية فعاليتها، مهما وصلت إليه هذه الأجهزة والتقنيات من تطور أو تحديث.

وكلنا يعلم أن استراتيجيات الدول المتقدمة تعتمد بالدرجة الأولى على استثمار طاقات الأفراد وقدراتهم (على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً في

حديثنا عن الهندسة البشرية (Génétique)، ومن أهم عناصر هذه الطاقة البشرية الروح المعنوية. ولكن ما هي الروح المعنوية؟ ومضمونها، وتعريفها . . .

لقد عرَّف الباحثون الروح المعنوية عدة تعريفات تختلف حسب اختلاف وجهات النظر والمدارس العلمية. فعلماء النفس يرون بأن الروح المعنوية هي عبارة عن مجموعة عوامل عقلية ونفسية تدفع الفرد نحو القيام بسلوكات معينة إيجابية أو سلبية، هي بمثابة الطاقة والدافعية، وهي افتراض نظري يتجسَّد في الواقع، ولها قطبان (كما في الاتجاهات النفسية) موجب وسالب، وكما هو موضح في الرسم.



فعلماء الاجتماع عرَّفوا الروح المعنوية بما يلي: «هي التعبير عن العلاقات الإنسانية بين أفراد الجماعة، وبين ساستهم (أو قادتهم)، ورضا الأفراد عن أنفسهم، وعن عملهم».

كما عرَّف علماء النفس الروح المعنوية: «هي مجموعة أحاسيس ومشاعر وأفكار إيجابية (أو معتقدات) تجعل الفرد يندفع نحو أداء عمل معين، برضا تام، وبدون قسر أو إكراه مع الإحساس بالسرور والراحة النفسية».

ويعرف جماعة الطب النفسي الروح المعنوية بما يلي: «الحالة العقلية والنفسية للفرد في وقت معين وتحت ظروف معينة».

وفي هذه الحالة نجد الفرد شجاعاً، قوياً، مقداماً، يتسم بالنشاط والحيوية وبذل الجهد، والإحساس بالقوة، والثقة بالذات، والحماس. . . وغير ذلك، كما قد يكون الفرد في حالة يأس، وتخاذل، وتردد، فاقداً للنشاط والحماس والحيوية والثقة بالنفس. . . وفي ضوء ذلك نجد بأن الروح المعنوية هي عبارة عن متغيِّر متصل ذي قطب إيجابي في حالة الروح المعنوية العالية، وقطب سلبي في حالة الروح المعنوية الانهزامية أو الضعيفة.

الروح المعنوية عنصر هام في استثمار القدرات البشرية

تؤكد الدراسات النفسية والاجتماعية والعسكرية على أنه مهما وصلت إليه الدول من تقدم وتطور وتحديث تقني وعسكري يبقى الفرد هو أساس القوات المسلحة، وهو عصب هذه القوات، وبدونه تفقد القوات المسلحة، وكذلك كافة الأجهزة العسكرية (والمدنية)، فعاليتها وتفشل في تحقيق أهدافها. فالفرد هو الذي يخطط، وينظم، ويشرف وينفذ، وهو في كل هذه المهام عليه أن يستفيد من طاقته العقلية (الخبرة) والنفسية (المشاعر والأحاسيس)، والجسدية (الحركية والسلوكية) وذلك في تنفيذ هذه المهام بشكل ناجح. وقد ثبت بأن عنصر الروح المعنوية يمثل طاقة دافعة نحو (أو ضد) موضوع معين، ويزيد من إرادة الفرد، وتصميمه، وعزيمته في أداء المهمات أو في مواجهة التحديات، مع زيادة التحمل والصبر في الشدائد، وفي مواجهة آثار الاعتداءات أو الهزائم، وبذل كل غالٍ ورخيص من أجل الوطن والأمة، والكرامة... والتاريخ العسكري يشهد بوجود مواقف جهاد وبطولات وشهادة أو تضحيات بالأرواح، أدت إلى تحقيق أهداف سامية عجزت عن تحقيقها الآليات العسكرية الحديثة، والصواريخ، والدبابات، وغيرها... وبدون الاستعانة بالأفراد، ولنا في أطفال الحجارة، وفي العمليات الاستشهادية أيضاً العبرة أو المثل الشاهد على مستوى الروح المعنوية العالي، والذي يدفع الفرد إلى التضحية بروحه وحياته وبكل غالٍ ورخيص، من أجل الحفاظ على كرامة شعبة وأمته، وبفضل الروح المعنوية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله...

إذن الروح المعنوية عبارة عن طاقة، وإرادة، وثقة بالنفس، وحماس، وعدم تردد، وتعاون، وتحمل المشاق، ومواجهة دافعة من دون خوف أو قلق... تجتمع كلُّها لتحقيق هدف سامٍ، ولزيادة مستوى الأداء للوصول إلى نتيجة فعّالة ومفيدة. من هنا كانت أهمية الطاقات البشرية، وكان الاهتمام العالمي باستثمار هذه الطاقات، وقيام عمليات الإعداد والتدريب والتوجيه وغيرها من أجل تنمية هذه الطاقات، واستثمارها بشكل فعّال، والحفاظ عليها، وتطويرها، حتى يستفاد منها بأقصى حد ممكن، ولكن كيف يتم تربية أو تكوين الروح المعنوية لدى الأفراد؟

تربية الروح المعنوية لدى الأفراد

الروح المعنوية لدى الإنسان تنمو وتتطور تدريجياً، وبفضل عوامل التربية والإعداد والتوجيه أو الإرشاد، ومن أهم عناصر تربية الروح المعنوية:

أولاً: العمل على تنمية الاتجاهات والميول الصحيحة لدى الإنسان، والعمل على بناء شخصية الإنسان على الثقة والإيمان والأخلاق الفاضلة، والإخلاص في العمل، وأداء الواجبات، وتحمل الشدائد ومجاهدة النفس، والصبر، وعدم الخوف من الجهاد أو من الموت.

وثانياً: العمل على إدراك الأهداف الوطنية والقومية، وأهمية الدفاع عن الوطن، وهذا العنصر مكمل للعنصر السابق، لأن الإنسان الذي ينشأ على الإيمان والصدق والصبر والإخلاص... يسهل عليه أداء واجباته تجاه وطنه وشعبه، فكلمة الوطن تعني الانتماء، والحب والطاعة، والتضحية، والحضارة، والتراث، والتاريخ، وكرامة الأمة... وعادة تتجسَّد الروح المعنوية العالية بسلوكيات ومبادىء يقوم بها الأفراد، مثل:

١ ـ حب الوطن والإخلاص للسلطة ولقائدها الأعلى إذا كانت قد نالت رضا الناس وانبثقت منهم، والتضحية من أجل الوطن.

٢ ـ طاعة أولي الأمر أو المسؤول قولاً وعملاً إذا كان عادلاً وقد وصل إلى السلطة بالطرق المشروعة، وبدون تقاعس أو تردد.

٣ ـ اعتبار ما على أرض الوطن أمانة لا يجوز التفريط فيها.

٤ ـ عدم خيانة الوطن أو التواطؤ عليه من خلال أي جهة.

٥ ـ بذل كل جهد من أجل تحقيق نهضة الوطن وتقدمه.

٦ ـ الالتزام بقوانين وأنظمة السلطة في كافة الظروف والأوقات.

٧ ـ حماية مكتسبات الوطن المادية والثقافية.

٨ ـ التدريب، واليقظة، والانتباه، وعدم ترك السلاح.

ثالثاً: غرس عقيدة القتال، وهي مجموعة أفكار وقيم ومبادىء يعتنقها أفراد الجيش في ضوء القضية التي يناضلون من أجلها. وهذه الأفكار والقيم مثل: لا نعتدي على أحد، ندافع عن الدين والوطن والعرض والمال

والشرف، وهذه كلها تنسجم مع تعاليم الدين الإسلامي، وتزيد من الإحساس بعدالة القضية وشرف المهمة والهدف[١].

رابعاً: تنمية الإرادة والثقة بالنفس وبالسلاح وبالقيادة، وهذا لا يكون إلاّ بفضل الإيمان بالله وممارسة الواجبات الدينية، وزيادة العلم والمعرفة، والشعور بكفاءة القائد وحكمته في إدارة وحدته، أو أداء مهمته، بالإضافة إلى عمليات التحديث والتطوير والبحث العلمي.

خامساً: الثقة في وسائل الإعلام ومصادر المعلومات ومحاربة الإشاعات وتفنيدها والرد عليها.

سادساً: تلبية الحاجات الأساسية في الحياة للإنسان (The Needs) مثل: الشكر والتقدير، الاحترام، المؤازرة والتعاون، إشعار الفرد بأهميته العسكرية، الحزم في بعض المواقف، العدل بين الأفراد وبين الضباط والجنود، المشاركة الوجدانية في حق بعض، وتوفير الإجازات الدورية، والحوافز المادية (العلاوات)، والتشجيع المستمر، وتوفير المسكن المناسب، وبوسائل الترفيه والأنشطة الاجتماعية، وتوفير الغذاء المناسب والمواد الضرورية للأفراد، وإنشاء مكتبات، ونوادي ترفيه، وملاعب رياضية، وتوفير الصحف ونشرات الإعلام، والمجلات، وتوفير الرعاية الصحية اللازمة وتوفير المواصلات وغيرها، بحيث يشعر الفرد باهتمام الدولة بشؤونه وتوفير السعادة والأمن والطمأنينة لذاته، وعلينا أن لا ننسى بأن تربية الروح المعنوية لدى الفرد من المفروض أن تبدأ قبل القوات المسلحة، أي من الأسرة، ومن المدرسة، فالتنشئة الأسرية الجيدة والتنشئة الاجتماعية والمدرسية تساهم كلُّها بشكل أو بآخر، مباشر أو غير مباشر،

---

(١) **التوجيه الإسلامي مع الخليفة الراشدي الأول نموذجاً**: عندما بعث الجيش الأول في خلافته، كان توجيه الخليفة أبي بكر ﷺ لأمير الجيش أسامة بن زيد ﷺ: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له».

(ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، **الكامل في التاريخ**، م ٢، بيروت، دار صادر، ط ٦، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، ص ٣٣٥).

بإظهار الروح المعنوية وصقلها، أو أنها تعمل على وضع الأسس الشخصية اللازمة فيما بعد لبناء الروح المعنوية، وتكوين الشخصية القوية والمتوازنة.

ويعتبر القادة والمدراء العسكريون المكلَّفون قبل غيرهم في تعزيز هذا العامل المعنوي لدى كافة أفراد القوات المسلحة، وهم القدوة لغيرهم بصفاتهم الشخصية، وخبرتهم وقدرتهم على أن يكونوا نماذج أو قدوة طيبة للآخرين. لهذا فقد أشرنا في حديث سابق عن القيادة بأن صفات القائد وسلوكياته لها دور كبير في تعزيز الروح المعنوية لدى العاملين في القوات المسلحة، كما أن لها دوراً هاماً في إضعاف هذه الروح المعنوية، لذلك فإن القائد أو المسؤول يجب أن يتصف بالإيمان بالله عزَّ وجل، وبالوطن، وأن يلتزم بالقيم الدينية والأخلاقية مثل العدالة، والصدق، وقول الحق، والتعاون، والاحترام، والأمانة، وأداء الواجبات... وأنها هي التي توجِّه سلوك الأفراد وأفكارهم وتمدُّهم بالروح المعنوية العالية وبالطاقة اللازمة، والحماس للعمل، وإنجاز الأعمال الصعبة، والقدرة على إدارة القرارات وما شابه ذلك.

وباختصار، إن الخطط الاستراتيجية للعديد من جيوش العالم الآن أصبحت تعتمد على تدمير الروح المعنوية لدى الأفراد (أفراد العدو)، واستخدام أساليب الحرب الباردة أو الحرب النفسية لإضعاف هذه الروح وقهر العدو. إن معظم قادة الجيوش في العالم، بعد الحرب العالمية الأولى والثانية وحتى الآن، يضعون في حسبانهم نسبة ثلاثة أو أربعة أخماس تحقيق النصر أو الكسب هو للقوة المعنوية لأفراد القوات المسلحة وذلك إذا تم إعدادها وتدريبها بشكل صحيح، والخمس الباقي في النصر يعتمد على السلاح والتقنيات، وكما أشرنا فقد بدأت جيوش العالم تهتم بما يسمى بالتوجيه المعنوي الذي أصبح علماً قائماً بذاته، ومحصلة تجارب وسنين طويلة في ميادين الحرب والقتال وتصنيع السلاح والإنتاج والتدريب، وفي مجال استثمار طاقات الإنسان وقدراته، وأصبح لهذا العلم قوانينه النفسية، وأساليبه العلمية، وأهدافه الموضوعية. ومما لا شك فيه أن الجانب المعنوي والروح المعنوية العالية تحقق للمجتمع الكثير من الفوائد أكثر مما يحققه استخدام العنف والعدوان والسلاح، ولا ننسى بأن الروح المعنوية بما في

ذلك من حماس ودافعية تفيد في المؤسسات المدنية كما تفيد في المؤسسات العسكرية، أي تفيد في كافة مجالات الحياة، ولا غنى عنها للإنسان، وهي عامل هام من العوامل الشخصية والنفسية العقلية، والمهنية.

وتشير الدراسات النفسية إلى أن عامل الروح المعنوية يتأثر ويؤثر في العديد من العوامل الشخصية والمهنية مثل: الحاجات الفسيولوجية[١] التي تؤثر على سلوك الفرد، وعامل الاستعداد، بالإضافة إلى العوامل التالية:

١ ـ الحالة العقلية للفرد، ومستوى وعيه الفكري، واتجاهاته الإيجابية نحو المجتمع والوطن.

٢ ـ الحالة النفسية للفرد، وميوله، ورغباته وعواطفه ومستوى اتزانه الانفعالي والصحة النفسية لديه.

٣ ـ الصحة الجسمية للفرد ومدى لياقته وقدراته الجسدية، والصحة النفسية.

٤ ـ خبرات الفرد السابقة، وتجاربه، وثقافته، ومستواه التعليمي.

٥ ـ الوضع الاقتصادي لدى الفرد، ومدى كفاية الدخل لقضاء متطلبات الحياة.

٦ ـ طبيعة العمل والمهمة التي يكلف بها الفرد، ومدى رضاه عن ذلك، وملائمة المهمة لقدراته.

٧ ـ أساليب التنشئة الأسرية والاجتماعية والدينية.

٨ ـ مستوى الأخلاقيات، والتعاون، والاحترام المتبادل، والقيم داخل الوحدة، أو في إطار العمل.

٩ ـ التشجيع المادي والمعنوي والحوافز (Reinforcement).

---

(١) **الحاجات الفيسيولوجية أو الفيزيولوجية Physiology**: علم وظائف الأعضاء. وقد صنف علماء النفس الحاجات الفيزيولوجية أو الدوافع الفيزيولوجية المتولدة عنها على أنها الحاجات العضوية الجسدية، كالأكل والشرب والنوم وما إلى ذلك، وتوجد بموازاتها ومعها الحاجات الاجتماعية والحاجات القيمية المثالية والأخلاقية، وتترجم إلى العربية فسيولوجية أو فيزيولوجية.

١٠ ـ مستوى الدافعية للإنجاز ومستوى الطموح.

١١ ـ مستوى رضا الفرد عن جماعته ومهنته (أنا الجماعة وروح الفريق) (Job Satisfaction).

١٢ ـ توفير الإعداد والتدريب، والأنشطة الترفيهية، وكل ما يوفر الراحة والسرور للفرد.

ويمكن قياس هذه العوامل من خلال السلوك الملاحظ الذي يقوم به الفرد، من خلال معرفة مستوى الأداء (كماً وكيفاً) وجهة ذلك سلباً أو إيجاباً، وعادة تكون هناك مؤشرات عامة وملاحظات تشير إلى الروح المعنوية لدى الأفراد، واتجاه هذه الروح المعنوية، من هذه المؤشرات على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ مدى قيام الفرد بواجباته ومهامه بشكل صحيح.

٢ ـ عدم الغياب عن مقر العمل، والالتزام بالحضور، والاجتماعات وغيرها.

٣ ـ عدم وجود عقوبات، أو إنذارات، أو مخالفات...

٤ ـ عدم طلب النقل إلى عمل آخر، أو مكان آخر...

٥ ـ الالتزام بالقانون والنظام وسياسة العمل في الوحدة.

٦ ـ تبادل الاحترام والطاعة والتعاون مع الزملاء والقادة...

٧ ـ قلَّة الشكاوى، والمنازعات لدى الأفراد.

٨ ـ سرعة الاستجابة للتعليمات بدون تردد.

٩ ـ اهتمام الفرد بمظهره، وصحته ولياقته، وزيادة ثقافته وخبراته.

١٠ ـ النظر للأمور نظرة جدية واقعية مع اهتمام وتفحُّص.

١١ ـ الولاء للجماعة والتعاون مع الآخرين، وأعماله الجيدة كثيرة داخل وحدته وخارجها.

١٢ ـ الثقة بالنفس، والإحساس بالطمأنينة مع عدم الخوف والقلق أو الخجل، وعدم الكذب والنفاق...

١٣ ـ أداء الواجبات الدينية.

١٤ ـ الاهتمام بالأدوات والمعدات والعتاد التي هي بحوزة الفرد والحفاظ عليها.

١٥ ـ الاعتزاز بالوطن والجيش والقادة والعقيدة.

هذا ويمكن للقوات المسلحة ومديرية التوجيه المعنوي العمل على تحقيق مستوى رفيع من العامل المعنوي لدى أفراد القوات المسلحة، ورفع الروح المعنوية لديهم عن طريق الإرشاد والتوجيه المهني، والتدريب، وبالاستعانة بوسائل الإعلام، والتوعية الثقافية العسكرية وإصدار الكتب، والمجلات، والنشرات العسكرية، والاستعانة بالمكتبات، والمؤتمرات، والندوات، والمحاضرات... إلخ، وهذا يتطلب وضع خطة منظمة وهادفة للتوجيه المعنوي في وقت السلم ووقت الحرب، مع الاهتمام بالأسرار العسكرية، وبوسائل الحرب النفسية وغيرها.

وتقاس الروح المعنوية بمقاييس مقننة خاصة، كنا قد أشرنا إلى بعضها في حديثنا عن التقييم والقياس في علم النفس العسكري، وهناك أيضاً مقاييس مساعدة أخرى سنشير إليها في الفقرة التالية.

الاستعداد القتالي والمعنويات (العامل المجهول (س)) (Predisposition)

ليس جميع الرجال قادرين على القتال وتحمل ظروفه وقسوته، فالجبناء الذين يفقدون إرادة القتال هم جنود ضعفاء يلحقون الخسائر والكوارث والدمار المعنوي بأفراد وحدتهم. إن العسكري بحاجة إلى شجاعة، وثقة متبادلة، بالإضافة إلى الإيمان بالهدف الذي من أجله يحارب أو يقاتل... ومن هنا تظهر أهمية علم النفس في بناء الاستعداد القتالي والنفسي لدى أفراد القوات المسلحة، وذلك عن طريق دراسة اتجاه الجندي وموقفه من القوات المسلحة، ومن قياداته، ومن الظروف التي يعيش فيها... ودراسة القضايا الشخصية والاجتماعية التي تعوِّق نجاحه في مهمته، ودراسة موقفه من العدو، ومن الأهداف القومية والوطنية، وحتى موقفه من الطعام والكساء المقدمين إليه. وبتعبير آخر قد يظن بعضهم أن حرية الاختيار في الحياة العسكرية لا تتجاوز حدود تنفيذ الواجبات المفروضة، وأن لا علاقة لهذه

الحرية برغبات الفرد الشخصية، والذي لا شك فيه بأن طبيعة الأنظمة العسكرية وقوانينها تحدُّ من إرادة الإنسان وحريته ورغباته، وهذه مسلمات لا يمكن التخلِّي عنها وإلاّ نكون قد خرجنا عن الواقع العسكري ومستلزماته التي لا يمكن أن تنفذ إلاّ إذا كانت هناك قيود ناظمة للسلوك ضمن المجتمع العسكري. . . إلاّ أن هذا القيد الملزم ليس معناه التنكر أو التجاهل لدوافع الفرد العسكرية وحوافزه، وميوله، وأفكاره، ورغباته، فالعسكري ليس آلة صماء عديمة الإحساس والتفكير. . . والتربية العسكرية ـ كما رأينا ـ تعمل على توجيه ميول الإنسان، ومواقفه، ودوافعه نحو أمور سامية مثل التضحية والإيثار، والصمود، والجهاد. . . من أجل الدفاع عن كرامة وأهداف الأمة. إن الأديب الروسي (تولستوي)[1] في روايته الشهيرة (الحرب والسلم) هو أول من أشار إلى أهمية الأفراد في تقرير مصير الحرب، وهو يذكر في روايته ما يلي:

«إن قوة الجيوش في الحرب هي نتاج للأعداد البشرية مضروبة بعامل آخر مجهول هو العامل (س) (X - Factor)، فالعلوم العسكرية والتاريخ العسكري تعطينا أمثلة كثيرة من شواهد التاريخ عن جيوش لا تتناسب أعدادها مع القوات المحاربة، وكثيراً ما غلبت أعداد قليلة جحافل جرارة، وكان هذا العامل المجهول هو سبب النصر، فكان يعزى الانتصار إلى أسلوب القتال المادي، وأحياناً أخرى إلى التفوق بالسلاح والعتاد، وفي أغلب الحالات كان الانتصار يُفسَّر بفضل عبقرية القائد. . . والحقيقة أن العامل (س) هو روح الجيش المعنوية وقدرته المحركة، بغض النظر عن القدرة المادية على القتال، سواء أكان الأفراد يحاربون تحت إشراف قادة عباقرة أو عاديين، وبأسلحة نارية كبيرة القدرة والفاعلية، أم بأسلحة خفيفة».

لقد بلغت أهمية دراسة مواقف الجنود واستعداداتهم الانفعالية من قبل قسم الأبحاث النفسية والاجتماعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكي خلال

(١) **تولستوي (ليون) Tolstoi** (١٨٢٨ ـ ١٩١٠م): أديب روسي وكاتب قصة، كان يهدف إلى إصلاح المجتمع من خلال نشر العدل والمحبة والابتعاد عن العنف. له آثار أدبية منها: «الحرب والسلم» و«آنا كارينينا».

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٦ ـ ١٩٤٥)، لدرجة أن القوات الأمريكية، التي كلفت بمهمة الإنزال في الجزر البريطانية تمهيداً لعملية غزو النورماندي[١]، قد تم دراسة استعداداتها القتالية النفسية، وتبيَّن من نتائج هذه الدراسة، ومن مقارنة هذه النتائج مع الاضطرابات النفسية والعقلية التي وقعت، بأن الاستعداد للإصابة بهذه الاضطرابات لم يكن صدفة بل واقعاً يمكن التنبؤ به أو الكشف عنه مسبقاً بفضل وسائل التشخيص والقياس النفسي، وهكذا تمَّ الوقوف أمام معطيات علمية وإحصائية ترتبط ارتباطاً عالياً، بما أسميناه بالعامل (س). وفي ضوء ذلك تمكن قسم الأبحاث الأمريكي من توقع حدوث التفكك والانهيار اللذين عاناهما الجيش الأمريكي في ألمانيا بسبب القيادة التسلطية السيئة، وكان هذا التوقع نتيجة الاختبارات النفسية التي طبقت على وحدات الاستطلاع الأميركية التي نزلت في بر ألمانيا النازية[٢]، وتبين فيما بعد، وفي كثير من الدراسات العسكرية والتعبوية، بأن العامل (س) هو العامل الحاسم في الحروب.

---

(١) **النورماندي ـ نورماندیا Normandie**: مقاطعة في شمال غربي فرنسا على الأطلسي، شهدت معارك طاحنة بعد إنزال قوات الحلفاء فيها عام ١٩٤٤ في الحرب العالمية الثانية.

(٢) **النازية Nazisme**: تيار عنصري قاده هتلر في ألمانيا، يعتمد القومية الشوفينية التي تقوم على تفوق العنصر الألماني، ويعتمد فلسفة القوة، وهذا الفكر النازي الذي أسسته فلسفات قبل هتلر دفع إلى خوض الحرب التدميرية التي قادها هذا الأخير، ولا تزال صفة نازية تقال لكل عنصري أو فئوي يسلك باستعلاء وفوقية.

وسائل قياس مستوى الروح المعنوية في القوات المسلحة (علم النفس العسكري)

ذكرنا في مقال سابق أنَّ الروح المعنوية (Morale) تعتبر من العناصر الأساسية والهامة لكل مؤسسة مدنية أو عسكرية، حتى تستطيع هذه المؤسسة أن تؤدي وظيفتها وتحقق أهدافها على أكمل وجه ممكن. وبالنسبة لكل مؤسسة فإن الطاقة البشرية (أو الإنسان) هي أساس الإنتاج، وأهم ما في هذه الطاقة أو الإنسان الروح المعنوية، وهناك اتفاق دولي داخل المؤسسات العسكرية في العالم على أن العبرة ليست بالسلاح، وبالتقنية الحديثة، والإمكانيات المادية... بل العبرة بالفرد الذي يستخدم السلاح ويوجه هذه التقنيات أو الإمكانيات، حسب خطط مدروسة من أجل تحقيق الهدف، وكلنا يعلم بأن الفرد الذي يتمتع بروح معنوية عالية يكون لديه قدرة أكبر على الصبر والتحمل ومقاومة عوامل القلق والخوف والتوتر وتحمل الضغوط النفسية، وعدم الخوف من الموت، والسيطرة على نفسه وقت الشدَّة، والاستفادة من خبرته وقدراته الذاتية إلى أقصى قدر ممكن... والتوجيه المعنوي (كما أشرنا في مقال سابق) هو عبارة عن علم وفن يستخدم طرائق علمية تطبيقية هامة لتحقيق أهداف يقدرها المجتمع المدني أو العسكري، وتحكمها علاقات منظمة وحقائق وقوانين نفسية واجتماعية وعقلية موضوعية تمَّ الوصول إليها من خلال البحوث العلمية التي تعتمد على الملاحظة، والبحث والتجريب. ومن بين هذه الطرائق العلمية المفيدة في مجال القوات المسلحة (وغيرها من مجالات) طرق القياس والتقييم (Evaluation) التي أشرنا إليها سابقاً. وتفيد هذه الطرق في معرفة مدى التقدم (أو التدهور) الذي حققته المؤسسة العسكرية لدى أفرادها بفضل عمليات التدريب، والإعداد والتعليم، وممارسة الأنشطة، والاجتماعات، والمهام... كما تفيد

في مجال إجراء الدراسات والبحوث العلمية لمعرفة الواقع الراهن للقوات المسلحة، والكشف عن المشاكل والاحتياجات اللازمة، كما تفيد في تقييم الأفراد من كافة المستويات لمعرفة قدراتهم ونقاط الضعف والقوة لديهم، وتقديم مقترحات أو توصيات للقيادة، من أجل التخطيط السليم، وبناء سياسة عمل واستراتيجية أفضل لتحقيق أهداف القوات المسلحة في ضوء التطورات العلمية والتقنية والمستجدات العسكرية في العالم، وخاصة في ظل التحديات الأخيرة والحروب القائمة، وفي عصر العولمة، والهجمة الشرسة على المسلمين والإسلام. وعادة يتم إجراء مقابلات شخصية للأفراد وتوجيه بعض الأسئلة لمعرفة فيما إذا كانوا قد تدربوا جيداً، وهل قيادتهم جيدة؟ وهل يثقون بسلاحهم؟ وهل يشعرون بروح عدائية تجاه العدو ولديهم استعداد لقتاله؟ وهل يشعرون بالاعتزاز والفخر لانتمائهم إلى وحدتهم؟ وهل لديهم مقترحات لتحسين ظروف حياتهم؟.. إلخ.

ومن الطرق المساعدة أيضاً:

١ ـ **الملاحظة (Observation)**: تهدف الملاحظة إلى اختبار مستوى الأداء السلوكي للأفراد في مواقف مختلفة، ويجب أن تكون الملاحظة صادرة عن فرد له خبرة في هذا المجال، وأن لا تتم الملاحظة مرة واحدة، أو خلال دقائق معدودة، مما قد يؤدي إلى إصدار أحكام غير صحيحة حول الفرد، ويفضل ملاحظة تكرار السلوك في فترات مختلفة من الزمن مما يفيد في معرفة التغيرات التي تطرأ على الفرد، ويجب أن يتوافر في الملاحظة الدقة والموضوعية (Objectivity)، والبعد عن الأمور الشخصية أو الذاتية، وتفيد الملاحظة في معرفة مستوى أداء الأفراد في مواقف محددة، والعوامل التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في مستوى هذا الأداء، مثل الدوافع التي تشكل سلوك هؤلاء الأفراد، ومشكلات الأفراد، وردود أفعالهم، والفروق في سماتهم الشخصية والعقلية والنفسية... والقائد أو المسؤول عن الوحدة العسكرية عليه في ضوء نتائج هذه الملاحظة أن يعدِّل من طرائقه أو استراتيجيته حسب نتائج الملاحظة، مثلاً ملاحظة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، وحالات المرح، والنشاط، والاهتمام، والتعاون... أو حالات العدوان، والكآبة، والانطواء، والخمول، والإهمال... حالات العصيان والتمرد والعناد،

وحالات النظام والطاعة والاحترام، حالات الذكاء والفطنة والمبادرة، وحالات الضعف العقلي وعدم التركيز والانتباه... حالات الخوف والتوتر العصبي، وحالات السيطرة والاتزان، الحالات الملتزمة دينياً، وحالات ضعف الإيمان... إلخ. ويمكن للقادة القيام بذلك خلال تدريباتهم، وخلال زيارات التفتيش لديهم، وعند سماعهم لأحاديث الأفراد، ومشكلاتهم، وخلال كل موقف في لقاء منظم أو عرضي، والقائد الناجح هو الذي يسجِّل نتائج ملاحظاته للاستفادة منها فيما بعد في عمليات تقييم الأفراد، وهو الذي يخطط لإجراء الملاحظة وتحديد الموقف، والمكان، والزمان، والهدف، وذلك فى حالة الملاحظة المنظَّمة.

٢ ـ مراجعة مؤشرات (Indicators) عامة تفيد في قياس المعنويات: هناك مؤشرات عامة توحي بمستوى الروح المعنوية لدى الأفراد (إيجاباً أو سلباً)، ومن أهم هذه المؤشرات ما يلي:

١ ـ عدد مرات الغياب بدون أذن أو بدون عذر.

٢ ـ عدد مرات التأخر عن العمل صباحاً، والذهاب قبل الموعد.

٣ ـ عدد مرات الإجازات المرضية الصحيَّة لأسباب صحية بسيطة.

٤ ـ طلب النقل إلى وحدات أخرى.

٥ ـ نسبة العقوبات التي تلقاها الفرد.

٦ ـ نسبة المشاكل التي يسببها الفرد داخل الوحدة.

٧ ـ نسبة المشاكل العامة التي يعاني منها الفرد.

٨ ـ الاهتمام بالمظهر العام والنظافة (القيافة).

٩ ـ مستوى الاهتمام والعناية بالأدوات والمعدات وغيرها.

١٠ ـ وجود عادات ضارة بالصحة.

١١ ـ المحاكمة والاتزان العقلي والتريث بإطلاق الأحكام.

١٢ ـ احترام الآخرين والقادة والطاعة والالتزام بالنظام...

١٣ ـ سرعة الاستجابة للأوامر العسكرية.

١٤ ـ أداء الواجبات وتحمل المسؤوليات والاستعداد لتنفيذ مهمات خاصة.

١٥ ـ عدم التذمر والشكوى في مواقف الشدَّة.

١٦ ـ الاهتمام باللياقة البدنية وزيادة الخبرة والوعي العسكري.

١٧ ـ الألفة والمحبة مع الزملاء والقادة، وقلة الخصام والتباغض.

١٨ ـ الاعتزاز والفخر بالوحدة والولاء للقيادة.

١٩ ـ . . . مؤشرات أخرى، مثل حوادث النظام العسكري، ونسبة انتشار الأمراض الجنسية المتفشية.

٣ ـ استخدام الاستبيانات (Questionnaire) ووسائل القياس العلمية: هناك مجموعة مقاييس مقننة، لها صدق وثبات، وتعليمات، وطرائق خاصة للتصحيح تساهم في قياس بعض أبعاد الروح المعنوية لدى الأفراد، مثل:

١ ـ اختبار الدافعية للإنجاز والأداء الجيد وتحقيق النجاح.

٢ ـ اختبار مفهوم الذات للكبار (مدى رضى الفرد عن ذاته إيجاباً أو سلباً).

٣ ـ اختبار التوافق المهني مع المهنة والمهمة المكلف بها الفرد.

٤ ـ اختبار الاتجاه نحو العمل والمهنة أو المؤسسة.

٥ ـ اختبار الاتزان الانفعالي وعدم الاتزان في الشخصية.

٦ ـ اختبار القدرات العقلية العامة.

٧ ـ اختبار الميول المهنية.

٨ ـ اختبار المشكلات العامة التي يعاني منها الأفراد.

٩ ـ اختبار العلاقات الاجتماعية داخل الوحدة أو المؤسسة.

١٠ ـ اختبار الروح المعنوية في القوات المسلحة (راجع فقرة التقويم والقياس في علم النفس العسكري).

١١ ـ اختبارات فرعية أخرى لمستوى الثقة بالنفس، والطموح، والمثابرة.

وفيما يلي عرض موجز لأحد هذه الاختبارات المفيدة في مجال قياس مستوى الروح المعنوية.

- **اختبار الدافع للإنجاز والأداء الأفضل (رضى الفرد عن عمله)**: يتكون هذا الاختبار من عدد من الفقرات، يجاب عن كل فقرة بعدد من الإجابات التي تنطبق على حالة الفرد، وعلى الفرد اختيار الإجابة المناسبة لحالته، ووضع إشارة (✓) بجانب الإجابة. لا توجد إجابة صح وخطأ، وإنما الإجابة الصحيحة هي التي تعبِّر عن رأيك. أجب بصدق وصراحة وإجابتك تحفظ بسرية تامة وتعطى درجة واحدة على كل إجابة إيجابية:

١ - إن العمل شيء:

أ - أتمنى أن لا أقوم به.

ب - لا أحب أداءه كثيراً جداً.

جـ - أتمنى أن أفعله.

د - أحب عملي.

هـ - أحب عملي كثيراً جداً.

٢ - في الوحدة يعتقدون أني:

أ - أعمل بشدة وجهد.

ب - أعمل بتركيز.

جـ - أعمل بدون تركيز.

د - غير مكترث بعض الشيء.

هـ - غير مكترث ومهمل جداً.

٣ - أرى بأن الحياة العسكرية:

أ - حياة مثالية.

ب - سارة جداً.

جـ - سارة.

د - غير سارة.

هـ - غير سارة جداً.

٤ ـ إن قضاء وقت للاستعداد لأداء شيء ما:

أ ـ لا قيمة له في الواقع.

ب ـ أمر ساذج.

جـ ـ غالباً ما يكون مفيداً.

د ـ له أهمية كبيرة.

هـ ـ ضروري لتحقيق النجاح.

٥ ـ عندما أُكلَّف بأداء مهمة ما تكون مسؤوليتي أمام نفسي:

أ ـ مرتفعة جداً.

ب ـ مرتفعة.

جـ ليست مرتفعة ولا منخفضة.

د ـ منخفضة.

هـ ـ منخفضة جداً.

٦ ـ عندما يشرح المدرب الطريقة أو المعلومات:

أ ـ أعقد العزم على أن أبذل قصارى جهدي للانتباه والفهم.

ب ـ أعمل على تحقيق الفائدة العلمية المرجوة.

جـ ـ أشرد وتتشتت أفكاري.

د ـ أميل لأشياء لا علاقة لها بالتدريب.

٧ ـ أعمل عادة:

أ ـ أكثر بكثير مما قررت أن أعمله.

ب ـ أكثر بقليل مما قررت أن أعمله.

جـ ـ أقل مما قررت أن أعمله.

د ـ أقل بكثير مما قررت أن أعمله.

٨ ـ إذا لم أقم بمسؤوليتي تماماً.

أ ـ استمر في بذل قصارى جهدي لأداء واجبي.

ب ـ أبذل جهدي مرة أخرى للوصول إلى هدفي.

جـ ـ أجد صعوبة أن أحاول مرة أخرى.

د ـ أتخلى عن إصراري وأرغب في التخلي عن عملي.

هـ ـ لا يهمني ذلك كثيراً.

٩ ـ اعتقد بأن عدم إهمال الواجبات:

أ ـ غير هام جداً.

ب ـ غير هام.

جـ ـ هام.

د ـ هام جداً.

١٠ ـ عندما أُكلَّف بعمل ما:

أ ـ أثق بنفسي كثيراً في قدرتي على أداء العمل.

ب ـ أثق بنفسي.

جـ ـ أثق بنفسي إلى حدٍّ ما.

د ـ لا أثق كثيراً بنفسي.

هـ ـ لا أثق بنفسي من حيث قدرتي على تنفيذ هذا العمل.

١١ ـ إن العمل الذي يتطلب مسؤولية كبيرة:

أ ـ أحب كثيراً أن أقوم به.

ب ـ أحب أحياناً أن أقوم به.

جـ ـ أقوم به إذا كوفئت عليه.

د ـ لا أحب القيام به خشية الفشل.

هـ ـ لا يجذبني نهائياً ويسبب لي انزعاجاً.

١٢ ـ عند تلقي التعليمات أو الأوامر:

أ ـ أسرع في تنفيذ هذه التعليمات.

ب ـ أستجيب ببطء.

جـ ـ أتردد قبل أن أنفذ التعليمات.

د ـ أهمل تنفيذها قدر المستطاع.

هـ ـ أكره إعطائي التعليمات أو الأوامر.

١٣ ـ علاقتي مع زملائي:

أ ـ جيدة جداً.

ب ـ جيدة.

جـ وسط.

د ـ ضعيفة.

هـ ـ ضعيفة جداً.

١٤ ـ يمكن أن أعمل لأداء شيء ما بدون تعب لمدة:

أ ـ طويلة جداً.

ب ـ طويلة.

جـ ـ متوسطة.

د ـ قصيرة.

هـ ـ قصيرة جداً.

١٥ ـ إن علاقتي مع قادتي:

أ ـ ذات قدر كبير بالنسبة لي.

ب ـ ذات قدر عادي.

جـ ـ غير ذات قدر.

د ـ غير هامة إلى حدٍّ ما.

هـ ـ غير هامة كثيراً.

١٦ ـ بالنسبة لمهامي في المؤسسة التي أعمل بها أكون:

أ ـ في منتهى الحماس.

ب ـ متحمس جداً.

جـ ـ متحمس.

د ـ قليل الحماسة.

هـ ـ غير متحمس على الإطلاق.

وللمقياس طريقة سهلة في التصحيح، ويعتمد على تحليل مضمون الاستجابات (Content Analysis) وتعطى عادة درجة (٥) أو درجة (٤) لأعلى الاستجابات الإيجابية، ودرجة واحدة لأدنى الاستجابات (السلبية).

الروح المعنوية لدى المجموعة (الجماعية)

مما لا شك فيه أن النظام والفعالية يشيران إلى المعنويات العالية، ولكن شريطة أن لا يكونا ناجمين عن ضغط سلطة خارجية، لهذا من الخطأ أحياناً أن ننسب مقدار العمل المنفذ على أنه دليل عن مستوى المعنويات. ويذكر محمد الحجار في كتابه «علم النفس العسكري» بأن تقارير شعبة القصف الاستراتيجي الأمريكي عام (١٩٤٦) كشفت عن الكفاءة الرائعة للعمال الألمان في تحقيق مردود عالٍ من العمل حتى في المرحلة الحرجة التي كان خلالها الحلفاء يركزون قصفاً جوياً كثيفاً على ألمانيا النازية، ولكن لوحظ في الوقت نفسه انهيار معنويات هؤلاء العمال، وكان ذلك يظهر من خلال مشاعر اليأس والانهزامية والانتقاد الموجه إلى الزعماء النازيين. فالمشكلة هنا ليست في معرفة لماذا يتابع الألمان النضال بعناد في ظل ظروف يائسة؟ وإنما في معرفة مدى استعداد الألمان لمتابعة جهودهم ككل فيما لو لم يكن هناك ضغط خارجي عليهم، أي إذا كانت لديهم حرية التقرير... إن شعبة القصف الاستراتيجي أشارت وبشكل قاطع إلى أن عدداً كبيراً من الألمان كانوا على استعداد للتخلي عن كل شيء قبل أن يسمح لهم قادتهم بذلك بزمن طويل، وثمة خطأ نحو اعتبار المعنويات السيئة ترتبط بازدياد التوتر بين الأفراد، والواقع أن مستوى التوتر (Tension) لا يمكن أن يميِّز بين المعنويات العالية والمعنويات المنخفضة حيث أن بعض الأزمات، أو التوترات الناشئة بين الأفراد قد تدل على وضع طبيعي سليم، بينما قد تكون توترات أخرى باعثة على القلق، مثل التوتر الناشئ بين القادة والأفراد، وهذا أمر خطير، وكذلك التوتر الناجم عن المصالح الشخصية والمصلحة العامة، أما التوترات أو الخلافات التي يثيرها الاختلاف على سير العمل أو تنفيذ المهام فإنها تدل على روح جماعية تعاونية، وتكون على شاكلة ما يسمى بعلم النفس بالقلق الدافع (Anxiety Motivation)، وهذا أمر مفيد

وفعال في خلق روح معنوية جماعية، مع حماس واندفاع، وتسخير الطاقات لتحقيق المهام.

إن الروح المعنوية الجماعية هي ليست محصلة الروح الجماعية للأفراد، بل تزيد على ذلك روح الترابط والتماسك والتكامل بين الأفراد، وهي قد تشبه معنويات بعض الأفراد ولكنها لا تتصف بالفردية، لأن هناك فروقاً فردية بين الأفراد من حيث مستوى المعنويات، ولكن الصورة الكلية تختلف من حيث القوة والاندماج في (أنا الجماعة) وبحيث يشعر كل فرد بأن الجماعة هي التي تؤمن له حاجاته، وأمنه، ومساعدته، مع الإحساس بالجماعة والولاء والتضامن مع أفراد الجماعة، ولتحقيق أهداف جماعية مشتركة، وكما يقول واطسون[١] (١٩٤٢) إن المعنويات الجماعية تتطلب وجود قطب مغناطيسي يجذب آمال الأفراد، فإذا ما فقدت المعنويات الجماعية، فقد الأمل في تحقيق النجاح أو الأهداف، وحدث التفرُّق بين الأفراد، وساد الخوف والكراهية، والغضب. وبالإضافة إلى الأهداف المشتركة فثمة احتياجات تعمل المجموعة على تأمينها لأفرادها باعتبارهم أعضاء في المجموعة. إن كثيراً من الأفراد يشعرون برغبة ملحَّة في مشاركة الآخرين في أعمالهم، ويمكن أن يكون ذلك بسبب الحاجة إلى تأكيد الذات (Self Assertiveness)، أو لفت الانتباه للاعتبار الشخصي أو التعبير الذاتي، ومن الملاحظ أن معنويات الأفراد تنخفض إذا شعروا بأنهم لا يقومون إلاّ بدور تافه في قيادة مجموعتهم، وهذا الدور لا يعزز مكانتهم أو ذواتهم، كما يحدث عندما لا يمنحون الفرصة لإثبات وجودهم خاصة في الأعمال المشتركة.

ومن معنويات الجماعة شعور الجماعة مجتمعة بأنها تتقدم نحو هدفها، والعكس صحيح، فليس شيء مثل النصر أو الفوز أدعى للنصر، ومثل الفشل أدعى للفشل. إن الإحساس بالتقدم نحو الهدف يُماثل من حيث المعنويات

---

(١) **واطسون (جون برودوس) Watson** (١٨٧٨ ـ ١٩٥٨): عالم نفس أمريكي، نظريته لا تأخذ الوعي بالحسبان، ومدرسته تدعى: السلوكية، ومفادها أن المؤثرات الخارجية تليها استجابات، وأننا ندرس من شخصية الإنسان سلوكه الظاهر ولا يمكننا النفاذ إلى حياته النفسية أو وعيه الداخلي.

الأهمية المتعلقة بمستوى الآمال وبدرجة التنفيذ في ذهن أفراد الفئة، وقد شرح بعض المهتمين بعلم النفس العسكري ذلك بأن الرجل الناجح هو الذي يضع لنفسه هدفاً مباشراً أبعد بقليل من الهدف الذي حققه، وهو بهذه الطريقة يسمو تدريجياً بآماله، وهو يدرك أنه يسعى في المدى الآجل نحو هدف مثالي قد يكون بعيداً نسبياً، وهو هدف منطلق من وضعيته الراهنة. أما الرجل الفاشل فينهج على النقيض من ذلك متبعاً إحدى الطريقين، إما أن يختار هدفاً متواضعاً، أقل من قدراته فيتملكه القلق والخوف ويتخلى عن كل سعي نحو أهداف أسمى، وإما أن يستهدف غاية تتجاوز إمكاناته وقدراته، وهو الشائع في الغالب، وقد يصادف أن يلاحق الفرد هدفه خبط عشواء من دون إدراك لما يمكن تحقيقه، لذلك فإن المعنويات الجيدة هي التي تدرك الواقع جيداً، ولا يوجد تباين بين المتوقع في تحقيق الأهداف وبين الواقع، لهذا يتعاون الأفراد جميعاً على تحقيق الأهداف، كما في الأحزاب، والمؤسسات، والإصلاحيات، والمنظمات اللاحكومية (NGO).

يضاف إلى ذلك أهمية التوقيت الزمني كأحد عوامل المعنويات، ونعني بذلك ظروف تعاقب الزمان، خاصة النظرة الشاملة للماضي والمستقبل وأثرهما على الزمن الحاضر، والزمن يساعد في التعبير بصراحة ووضوح عن المراحل المتعاقبة في التقدم نحو تنفيذ الأهداف، وبشكل يعطي المجموعة صورة واضحة للمخطط العام لعملية المتابعة بجهود مشتركة.

ويوجد مظهر آخر للعامل الزمني له أهميته بالنسبة للمعنويات، وهو المتعلق بمشاعر القلق والشك والتوقع التي يخبئها المستقبل. إن كثيراً من العسكريين تتحطم معنوياتهم إذا كانوا يجهلون ما ينتظرهم والمصير الذي يترقبهم، أو يُفاجأون في ذلك، أو يكون هناك تباين بين ما توقعونه وبين ما حدث في الواقع... وإن خير علاج لمثل هذه الحالات المواجهة المباشرة للواقع المظلم وفي مقاومة مشاعر القلق والحيرة من أن يهدم كل أمل أو توقع. لقد وجد بأن هناك علاقة بين مستوى المعنويات الجيدة وبين العامل الزمني الذي يأخذ مدة طويلة بعين الاعتبار، وبمعنى آخر إن المعنويات الجيدة تدفع بالأفراد إلى مواصلة نشاطهم من دون تعب أو ملل، وقد لوحظ خلال الحرب العالمية الثانية بأن الإقلال من الفروق الظاهرية للامتيازات بين

مختلف الرتب العسكرية يزيد من الروح المعنوية. لقد عني الألمان في هجماتهم الجوية على لندن بتركيز القصف الجوي على الأحياء الشعبية، وسرعان ما ظهرت بوادر خطيرة من نقمة سكان هذه الأحياء على مواطنيهم الآخرين من سكان الأحياء الذين لم يتعرضوا مثلهم لأخطار القصف الجوي، وعندما قصف قصر (بكنغهام) جرى تحوُّل مفاجئ في المعنويات، حيث شعر الجميع بأن الجميع أصبحوا سواء في التعرض إلى الخطر نفسه. ويبدو أن شعور العمل جنباً إلى جنب والشعور بالتعاون مع الآخرين يعززان المعنويات، وقد اعترف العديد من العسكريين بأن مستوى المعنويات يزداد عندما يشعرون بأن الآخرين يشاركوننا، لذا غالباً ما يقع الفرد المنعزل فريسة الجزع ويفقد الثقة بنفسه، ولكنه يستطيع إذا كان ضمن جماعة أن يتابع النضال بدون خوف أو فزع (اقرأ عن الباراسيكولوجي والحياة) ولقد أثبتت التجارب بأن طفلين تربطهما صداقة متينة هما أقل تأثراً بصدمة الحرمان من طفلين آخرين لا يبالي أحدهما بالآخر، فالظاهر أن الشعور بالتضامن (الشعور واللاشعور الجماعي) يقاوم الانهيار المعنوي.

وأخيراً، يمكن القول بأن المعنويات الجماعية أقوى من المعنويات الفردية، وأن المجموعة التي تتمتع بمعنويات أعلى هي التي يتقمص أفرادها شخصية جماعتهم. إن التوحد هنا أو الروح الجماعية يعني الميل لدى الشخص إلى الإحساس بأن هذه الجماعة هي جماعته، وأن نجاح أو ازدهار هذه الجماعة هو نجاح وازدهار له، عملية توحد (Identification)، ونشوء مفهوم النحن الذي يتجاوز نطاق الأنا الفردية، والتوحد يصبح عوناً ودافعاً للفرد في تصور آفاق أوسع لمستقبل جماعته، والتوحد يتم عندما تكون أهداف الجماعة هي نفسها أهداف الفرد، ولدى الفرد صورة وجدانية ذهنية عن جماعته، وفي هذه الصورة يحتل الجهاز الرسمي للجماعة مكانة عظيمة (الاسم، والشعارات، والطقوس، والألبسة الرسمية، والأعلام، والإعلام، والمهام، والوسائل والإمكانات. . .) وهذه كلها تشعر الفرد باندماجه في جماعته وتحرِّض على عملية الاندماج، ولهذا نجد بعض المنظمات السياسية مثلاً تضع أعضاءها الجدد في مناصب ووظائف يحملون فيها مسؤوليات تضطرهم إلى الشعور سريعاً باندماجهم في الجماعة، كما أن هذه المنظمات

تعمل على إثارة اهتمام الشخصية الفردية بالأعمال الجماعية المشتركة (Allport, F. H) (١٩٤٦) ويميز ألبورت بين التوجيه الجزئي والتوجيه الكلِّي، ففي الحالة الأولى يتم تحريض جوانب محدودة من الشخصية الأمر الذي يؤدي إلى أزمات نفسية خطيرة، وفي التوجيه الكلِّي نجد أن جميع شخصية الفرد (الفكر والعاطفة والسلوك) منصهرة في المجموعة وفاعلة في سبيل الآمال المشتركة، ولا مجال لأي أزمات نفسية، لهذا يفرِّق ألبورت بين مفهومي الفعالية والمساهمة، (Participate). إن كثيراً من الأفراد يعيشون كالآلة الصماء لا يولجون شخصياتهم حتى في الأعمال التي لها أهمية حيوية بالنسبة لهم. إن الإنسان القانع بالعمل يختلف عن الذي يسهم فيه، واندماجه يكون أقوى.

ويجب أن لا غيب عنا في حديثنا عن معنويات الجماعة أنه بالإضافة إلى وجود عوامل إيجابية تزيد من مستوى الروح المعنوية لدى الأفراد، هناك أيضاً عوامل سلبية يمكن لها دعم المعنويات ورفع مستواها، فمن المعلوم أن وحدة الصف تزيد قوة في حالة التهديد الجماعي أو الخطر المشترك، وهذا لا يكون إلاّ إذا كانت الجماعة متضامنة مسبقاً، وإلاّ فإنَ التهديد يؤدي إلى ذعر جماعي وانهيار عوضاً عن المواجهة والصمود المشترك.

عندما هاجم اليابانيون ميناء (هاربر)[١] كان الهجوم ناجحاً إلاّ أنه أدى إلى توحيد الصف بين الشعب الأميركي. إن ضغط العدو يسكت أو يوقف الخلافات الداخلية ويسهم في توحيد الشعب بشكل جدِّي يدفعه إلى الأمام وإلى هزيمة العدو، ولكن الخطر المشترك غير كافٍ إذا لم تكن البلاد والشعب يداً واحدة. أما إذا كانت هناك خلافات داخلية سياسية فإن ذلك يؤدي إلى التفرقة والضعف، وهذا ما حدث عندما أدى هجوم الألمان على

---

(١) **بيرل هاربر**: قاعدة بحرية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية تقع جنوبي جزيرة أوهايو، إحدى جزر هاواي، مساحتها حوالي ٢٦ كلم^{٢}. اشتهرت القاعدة عندما تعرضت في ٧/ ١٢/ ١٩٤١ لهجوم صاعق من قبل الفدائيين اليابانيين (الكاميكاز) الذين تمكنوا من إغراق عدد من السفن الحربية الراسية فيها مع أطقمها، مما دفع الولايات المتحدة إلى الدخول بفاعلية في الحرب العالمية الثانية، ومن ثمَّ الوصول إلى استخدام القنابل الذرية ضد مدينتين يابانيتين هما: هيروشيما، وناكازاكي.

فرنسا عام (١٩٤٠) إلى انهيار المعنويات، وذلك لأن فرنسا كانت ولسنوات مسرحاً لصراعات اجتماعية، وخلافات سياسية داخلية، استغلها الطابور الخامس الألماني بكل عناية مما أدى إلى صدامات داخلية وتفرقه كبيرة، لذلك فإن الإحساس بالوحدة والتضامن هو الذي يزيد من المعنويات. ويعتقد كثير من الزعماء السياسيين بأن اختلاق فئة أو ذريعة ما بشكل ذكي والإعلان عن ذلك وبأنها عدو وخطر عام يكفي لرفع معنويات الأفراد، أو لإضعاف الخلافات الداخلية، كما يحدث الآن عندما يتوهم الأمريكيون وأتباعهم ويعلنون بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول هي بسبب أسامة بن لادن والمسلمين، وأبي مصعب الزرقاوي، أو الإرهاب. . . إلخ. إنهم يختلقون عدواً وهمياً لهم لكي يبرروا أغراضهم السيئة من حرب ودمار واحتلال وغير ذلك. وكما أشرنا في السابق فإن قائد الوحدة له أهمية في مجال المعنويات الجماعية، وهو المسؤول عن ذلك نظراً لمركزه الخاص في المجموعة، ومن هنا، وكما سنرى في حديثنا عن اختيار القادة، كانت أهمية اختيار قادة أكفياء يعرفون كيفية تحريض معنويات المجموعة، ورفع مستواها، وتعزيز هذه المعنويات والحفاظ عليها للاستفادة منها وقت الحاجة.

الفصل الرابع

الإعداد النفسي

* العقيدة العسكرية
* القيادة
* إعداد الفرد للحياة العسكرية وكيفية التعامل مع الأفراد
* الجماعية في القوات المسلحة
* علم النفس الاستخباراتي

العقيدة العسكرية
(Military Dogma)

هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقِدِه، ويرادف العقيدة في اللغة الاعتقاد والمعتقد، وجمعها عقائد (لسان العرب). وتدل العقيدة على اعتقاد ثابت وراسخ بشأن موضوع ما عادة ما يكون ذا صبغة دينية ذات أساس مقدس، يطاع من دون مناقشة (منهج العقل ومنهج النقل في الإسلام)، ويعتبر من يحاول تغييره أو الاعتراض عليه كافراً، ويكون عرضة للإدانة والعقاب، مثل عقيدة البعث والحساب. وفي الموسوعة العربية، المجلد رقم (١٣)، كلمة عقيدة في اليونانية تعني كل ما يبدو حسناً وخيِّراً، ثم أصبحت تعني إرشادات شرعية، وأخيراً عقيدة مفروضة.

والعقيدة تدل على النظرية التي تُقرُّها السلطة، ويلتزم بها الأفراد، أو هي المبدأ الذي يقوم عليه المذهب ويسلِّم معتنقوه بصحته، وعلى أنه نوع من الإيمان، لذلك ارتطبت الكلمة بالدين. وللعقيدة في العلوم الإنسانية معنى ديني يدور حول عقائد الوحي، مثل أركان الإسلام، التي تفسَّر بأنها أوامر من الله عزّ وجل، ومعنى فلسفي خاص بمجال المعرفة واليقين (نظرية الشك واليقين Epistemology)، ويتعلق كل منهما بمجموعة من حقائق الوجود والطبيعة وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، وتكون على شكل نسق من الأفكار تُقبل كما هي، ولا تُناقش، وتُطاع في ذاتها، وذلك ثقة في مصدرها (الشريعة، السلطة، العُرف، العقل المحض أحياناً)، وهذا المصدر يعلو على أي برهان. وقد يرتبط المصطلح بصفة اجتماعية مثل الأيديولوجيا (Idiology)، وتكون العقيدة هي الرأي المعترف به بين أفراد المذهب الواحد، كما في الماركسية، والكونفوشوسية، والرواقية قديماً (Stoicism)، والدجماتية (Dogmatism).

من الناحية الدينية هي جانب من اللاهوت الذي يهتم بالدعوة المسيحية،

وبدراسة العقائد والأخلاق والإيمان (The Faith)، وتعتمد الدجماتية المذهب المقابل للفلسفة النقدية (Criticism). والعقيدة في الإسلام ارتبطت بالأخلاق وأثير حولها العديد من القضايا من قِبَل علماء الكلام، وهي المجاهدة بالإيمان بوحدة الله وبرسوله والشهادة وغيرها من أركان الإسلام.

العقيدة (من منظور نفسي)

العقيدة في العلوم النفسية والاجتماعية: من معتقد،وهو جملة الأفكار والمبادئ العقلية أو التصورات الذهنية التي يعتقد بها الفرد (أو مجموعة من الأفراد) ويصدقها أو يؤمن بها، ويدافع عنها وتثير مشاعره، ويعتمدها في أعماله أو سلوكياته الحياتية أو الاجتماعية، أو المهنية... ويقال في اللغة: اعتقد فلان الأمر، أي صدَّقه واقتنع به، وعقد عليه قلبه وضميره، وعمل به. وتشير الدراسات العلمية إلى أن مفهوم العقيدة (Dogma)، أو المعتقد، ينشأ ويتكون بفضل عوامل التعلم والاكتساب والإعداد وتزايد خبرات الفرد وتجاربه في الحياة، ويكون ذلك من خلال التنشئة الأسرية، أو الاجتماعية، أو التربوية، أو الدينية، أو الثقافية أو العسكرية أو غير ذلك. ومن الطبيعي أن هذه العوامل تختلف، تأثيراً أو أهمية، من فرد لآخر، ومن مجتمع لآخر، أو من بيئة لأخرى، أو من مهنة لأخرى... ومن خلال عمليات التفاعل الاجتماعي يقوم الإنسان بتحليل المواقف التي يمر بها، ثم يصور أحكامه من حيث أن هذه المواقف محبَّبة أو مكروهة، والفرد حسب توقعاته يستجيب لهذه المواقف، فقد يتوقع الثواب أو العقاب،ويكون توقعه مبنياً على خبرات سابقة أو على القياس بالنسبة لأحداث أو مواقف متشابهة، وفي ضوء هذه التوقعات (Expectations) يقوم الفرد بالأداء أو السلوك. إذن نفهم من ذلك أن الفرد في المجتمع هو الذي يسبب سلوك أو أداء الفرد الآخر، فلكل فرد حقوق وواجبات، وهذا التفاعل أو التكامل بين الحقوق والواجبات هو أساس التفاعل الاجتماعي في المواقف الاجتماعية التي يمر بها الإنسان، وتدريجياً تزداد خبرات الفرد وقدرته على التمييز (Discrimination) بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، لهذا فإن الفرد في ضوء ذلك يقوم بتعديل سلوكه وطريقة تفكيره نحو الأفضل، وهذا يساهم في نمو شخصية الفرد وأفكاره وقدراته... حيث أن الأفراد في المجتمع قد

يشجعون الفرد على أداء عمل معين، أو يقفون عقبة في سبيل تحقيق ذلك، لهذا فإن التفاعل الاجتماعي يؤدي إلى إشباع مطالب واحتياجات الفرد. . . وتحقيق الرضا والسعادة والطمأنينة لديه. . . وكذلك توجيه سلوك الفرد، وأفكاره. وفي عمليات التفاعل الاجتماعي وبناء المعتقدات تتدخل قيم الفرد (The Values)، واتجاهاته العقلية (Attitudes) وميوله (Interest) وأهدافه، وهذه كلها ترتبط بالجانب العقلي والنفسي والسلوكي لدى الفرد، وهي تصبح أكثر ثباتاً أو استقراراً مع الزمن.

وفي المعتقدات غالباً ما يتحرر الفرد من سيطرة النواحي الوجدانية أو العاطفية وتزداد لديه سيطرة الجانب العقلي أو الفكري بحيث تصبح القدرة على التقييم والاقتناع أكبر، وخاصة إذا كانت هذه المعتقدات تناسب جميع أفراد الجماعة، كما تناسب ميول الفرد وقيمه وأهدافه. ويرى علماء النفس أنه بالرغم من أنه يصعب الفصل بين عمليات التفكير (أو المعتقدات العقلية) وبين النواحي النفسية أو الوجدانية، وبينها وبين سلوك أو أداء الفرد في الحياة، إلّا أنه في حالة العقيدة يكون الجانب العقلي هو السائد أو المسيطر لدى الفرد، وهم يرون بأن هناك خطوات أو مراحل لتكوين ما يسمى بالمعتقد (أو العقيدة) وهي:

١ ـ مرحلة إدراكية معرفية ناتجة عن تفاعلات الفرد واكتساب خبرات وتجارب تزيد من قدرته على التكيف والنجاح. . .

٢ ـ مرحلة تقييم الفرد لمكتسباته من خبرات وتجارب، والتمييز بين ما هو صح، وما هو خطأ، ضعيف أو قوي، مفيد أو ضار، مثالي أو واقعي، ثم تنمية هذه الخبرات أو تعديلها حتى تنضج بشكل أفضل وتساعد على تحقيق أهداف محددة، أو إصدار قرارات أو أحكام.

٣ ـ تكرار الخبرة عن طريق التعليم، والإرشاد، والتدريب. . . حتى يشعر الفرد بحماس انفعالي وعقلي يدفعه نحو أفكار أو موضوعات أو سلوكيات محددة، كما يعمق هذا الحماس هذه الأفكار أو السلوكيات في النفس، لدرجة التعصب أحياناً.

ومما لا شك فيه أن معتقدات الفرد وتصوراته العقلية لا تكون دائماً صحيحة أو منطقية مما يجعل السلوك غير سوي أحياناً، كما في حالات

التعصب أو التطرُّف أو المبالغة أو التحيُّز... وغير ذلك، وقد وجد بأن للمعتقدات بعض الخواص مثل:

١ ـ المعتقدات عبارة عن أفكار أو مبادئ عقلية أكثر ثباتاً أو استقراراً في ذهن الفرد، وهي تقاوم، لحدٍّ ما، التغيير بسبب تكرار الخبرة وقناعة الفرد.

٢ ـ المعتقدات غالباً ما تكون ذات طبيعة مثالية، أو روحية، أو إنسانية، وترتبط بأهداف إنسانية سامية، وطنية، دينية، أخلاقية... إلخ، كما ترتبط بأهداف الفرد، واتجاهاته العقلية، وميوله...

٣ ـ المعتقدات تمثل دافعاً قوياً لدى الأفراد تدفعهم للقيام بأداء سلوكيات معينة.

٤ ـ المعتقدات تزيد من كفاءة الفرد وقدرته على الأداء، كما تزيد من الإرادة والمعنويات.

٥ ـ المعتقدات تجعل الفرد ينكر ذاته تجاه مصلحة الآخرين وأنا الجماعة.

٦ ـ المعتقدات تكون نابعة من قناعة الفرد الذاتية، ورضاه الذاتي بعيداً عن القسر أو الإكراه.

٧ ـ المعتقدات تختلف حسب المذاهب الفكرية، والديانات، والقيم، والأهداف، والمجتمعات...

٨ ـ المعتقدات تُكتسب عن طريق التربية والتعليم والتدريب والتوجيه والتشجيع، وما شابه ذلك.

العقيدة العسكرية

إن الحرب الحديثة تؤكد على أهمية الأفراد في الحرب، فبالرغم من التطور التقني في الآلات العسكرية والحربية الحديثة إلّا أن هذه الآلات والمعدات لن تحقق النصر وحدها، وبدون رجال أكفاء يشرفون على استخدامها، ولديهم العزيمة والإرادة والتصميم على المواجهة والقتال. إن الدبابة الحديثة والطائرة الحديثة وحاملة الطائرات والتقنيات الحديثة... لا قيمة لها بدون الأفراد الذين يستخدمونها ويوجهونها. من هنا وجد قادة الجيوش بأن العامل البشري يبقى هو العامل الذي يقرر النصر أكثر من بقية

العوامل الأخرى، ولأن الذي يوجِّه، ويصوِّب، ويقدر الموقف، ويتخذ القرار، ويحدد الأهداف... هو الفرد وليس الآلة، والشيء المهم في الفرد، بالإضافة إلى خبرته وتدريباته، هو ما يسمى بعقيدة الدفاع والمواجهة أو القتال... وهي جملة معتقدات وأفكار تكونت لدى الفرد بفضل الإعداد والتوجيه والتدريب العسكري، وهذه المعتقدات تزيد من حماسه،ومن روحه المعنوية، وتدفعه نحو أداء واجباته بشكل صحيح سواء في حالة الحرب، أو في حالة السلم.

إن تطور العمليات العسكرية في وقتنا الراهن يتطلب من كل فرد في القوات المسلحة أن يستعمل تفكيره، وانتباهه، وقدراته... وذلك ليتصرف تصرفاً ناجحاً في المواقف التي تواجهه (عوضاً عن الطاعة العمياء المجردة من التفكير، والتي كانت سائدة في النظم العسكرية القديمة)، وهذا الجزء من التفكير يجب أن يكون جزءاً من تفكير الفرد العام وعقيدته العسكرية، فإذا لم يكن تفكير الفرد العام سليماً ونابعاً من قناعة وإيمان ورضى عن مهنته، فإن تفكير الفرد الخاص أو الشخصي يصبح غير متزنٍ أو جامد ينتهي إلى الانهيار أو الفشل... من ناحية أخرى إن زيادة الحريات العامة للأفراد وزيادة الوعي دفع العديد من الأفراد العسكريين إلى التساؤل: لماذا نحارب؟ أو لماذا نعد أنفسنا للقتال...؟ ومن هنا ندرك العلاقة بين ما يسمى بالعقيدة، (أو الأفكار والقيم والاتجاهات العقلية التي تدفع الفرد نحو العمل العسكري الصادق)، وبين الروح المعنوية، والإيمان أو الاقتناع بأهمية الهدف أو القضية التي تسعى إلى تحقيقها هذه العقيدة.

هل نهتم بالعمل العسكري دفاعاً عن النفس، أو عن الوطن، أو عن الشرف، أو عن الحق، أو لرفع الظلم، والاستبداد، أو التحرير، أو الدفاع عن الدين...؟ وهل توفر القوات المسلحة لأفرادها احتياجاتهم المادية والحياتية والنفسية والثقافية التي تزيد من قناعاتهم وإيمانهم وحماسهم لتحقيق مثل هذه الأهداف السامية...؟ وهل يمكن للقوات المسلحة جعل هذه العقيدة العسكرية هي عقيدة جماعية، والهدف هو جماعي وليس فردياً...؟

لقد ثبت، من الدراسات العسكرية، بأن العقيدة العسكرية تزيد من الأثر المعنوي للفرد كما تزيد من حماسه ونشاطه والتزامه وإنتاجه (أي كمية العمل

خلال زمن محدد)، أو تزيد من قدرة الفرد على تكبيد العدو خسائر ممكنة، كما أن الفرد المتحمس لا يتعرض إلى السأم أو الملل أو إلى التعب النفسي الذي يؤثر في طاقة الجسم والعقل. وباختصار إن الفرد المدفوع بعقيدة صادقة لا يتعرض إلى نوبات من التعب مثل الفرد الذي يعمل من دون هدف أو عقيدة.

من ناحية أخرى، إن العقيدة والحماس يزيدان من قدرة الفرد على التحمُّل والمثابرة والصبر، ونحن إذا تذكرنا أهم صفتين في عملية القتال، وهما مشقَّة الظروف المحيطة بالقتال، والزمن الطويل الذي تستغرقه المعركة، فإننا نقدِّر دور العقيدة في خلق زيادة التحمُّل، ومعظم الحروب تؤكد لنا بأن النصر غالباً ما يتحقق في الفترة الأخيرة من المعركة، فعامل التحمل والصبر والإصرار والعناد... حتى اللحظات الأخيرة، هو الذي يكسب المعركة ويحقق الهدف.

العقيدة والتغلب على الخوف والقلق والتوترات

إن الفرد المؤمن بعقيدة معينة لا يتطرَّق الخوف إلى قلبه، وقد أكدت التفسيرات النفسية ذلك، فالخوف حالة نفسية انفعالية ناجمة عن توقع وجود خطر يهدد الفرد، والإنسان غير المؤمن بعقيدته لا يشعر بالأمن أو الطمأنينة أو الاستقرار النفسي، ويكون أكثر عرضة للمخاوف ولتضخيم الأخطار المحدقة به، مما قد يؤثر سلباً في قدراته... أما الفرد الذي يؤمن بالعقيدة فإنه لا ينشغل بنفسه بل بالهدف النهائي الذي هو تحقيق الهدف أو تحقيق النصر...

من ناحية أخرى، فقد ثبت بأن الفرد الذي يقاتل عن عقيدة سامية غالباً ما يكون متفائلاً، وأمله في المستقبل كبيراً، وهو يكون أقرب إلى اليقظة والانتباه والتركيز من الفرد المتشائم، والفرد المتفاءل قلَّما يعاني من اليأس أو الاستسلام حتى بعد الهزيمة. ومن أهم وظائف العقيدة العسكرية أيضاً التعاطف الجماعي المشترك بين الأفراد. فالفرد الذي يعمل ضمن جماعة تدين كلها بعقيدة واحدة يستوحي منها (من الجماعة) القوة والثقة الكبيرين، على العكس من الفرد الذي يعمل ضمن جماعة غير متجانسة في الاتجاهات والأفكار، ولا تربط بينها عقيدة واحدة. كما أن العقيدة الواحدة بين الأفراد

تقضي على أسباب الخلاف والمنازعات بين أفراد الجماعة، بحيث يتم الحفاظ على طاقاتهم العقلية والانفعالية لتوجيهها نحو العدو، خاصة إذا علمنا بأن العدو يتدخل بحربه النفسية ليثير العداوة والبغضاء والنزاعات في صفوف الأفراد مما يضعف من وحدتهم وقدراتهم ويسهّل من هزيمتهم. . .

العقيدة العسكرية في حالة السلم

لا شك أن النصر في أي مهمة عسكرية يسبقها النصر عندما يكون الأفراد في حالة تدريب وإعداد وقت السلم. فعملية التدريب والإعداد العسكري يمكن اعتبارها بمثابة معركة غير منظورة مع العدو، هذه المعركة التي يتسابق فيها كلا الفريقين من حيث الإعداد والتدريب ليصل إلى مستوى أعلى من مستوى الطرف الآخر وليضمن فيما بعد النصر والتفوق في المعركة، والأفراد الذين يؤمنون بقضية حماية الوطن والدفاع عن مقدساته ويؤمنون بعقيدة سامية، يلازمهم دائماً الإحساس بالمسؤولية وبأداء الواجبات، وفي كل وقت من الأوقات سواء في السلم، أو في الحرب، ومثل هؤلاء الأفراد لا ينظرون إلى فترة السلم على أنها فترة راحة أو استجمام، ولكن ينظرون إلى هذه الفترة على أنها فترة إعداد وتدريب، وتحضير، ودراسات لكسب النصر وتحقيق الأهداف. والعدو عندما يعلم بواسطة عناصر استطلاعه، أو مخابراته، بأنه يتم تدريب وإعداد الأفراد فإنه يراجع نفسه عدة مرات قبل الدخول في الحرب أو في المواجهة. وأصحاب العقيدة العسكرية يقبلون وقت السلم على العمل والإعداد والتحديث بدافع ذاتي تلقائي، وبكل قناعة ورضا عن أنفسهم عندما ينجزون وبنجاح عملاً هاماً أو شاقاً، كما في حالة إجراء المناورات العسكرية والتدريبات الشاقة وغيرها، كما أنهم قلما يفكرون بمشاكلهم الشخصية التي تهون إلى حد كبير أمام مشكلة الوطن.

مذاهب أو مدارس العقيدة العسكرية

هناك اتجاهات وآراء متعددة حول طرق تنمية عقيدة القتال (أو العقيدة العسكرية) لدى الأفراد، وأبرز هذه الاتجاهات تمثلها مدارسُ ثلاث تختلف عن بعضها في المنهج المتبع، علماً بأنها جميعها تتفق حول الهدف النهائي بأن هناك فارقاً كبيراً بين الجندي الذي يعمل في حماس وإيمان، مدفوعاً

بدافع معين، وبين الجندي الذي يذهب إلى ميدان المعركة بدون هدف أو عقيدة أو حماس... وفيما يلي عرض لهذه الاتجاهات:

١ ـ **الاتجاه الجبري**: وهذا الاتجاه لا يدعو الأفراد إلى اعتناق عقيدة معينة، أو تفهُّم أهداف الحرب وقضاياها، فهذا الاتجاه يعتبر وظيفة الجندي هو القتال بدون مناقشة أو تفكير، أو حتى السؤال عن الفرض من القتال، وعلى الأفراد أن ينصاعوا تماماً لما يُملى عليهم بدون تردد، وأن يتحركوا لتنفيذ المهام أو لقتال العدو في عنف وعزم، سواء صدر هذا العزم عن عقيدة، أو عن خوف من بطش القائد، أو الخوف من الموت... وهذا الاتجاه يرى ما يلي:

١ ـ إن معظم الجنود في الجيوش يمثلون شريحة غير مثقفة، وقضايا الحرب والأهداف هي أعلى من مستوياتهم العقلية، بل إن هؤلاء الجنود لا يرغبون في الاستماع إلى مثل هذه القضايا البعيدة عن أفكارهم وآفاقهم المحدودة، لذلك فإن أي محاولة لتوعية هؤلاء تكون فاشلة.

٢ ـ لو فرض بأن هؤلاء الجنود عرفوا قضايا الحرب ومشاكلها، فإن هذا ليس كافياً لجعلهم يضحون بأنفسهم بسهولة وعن رضا ذاتي، بل إن ذلك قد يخيفهم ويؤثر في عزيمتهم، وغير ذلك.

٣ ـ إن ميدان المعركة والقتال لا يعطي فرصة لأي مقاتل (حتى المؤمن بعقيدة) أن يفكِّر في أي شيء، أو أن يراجع معتقداته، وهو ينشغل بالقتال وبحماية نفسه.

٤ ـ ليس من المقبول علمياً أن نغيِّر اتجاهات وأفكار الفرد (الجندي) وأن نجبره على اعتناق آراء جديدة في هذه السن الباكرة...

٢ ـ **الاتجاه الداعي للإيمان بعقيدة ذات مذهب محدد**: يرفض هذا الاتجاه الاتجاه السابق، ويصر على أن كل فرد أو جندي عليه أن يعمل في إطار عقيدة أو هدف، وهذا ما يعزز الروح المعنوية لدى الأفراد. وأصحاب هذا الاتجاه يرون ما يلي:

١ ـ إن تطور العمليات العسكرية والآلة العسكرية قضى على فكرة أن أهم صفة للجندي هي الطاعة العمياء، وقد أصبح إعداد الجندي، باستمرار، أمراً

ضرورياً لأنه أصبح يعمل في مهام بعيداً عن رئيسه، فإذا لم يتحول هذا الجندي بمعنوياته ودافعه الذاتي وإرادته وخبرته (أو عقيدته) إلى فرد يحمل هذه الخصائص فإن قدراته ستضعف.

٢ ـ إن نمو الحريات العامة وزيادة الوعي الفكري بفضل عوامل الإعلام والثقافة جعل الأفراد يسألون ويستوعبون قضايا القتال والعقيدة التي يهدفون إلى تحقيقها.

٣ ـ إن وجود عقيدة لدى الأفراد يجعلهم لا يقاتلون كآلات مسيَّرة بدون أهداف واضحة، وقد ثبت بأن إصابات الحرب والانهيارات العصبية... تكثر لدى الأفراد الذين هم يعملون بغير أهداف يؤمنون بها.

٣ ـ الاتجاه الحديث: يتفق هذا الاتجاه مع الاتجاه السابق، وهذا الاتجاه يرى بأن عهد الجندي أو العسكري الذي يعمل بغير دافع قد انقضى، ولا بد لأي فرد عسكري من أن يعتنق عقيدة، ولا يشترط بهذه العقيدة أن تكون ثابتة، ولأن الاتجاهات التي تهتم بالعقيدة سابقاً كانت تؤكد على وجود عقيدة ثابتة، وهذا لا يراعي عملية نمو الاتجاهات الفكرية المتطورة والجديدة والتي تعمل أيضاً على زيادة قدرات الأفراد وحماسهم، وروحهم المعنوية وغير ذلك. وأصحاب هذا الاتجاه يرون ما يلي:

١ ـ لا تقتصر دوافع القتال على العقيدة العسكرية فقط، فهناك أفراد يقاتلون من أجل دوافع أخرى اجتماعية، مثل حب المخاطرة، أو الرغبة في الظهور، وإظهار الشجاعة والبطولة والتضحية، فالفرد الجندي الذي يعمل مع طاقم المدفعية نجده يبذل كل جهده وفي حماس حتى يقوم بتعمير المدفع في أقل زمن ممكن، وهو في غير حاجة ليعتنق عقيدة ديمقراطية، أو دينية... والدافع هنا هو دافع اجتماعي يهدف إلى تأكيد الذات وإعجاب الجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

٢ ـ إن الحرب ليست قتالاً بين عقائد أو مذاهب بقدر ما هي قتال من أجل أهداف تخضع لظروف واتجاهات متغيرة. فالشيوعية والديمقراطية اللتان حاربتا، جنباً إلى جنب، ضد النازية أصبحتا لاحقاً طرفي عداء، وزالت النازية كعقيدة أو مذهب.

٣ ـ تشير الحقائق القتالية إلى أن كثيراً من الجنود كانوا لا ينتمون إلى

عقيدة عسكرية معينة وقت السلم، وكان منهم من يسبب مشاكل لمرؤوسيه، فإذا بهم يقاتلون بحماس وبروح معنوية عالية وقت الحرب، مدفوعين بمبادئ غير معلومة تماماً...

٤ ـ في حالة اعتناق الأفراد لعقيدة واضحة يؤمنون بها جميعهم إلّا أننا نلاحظ اختلافاً واضحاً في درجة الحماس والتضحية أو الإخلاص...

والواقع أن الاتجاه الجبري يمثل ما كان سائداً في القرون الماضية، أما الاتجاه الداعي للإيمان بعقيدة محددة أو ثابتة، مثل النازية، أو الشيوعية... فهو اتجاه لا يفصل بين العقيدة العسكرية والعقيدة السياسية، أما الاتجاه الحديث فهو يمثل الاتجاه الأميركي الذي يعتمد على عقائد أخرى غير مذهبية، مثل القتال من أجل الديمقراطية، أو من أجل العالم الحر... وهذه العقائد من أجل أن تجمع حولها أكبر عدد ممكن من دول العالم التي تشاركها هذه الشعارات والتي لا تطبَّق في الواقع...

أنماط العقيدة العسكرية

١ ـ **عقيدة المرتزقة المأجورين:** وأصحاب هذه العقيدة يتطوعون في السلك العسكري ويحاربون من أجل الطعام (وعمليات السلب والاغتصاب)، وهؤلاء يُرزَقون من وراء عمليات القتال ولا عقيدة لهم، كما لا توجد قضية وطنية يقاتلون من أجلها، وليس لديهم هدف سامٍ في عملهم، وبعض هؤلاء يرون بأن عملهم يتطلب الشجاعة والجرأة وحبَّ المخاطرة، وكان بإمكانهم القيام بأعمال أخرى غير قتالية.

٢ ـ **عقيدة الأفراد المجبرين على القتال:** كان في السابق الجنود يحاربون، وينفذون التعليمات من دون تردد، وبكل طاعة عمياء وخوفاً من بطش القائد بهم، وهؤلاء يعملون قهراً ولا يستطيعون التعبير عن أفكارهم، فهم قد يُضْرَبون، وقد يقتلون أو يسجنون أو غير ذلك.

٣ ـ **عقيدة المؤمنين:** والمثال على ذلك العقيدة الإسلامية التي تنص على (الجهاد في سبيل الله)، ففي القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف/ ١٠، ١١]، وقال الرسول

العظيم ﷺ: **(الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة)**، وقد عمل الرسول العظيم على غرس الإيمان في نفوس المسلمين. . . وحضَّهم على الجهاد والدفاع عن النفس، وعن الحق. . .

٤ ـ **العقيدة النازية:** في الحرب العالمية الثانية، عمل الألمان على نشر عقيدة مذهب النازية لدى المدنيين والعسكريين، وتعتمد هذه العقيدة على تفوق الجنس الجرماني (الألماني) على باقي شعوب العالم، وكان كل فرد يدين بمبدأ الفناء من أجل المجموع، من أجل بقاء الأمة الألمانية، وبلغ الحماس في الألمان إلى أن قضوا على دولة كبيرة مثل فرنسا. والواقع أن العقيدة النازية كانت عقيدة عنصرية ولم تستمر بعد الحرب طويلاً.

٥ ـ **العقيدة الروسية:** كانت عقيدة الروس في القتال هي (الموت لا التسليم)، وهذه العقيدة هي التي جعلت مدينة ستالينغراد تصمد أمام هجمات الألمان، ونفس العقيدة هي التي جعلت موسكو تصمد أمام جحافل نابليون، وكان المذهب الذي يدين به القائد الروسي هو الصبر والزمن، ويقول أحد الخبراء الروس: إن من بين المشاكل الهامة التي كانت تواجه الجيوش هي مشكلة تنمية الإرادة والشجاعة ووضوح الهدف، وهذا ما كنا نقوم به لتحقيق النصر. . . ويؤكد لينين على أهمية العقيدة الروسية التي تهدف إلى توحيد جميع الكادحين في العالم (البروليتاريا) لتشكيل المجتمع الشيوعي الحديث.

٦ ـ **العقيدة الإنكليزية:** عرفت الجيوش الإنكليزية أهمية العقيدة وأهمية توضيح غرض الحرب لدى الجنود، والإنكليز حريصون، وبشيء من الدهاء، على نشر عقائد ملتوية وإقناع الجنود بها، وهم يزيِّنون حرب الاستعمار إلى نفوس جنودهم بأن يلقوا في روعهم مبدأً غريباً مؤداه: «إن لم تستعمر إنكلترا الشعوب الضعيفة فسوف يسبقها في ذلك دول أوروبا الأخرى» وأن إنكلترا أحق الدول في استعمار الشعوب الضعيفة لأنها خبيرة ورحيمة بمعاملة هذه الشعوب.

٧ ـ **العقيدة الأميركية:** تقوم العقيدة الأميركية على فكرة أن الولايات المتحدة الأميركية هي حصن الديمقراطية والحرية وأنها زعيمة العالم الحر، وبهذا يصبح الجندي الأمريكي حام للسلام، فهو، من أجل الوطن وأجل الإنسانية وخيرها، يضحِّي بنفسه من أجل تحرير شعوب العالم.

٨ ـ **العقيدة الصهيونية:** إن العقيدة الصهيونية تعتمد على أساطير أو مزاعم كاذبة مثل:

١ ـ إن اليهود يمثلون وحدة عرقية نقية.

٢ ـ الجنس اليهودي يتفوق على الأجناس والشعوب الأخرى.

٣ ـ الحق الديني لليهود في أرض إسرائيل (من دون وجود سند أو دليل).

٤ ـ الحق التاريخي لليهود في أرض إسرائيل.

٥ ـ الكفاح اليهودي لاسترداد الأرض الموعودة.

٦ ـ إن يهوه (الله) خص شعب إسرائيل وفضَّلهم على الناس أجمعين، وخصَّهم بمحبته والمحافظة على وصاياه العشر وتعاليمه الإلهية، وهم يعتمدون على ما جاء في التوراة: «أنتم أولاد الرب إلهكم لأنكم شعب مقدس للرب، وقد اختاركم لكي تكونوا له شعباً خاصاً فوق الشعوب الذين على الأرض».

القيادة
(Leadership)

القيادة هي دور اجتماعي رئيسي يقوم به القائد أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة، والقائد في اللغة هو كل من ترأَّسَ جماعة، ويكون على رأس الجماعة من يتقدم في الصفوف، ويمشي في الطليعة، ويدل جماعته على الطريق، ويدعو الآخرين إلى اللحاق به، وإعادتهم إلى الاتجاه الصحيح في حالة انحرافهم عنه، وإذا ظهرت مشكلة، أو عقبة، أو امتحان كان القائد هو أول من يواجهها، ويُشترط على من يقوم بدور القيادة أن يكون لديه قدرة على التأثير في الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق هدف محدد. ويمكن النظر إلى القيادة كدور اجتماعي أو وظيفة اجتماعية، كما يمكن النظر إليها كسمة (Trait) من سمات الشخصية. وتوجد القيادة من أجل مصلحة الجماعة، والقائد يكون هو الشخص المركزي في الجماعة، ويكون في بؤرة سلوك أعضاء الجماعة. ويرى بعض علماء علم النفس الاجتماعي (Gibb.C.A)، في كتابه حول القيادة (١٩٦٨)، أن القيادة عبارة عن فكر وعاطفة وسلوك لدى القائد لمساعدة الجماعة أو لتحريك الجماعة نحو هدف، مع توفير التفاعل الاجتماعي السوي بين أعضاء الجماعة، وكذلك توفير تماسك الجماعة، وكذلك توفير الاحتياجات اللازمة من خبرات، وموارد مادية، وأعمال. . . والبريطانيون يرون في القيادة أنها عبارة عن تفاعل اجتماعي بين القائد والأفراد، تفاعل نشط ومؤثر وموجِّه، وليستِ مجرد مكانة مرموقة أو مركز للقوة والسيطرة. إن القيادة وُجدت لمصلحة الجماعة، وهي مفهوم مرتبط بالجماعة أكثر من ارتباطه بالأفراد.

ويميِّز البعض بين مفهوم القائد، والرئيس، والمدير (Leader, Chief, Director)، حيث أن القائد يفكر ويخطط أكثر من أن يعمل، والقيادة تنبع من الجماعة وتظهر تلقائياً، وتكون مسبوقة بعملية تنافس عليها من قِبَل عدد من أعضاء الجماعة، والجماعة هي التي تحدد هدفها وليس القائد. والتفاعل

الدينامي بين الأفراد شرط لظهور القيادة، وسلطة القائد يخلعها عليه تلقائياً أفراد الجماعة الذين يختارونه ويصبحون أتباعاً له. وفي القيادة فإن القائد لا يكترث كثيراً بالرقابة على أعماله أو على تخطيطه، ويركز على إثارة مشاعر العاملين معه ورفع روحهم المعنوية. أما الرئاسة فإنها تقوم نتيجة لنظام وليس نتيجة لاعتراف تلقائي، والهدف يختاره الرئيس وليس الجماعة بالضرورة، ويوجد تباعد اجتماعي أكبر بين الرئيس وأعضاء الجماعة، وتعتمد الرئاسة على السيطرة والسلطة، والرئيس الناجح هو الذي يجمع في سلوكه مع الجماعة بين صفات الرئيس وصفات القائد. أما المدير فهو الذي يهتم بالرقابة على أعماله وعلى نشاط العاملين معه، ويهتم بالتنسيق بين الأعمال والأنشطة المختلفة لتنفيذ الخطط وتحقيق الأهداف، وهنا فإن القائد قد لا يكون مديراً متميزاً، أما المدير فعليه أن يكون متميزاً ولديه الكفاءة والخبرة في التنفيذ، ولا يشترط أن يكون قائداً، والإنسان قد تكون علاقته بالقادة محدودة، ولا يستطيع الحصول إلّا على بعض ما يدور في أفكارهم أو توجهاتهم، أما المدير فيستطيع الأفراد الاقتراب منه، ومشاهدة عمله التنفيذي ومعرفة أفكاره، ونشاطاته... لهذا فإننا نعرف الكثير عن المدراء والإدارة، والقليل عن القيادة والقياديين...

وللقائد عدة وظائف تختلف حسب نموذج المجموعة التي يقودها، والقادة ملزمون بمشاركة معينة في الوظائف التنفيذية، وفي إعداد الخطط وصيانة النظام، والقدرة على تمثيل المجموعة في علاقاتها الخارجية، ولضبط العلاقات داخل المجموعة، ولتوزيع المكافآت والعقوبات، فالواجب يقضي على القائد أن يكون في نفس الوقت حكماً ووسيطاً وقدوة. إن القائد مسؤول عن السلطة التنفيذية، وعن الإشراف على تنفيذ سياسة الوحدة، وعلى القائد التأكد من احترام الأفراد للأوامر اليومية، ولا يشترط بالقائد أن يشترك بنفسه في الأعمال التنفيذية والتفصيلية إذ يكتفي بتوزيعها على الأفراد، وقد يحدث أن يكون القائد غير كفء في توزيع المسؤوليات والمهام، فيعتقد أن من واجبه أن يتدخل شخصياً في كل أعمال المجموعة، وهذا يعرقل أحياناً عمل المجموعة ويربك أفرادها. والقائد أيضاً يكون مسؤولاً عن التخطيط، ومن المعروف علمياً أنه توجد مرحلة انتقالية بين رسم خطط السياسة التابعة للوحدة، وبين النجاح في تطبيق ذلك، إنها مرحلة اختيار

الوسائل والسبل التي تتيح بلوغ الأهداف، وعادة يكون القائد هو المشرف على الخطط الموضوعة ويعرف الإمكانيات المتوفرة، كما يعرف أهداف المجموعة. وبالإضافة إلى الوظائف السابقة للقائد، يجب أن يكون القائد قادراً على تقديم الخبرات والمعلومات إلى أفراد مجموعته، وإذا استقر القائد في عمله لفترة طويلة فإنه يصبح أكثر قدرة على تقديم المعلومات الضرورية، لذا يكون للقادة هذا التأثير على معاونيهم ومستشاريهم الفنيين، وعادة، وفي كافة الوحدات، يكون الفرد الذي سيصبح قائداً هو الذي يثبت كفاءته الفنية خيراً من غيره، وخاصة فيما يتعلق بتلبية احتياجات المجموعة، وهذا ما نلاحظه في الرحلات السياحية، أو في النزهات، حيث يتولى الدليل السياحي القيادة الفعلية وإن كانت غير رسمية، وهكذا بالنسبة للأولاد والمراهقين حيث يفرض الولد، الذي هو أمهر رفاقه في ألعاب القوى أو في الرياضة، نفسه قائداً على المجموعة، وبهذا يكون القائد هو من لديه المعلومات والمعارف التي يحتاجها أفراد المجموعة، لهذا يمكن التنبؤ بأن القيادة أو فعالية السلطة تقع في أيدي الرجل الخبير، بالإضافة إلى شروط أخرى.

والقائد مسؤول بصورة طبيعية عن تمثيل مجموعته في علاقاتها الخارجية، فالقائد هو الناطق الرسمي باسم المجموعة، ويعرب عن متطلباتها، ويؤمن الاتصال مع المجموعات الأخرى، وهو الذي يبلِّغ أفراد جماعته عن الاتصالات وأوضاع واحتياجات المجموعات الأخرى، وبهذا الصدد يسمي بعض الخبراء القائد بحارس الأبواب. والقائد يكون مسؤولاً عن ضبط العلاقات الشخصية في مجموعته، أي ضبط العلاقات الداخلية، وإذا لم يكن أفراد المجموعة يعيش بعضهم مع بعض في اتصال شخصي مباشر، بل تجري جميع العلاقات بينهم عن طريق القائد الذي يقوم بدور عامل الهاتف الآلي (السنترال) الذي يراقب العلاقات الداخلية بين الأفراد، هذا النوع من القيادة يسمى بالقيادة التسلطية. والقائد هو مصدر الإجراءات الزجرية والمشجعة، وهو الرئيس في مسألة الإثابة والعقاب، الأمر الذي يسمح له بممارسة نفوذه لصيانة الانضباط وضبط التصرفات الفردية بشكل فعال، فقد يرشح بعض الأفراد إلى مرتبة أعلى، أو يحرم من إشغال مهمة ممتازة، أو قد يطرد من المجموعة. والقائد وسيط وحكم في النزاعات والخلافات

داخل المجموعة، ويقوم بدور القاضي الحيادي، ويصدر الأحكام. وله السلطة لإزالة التفرقة... يضاف إلى ذلك القائد بصفته قدوة ومثلاً يحتذي به الأفراد في سلوكياتهم، حيث يكون القائد في طليعة قواته في المعركة. والقائد رمز لمجموعاته، ويساهم في تعزيز معالم هذه المجموعة، وهذا ما يدفع بعض الأفراد إلى الاستعانة بمجموعة من العلامات أو الرموز الفارقة لتمييز المجموعة، مثل الألقاب، والشعارات، والألبسة وغيرها، فالقائد بصفته الرمزية هو دليل بقاء المجموعة واستمرارها. ويمكن أن يكون القائد بديلاً عن المسؤولية الفردية، فالقائد يحرر الفرد من المسؤولية مقابل إطاعته وتعاونه مع القيادة، ويضع الفرد ثقته في قيادته تاركاً للقائد حرية التقرير. والقائد يمارس أحياناً مهمة على مستوى من الأهمية والخطورة، وذلك عندما يصيغ للمجموعة أيديولوجيتها، فيتصرف كمصدر للمعتقدات التي يعتنقها أفراد الفئة أو المجموعة، وغالباً ما تكون المعتقدات الرسمية لمجموعة ما صورة عن معتقدات القادة أكثر منها عن معتقدات الجماهير. ومما لا شك فيه بأن الأيديولوجية الرسمية مهما اختلفت عن آراء الأفراد فإنها تتسرب شيئاً فشيئاً إلى تفكيرهم ومعتقداتهم، وهذا ما يحدث عندما يكون القائد حارساً للأبواب، ويفرض رقابته على الأنباء الواردة من خارج المجموعة، لهذا فإن القائد يُعتبر معلماً عقائدياً كما كان المهاتما غاندي القائد والمعلم الروحي والراعي الأخلاقي في نظر الملايين من الهنود.

إن كثيراً من وظائف القائد يعبَّر عنها بشكل صور عاطفية أوسع وأعم، وهي صورة الأب التي يمثلها القائد في نظر أفراد الفئة، ويستقطب القائد بهذه الصفة المشاعر الإيجابية للأفراد حول شخصه، فهو الهدف المثالي للتقمص والتحويل ومشاعر الطاعة، والقائد يكون هدفاً مثالياً للانفعالات الإيجابية، فإن القائد في نفس الوقت يكون هدفاً لعدوان المجموعة إذا أصيبت بخيبة الأمل والحرمان أو انهارت أمانيها.

نظريات القيادة

هناك عدة نظريات عن القيادة أقدمها نظرية سمات الشخصية (Traits of Personality) والخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية لدى القائد، واعتبرت نظرية السمات في بادئ الأمر أن القيادة عبارة عن سمة

واحدة يتميَّز بها القادة أينما وجدوا بصرف النظر عن الموقف،أو الثقافة، أو نوع القائد، إلّا أن الدراسات المتقدمة حول القيادة وجدت أن هناك أنواعاً من القيادة تختلف باختلاف الثقافات، وصحيح أن هناك سمات مشتركة أو شائعة بين القادة إلّا أن الدلائل لا توحي بأن القيادة سمة واحدة، وتشير نتائج الدراسات إلى أنه لا توجد هناك سمة واحدة أو سمة عامة تفسِّر القيادة، وأن القيادة تختلف من مجتمع لآخر، ومن ثقافة لأخرى،ومن قائد لآخر، وليس هناك سمات محددة تميِّز القائد أو تفسِّر القيادة، وقد كان القدماء يفسرون القيادة من خلال بعض السمات النظرية المبالغ فيها، والتي تعبِّر عمّا يريد أفراد الجماعة لأن يكون عليها قائدهم، ولا تعبِّر عمّا هو كائن فعلاً لدى قائدهم، ومن أهم هذه السمات التي يُنظر بها إلى القائد قديماً هي (التدين والأخلاق، والخيال الواسع، والحدس أو سرعة البديهة. . .)، وأحياناً القدرة على القيام بما هو غير مألوف، أو ما يشبه المعجزات. . . ومع تقدم الدراسات أصبح القائد يُختار حسب سمات عملية تطبيقية، وبعد تجارب أو اختبارات، أو معايير مناسبة تقرر من هو القائد المناسب، وثمَّ التأكيد على سمة الانضباط، وحسن السيرة والسلوك، ونوعية القيادة والخبرة أو المؤهلات التي تتطلبها القيادة، بالإضافة إلى سلامة الجسم والحواس والنطق والقدرة على تحمُّل المسؤولية وأداء الواجبات، والاعتراف بالخطأ، وتقبل النقد، والصدق في المعاملات، وإيثار الجماعة على الذات، والثقة بالنفس، والثبات الانفعالي، والإرادة القوية،وسرعة اتخاذ القرار، والإيمان بالله عزَّ وجل. ويرى البعض بأن القائد يجب أن يكون ذكياً، ومتوسط الذكاء لديه أعلى من متوسط ذكاء جماعته، وأن يكون أنفذ بصيرة، وأقدر على التنبؤ بالمفاجآت والاستعداد لها. ويُلاحظ بأن هذه السمات التي تميز القائد تختلف من جماعة إلى أخرى وحسب وظيفة الجماعة والظروف التي تمر بها الجماعة.

والقائد بشكل عام هو فرد من أفراد الجماعة، ويدرك أفرادها أن للقائد تأثيراً عليهم، والواقع أن جميع أفراد الجماعة يتأثرون ويؤثرون ببعض حتى أنه يصعب في بعض الحالات التمييز بين القادة وبين الأعضاء الآخرين النشطين.

إن الفرق بين القائد والأتباع، من حيث سمات القيادة، هو فرق في الدرجة وليس في النوع، والدراسات الحديثة أصبحت تؤكد على أهمية الجوانب التأهيلية والمعرفية للقائد، وهي ترى بأن القائد يجب أن يكون أغنى ثقافة وخبرة، وأقدر على اتخاذ القرار وأقدر في الحكم على الأشياء، وعلى تحمل المسؤولية، وهو أكثر تدريباً وتأهيلاً من الآخرين، وأقدر على التغيير والتطوير وتحقيق الإنجازات، وضمان جودة الأداء، هذا وقد وجد هولاندر (Hollander, E.P.) (١٩٦٧) في دراساته أن من سمات القائد الجيد أن يكون أَمْيَلَ إلى الطول في الجسم بالمقارنة بالأعضاء، وأثقل وزناً منهم، وخاصة عندما يكون هدف الجماعة القتال مع غيرها من الجماعات، وأن يكون أكثر حيوية ونشاطاً من الأعضاء. كما أن نسبة الذكاء لدى القائد تزيد عن متوسط ذكاء أفراد الجماعة بمقدار انحرافين معياريين موجبين (Two Positive Standard Deviation)، ويكون الفارق بين القائد والأتباع واضحاً في الميول والقيم والاتجاهات، مما يجعل أحياناً التفاهم بين القائد والأعضاء أكثر صعوبة. كما وجد (هولاندر) بأن يكون القائد أكثر طلاقة لغوية وأقدر على التعبير، ويتصف بالثبات الانفعالي وخاصة في مواقف الشدات، يحافظ على الوقت، متعاوناً، يفتخر بعمله، حسن السمعة، صادقاً وأميناً، متسمكاً بالقيم الروحية والاجتماعية متواضعاً، يتقبل الآخرين ويعمل من أجلهم. . . أما النظرية الوظيفية (Functional Theory) فهي ترى بأن القيادة هي القيام بالوظائف الجماعية التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها، والقيادة من هذا المنطلق هي وظيفة تنظيمية، تهتم بتوزيع الوظائف القيادية داخل الجماعة. وتتلخص أهم وظائف القيادة في الجماعة، في التخطيط للأهداف القريبة والأهداف البعيدة، ووضع السياسة (Policy) ويتم بالاعتماد على السلطات العليا، وعلى أفراد الجماعة، وعلى القائد، ويمكن للقائد (في حالة الثقة الكاملة) أن ينفرد بوضع السياسة. وينظر إلى القائد كفرد أيديولوجي يعتبر مصدراً للأفكار والمعتقدات والقيم والاتجاهات التي تسود الجماعة، يضاف إلى ذلك وظيفة الخبرة، أي اعتبار القائد كخبير أو مصدر للخبرة الفنية والإدارية والمعرفية. . ، كما أن القائد يقوم بوظيفة الإدارة والتنفيذ وتحريك التفاعل الاجتماعي، ومراقبة تنفيذ السياسة،

والحكم والوساطة فيما قد ينشب من صراعات أو مشاحنات داخل الجماعة، والثواب والعقاب، للضبط والسيطرة وتعديل السلوك بين أفراد الجماعة، هذا بالإضافة إلى أن القائد هو نموذج سلوكي وقدوة، ورمز لاستمرارية الجماعة، ورمز للأب المثالي وللتقمص والتوحيد. . .

وهناك النظرية الموقفية للقيادة (Situational Theory)، وهذه النظرية تنظر إلى وظائف القيادة من خلال السلوك الذي يعبِّر عنها والتي يقوم بها الفرد في موقف معين. ومن المعروف أن الفرد الذي يكون قائداً في موقف ما، ويمكنه القيام بالوظائف المطلوبة، قد لا يكون هذا الفرد قائداً في موقف آخر، فقد يصلح فرد للقيادة في وقت الحرب بينما لا يصلح لقيادتها في وقت السلم. ويرى أصحاب هذه النظرية أن القائد لا يمكن أن يظهر إلّا إذا تهيأت الظروف في المواقف الاجتماعية لاستخدام إمكاناته القيادية، كما هو الحال لدى بعض قادة الفكر، أمثال أديسون ونيوتن ومارتن لوثر، وهتلر، وغاندي. . . إلخ.

وهناك النظرية التفاعلية (Interactional Theory) التي ترى أن القيادة تبنىٰ على أساس التفاعل والتكامل بين كل المتغيرات في القيادة، وهذه المتغيرات هي القائد وشخصيته ونشاطه، والأفراد وحاجاتهم واتجاهاتهم وقدراتهم. . . والجماعة نفسها وأهدافها وتحركاتها. . . والمواقف المحيطة والعوامل المادية. . . وأخيراً هناك نظرية الرجل العظيم (Great Man) وهذه النظرية ترى بأن بعض العظماء يبرزون في المجتمع كقادة لما يتسمون به من قدرات ومواهب وخصائص غير عادية، كما في خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، والرسول العظيم وغيرهم.

السلوك القيادي(١): الدراسات العلمية أكَّدت على أهمية السلوك القيادي والأداء لدى القائد أي السلوك كما يلاحظ في الواقع، والصادر عن القائد، وقد وجد بأن أهم خصائص السلوك القيادي هي المبادرة والابتكار والمثابرة والطموح، فالقائد أول ما تتوقع منه الجماعة المبادرة بالسلوك والتصرف،

---

(١) هناك اختبارات لوصف سلوك القائد المثالي مثل استبيان. (Ideal Leader: behavior description questionnaire) من وضع (J. Hemphil) (A. Coons) (1979).

كما تتوقع منه أن يكون أكثر صبراً وتحملاً، ومستوى طموحه أعلى من متوسط مجموعته، وتفاعله مع الجماعة أكبر وأكثر إيجابية، وبدرجة أكبر من الذكاء الاجتماعي، كما أنه أكثر وداً وحماسة في تفاعله وفي استجاباته الانفعالية، وهو يحافظ على مكانته الاجتماعية، وتركيز السلطة والقوة في يده، وهو يعمل على تمثيل جماعته في الخارج، وكسفير لدى الجماعات الأخرى، والقائد مسؤول عن العلاقات العامة الداخلية بين أفراد جماعته، وعلى تماسك الجماعة، والتكامل الاجتماعي وتخفيف التوتر، وجمع شمل الجماعة، واحترام مبدأ القيادة الجماعية... والقائد، كرجل إعلام، يُطلع الجماعة على حقائق الأمور، ويزوِّدهم بالمعلومات اللازمة لهم، ونشر المعلومات من الجماعة لغيرها من الجماعات، وعلى القائد تقبل الملاحظات وتقبل النقد، والاعتراف بالخطأ والعمل على تصحيحه، ومراعاة مشاعر الآخرين، وأن يترجم كل ذلك سلوكياً، ولا بدَّ من الثبات والرزانة، ويجب على أفراد الجماعة تقديم تغذية راجعة عن قائدهم وسلوكياته، أي تقديم صورة للقائد عن قيادته، واستخدام اللباقة في استثارة اهتمام القائد مما يساعد على تأكيد ذاته والرضا عن عمله. ويمكن للجماعة المساهمة في حلِّ بعض القضايا البسيطة لتخفيف العبء عن القائد، وقد وجد بأن أهم الدوافع للقيادة هي الرغبة في الجزاء المادي، والحاجة إلى السيطرة من حيث الشعور والسلوك والمكانة (مقابل الخضوع والتبعية والاعتماد على الغير)، والحاجة إلى الشهرة... (أو تعويض مشاعر النقص أحياناً).

وباختصار، إن القيادة العسكرية هي علم وفن، هي علم لأنها تحتاج إلى خبرة ودراية كبيرة، وفن لأنها تعتبر فن التأثير في الرجال في مواقف أكثر أهمية وخطورة من مواقف الحياة (المدنية) الأخرى وخاصة لتحقيق النصر وقت الحرب، وتوفير الدفاع والطمأنينة وقت السلم. ولا بد للقائد العسكري أن يلم بقدرات ونفسية خصومه، والجيوش المتقدمة تهتم بما يسمى بتربية فن القيادة، وعلى أساس أن القيادة تعتمد على عملية التدريب أو الاكتساب، (بالإضافة إلى الشخصية والاستعداد) حيث يتم تنمية الشعور بالمسؤولية، ودراسة التاريخ العسكري وإعداد قادة جدد من النواحي العلمية والنفسية والسلوكية، والتعبوية. ولا أحد يستطيع أن ينكر أهمية القائد الجيد، وأهمية الأتباع الجيدين، حيث لا يوجد قائد بدون أفراد أو أتباع، ولا توجد قيادة

من دون إدراك الأفراد لأهمية قيادتهم، في الحماية والتطوير وتحقيق الأهداف، وسابقاً أشرنا بأن الفرق بين القائد والأتباع أو أفراد الجماعة من حيث سمات القيادة إنما هو فرق في الدرجة (الشدَّة) وليس فرقاً من حيث النوع.

إن الجماعة في القوات المسلحة عليها واجب خطير ومقدس، ويتوقف على هذه الجماعة الحفاظ على كرامة الأمة وحماية الوطن، والعبء الأكبر يكون على القيادة أولاً ثم على الأتباع، وكما يقول نابليون بونابرت: «إنه لا يوجد جندي سيئ بل قائد سيئ». هٰذا (وكما أشرنا سابقاً) تُستخدم في الجيش الأمريكي، والبريطاني، والألماني برامج خاصة لاختيار القادة تعتمد على بعض الاختبارات النفسية العملية، وملاحظة السلوك في مواقف تجريبية مصغَّرة، بالإضافة إلى قياس الاستعدادات الخاصة لدى القائد. ويرى (جولدمان) .Goldman, M (وبراس) .Braas A.A (١٩٦٥) في كتابهم حول تأثير اختيار القائد على أداء المجموعة، بأن القائد يمكن أن ينتخب مباشرة من قبل الجماعة، كما يمكن اختيار القائد في ضوء قدراته وخبرته، كما يمكن أن يعيَّن القائد مباشرة، ويمكن أن تكون هناك جماعة بدون قائد في حالة ضعف القيادة أو إذا اجتمعت جماعة لقضاء سهرة، أو كما في حالة تلاميذ الداخلي، أو موظفي المكاتب... والسؤال الذي نطرحه في هذا المجال: ما هو حال القائد والقيادة (العسكرية والمدنية) في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، في ظل هذه التحديات، وتيارات العولمة والعلمنة والتطبيع والتفكك العربي والإسلامي، وعوامل الحرب والاحتلال والدمار والاغتصاب، والخيانات...؟ وما هي الخصائص والسمات العقلية والشخصية الواجب توفرها في القائد العربي المسلم حتى يتم تحقيق الأهداف المرجوَّة؟ وهل القادة العرب والمسلمون يُختارون من قبل جماعاتهم (أو شعوبهم) بأساليب ديمقراطية وحسب معايير واختبارات سليمة..؟ نترك للقارئ حرية التفكير في الإجابات لعلَّه يخرج بتصور واقعي عمّا آل إليه حال قادتنا في الوطن العربي... والإسلامي...

نماذج القيادة: من طبيعة القيادة أن تسهم في الوظائف المتعددة التي ذكرناها، ومع ذلك فإن درجة الأهمية لكل وظيفة، ونمط العلاقات بين

الوظائف، وطريقة تنفيذ كل وظيفة، كل ذلك وقف على شكل أو نموذج القيادة المشرفة، فعلىٰ سبيل المثال إذا اجتمعت مجموعة لقضاء سهرة في مكان ما فمن النادر أن تظهر إلى حيِّز الوجود معظم وظائف القيادة المذكورة، لأن مثل هذه المجموعة تكون في تشكيلها مائعة وقصيرة العمر، وهي لم توجد إلّا بحكم ظروف عابرة قامت بموجبها علاقات وثيقة ولكنها مؤقتة، بين عدد من الأفراد. أما في المجموعة الأكثر استقراراً، والتي تقوم لفترة طويلة من الزمن، فإن عدداً أكبر من وظائف القيادة تظهر بوضوح، ولكن ليس جميع هذه الوظائف، كما هو الحال لدى الموظفين في أحد المكاتب، أو كما هو الحال لدى لجنة من المحكمين، أما المجموعات الأعقد تشكيلاً والأكثر ديمومة واستقراراً، فإن جميع وظائف القيادة تظهر، وهذا ما نلاحظه في المنظمات الاجتماعية، والهيئات السياسية، والوحدات العسكرية. . . وعلاوة على ذلك تضم هذه المنظمات رؤساء رسميين يعملون على تحديد الأنظمة والوظائف والصفات حيث تفرض وظيفة القائد بواسطة قواعد متعارف عليها، أو خارجية أكثر من أن تفرضها تطورات القوى الفعالة من الأفراد داخل المجموعة. ونشير هنا إلى أن السلطة التي تفرض فرضاً تختلف كثيراً عن السلطة التي تنشأ بشكل عضوي وبكل حرية. والفرق هنا يشبه الفرق الموجود بين المكانة التي يضعنا فيها المجتمع وبين المكانة التي نبلغها بجهودنا الشخصية، فالضابط العسكري له صفة رسمية للقائد المعين، ولأن سلطة خارجية اختارته وعهدت إليه بدور الآمر، فهو لم يبلغ هذه المرتبة بفضل تفاعلات خاصة داخل الوحدة أو المجموعة.

ووظائف القائد العسكري مفروضة عليه بصورة دقيقة جداً ولن يكون عمله الشخصي سوى ممارسة لوظائف وأعمال محددة مسبقاً، هذا مثال عن وضعية اجتماعية مسندة وليست مكتسبة، كما تدل على ذلك التعليمات الموجهة إلى العسكريين: «إنكم تؤدون التحية إلى اللباس العسكري وليس للرجل الذي يرتديه». وهذا القائد الرسمي المعين قد يكون على مستوى من الذكاء والقدرة على خلق علاقات مع المجموعة كفيلة بجعل مكانته الفعلية معادلة لوضعيته الرسمية، وبمعنى آخر إذا كان للمجموعة، في مثل هذه الحالة، أن تختار قائدها وبكل حرية فإنها ستختار نفس الرجل.

إن التناقض بين القيادة المفروضة من الخارج وبين القيادة المختارة بحرية

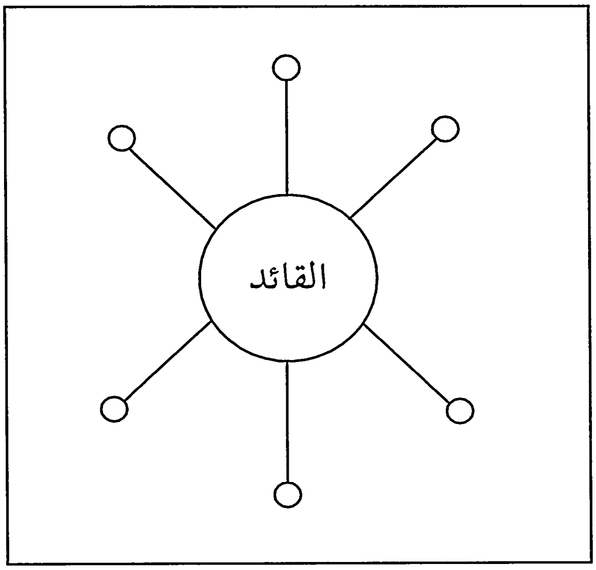
هو تناقض وثيق الصلة بالفرد الكائن بين نمط القيادة التسلطية، والقيادة الديمقراطية. وعادة تصنَّف أنواع القيادة إلى قيادة ديمقراطية (إقناعية)، وقيادة دكتاتورية (أو استبدادية) وقيادة فوضوية (حرِّية مطلقة). القيادة الديمقراطية يتم فيها المناقشة الجماعية، والقرار الجماعي بأخذ الأصوات، مع تشجيع القائد ومشاركته، ووضع خطة شاملة للوصول إلى الأهداف الجماعية، وكل فرد في المجموعة له حرية الاختيار في الأعمال التي يرغب القيام بها، والقائد يستخدم الثواب والعقاب بطريقة موضوعية لا ذاتية ويشترك مع الجماعة اشتراكاً معنوياً لا مادياً. وإذا طُلب من القائد النصيحة فإنه يجيب إجابة مرنة وباقتراح عدة حلول ويترك للأفراد حرية المفاضلة أو الاختيار بينها.

أما القيادة الدكتاتورية (الأوتوقراطية) فيتم وضع سياسة العمل وأوجه النشاط بمعرفة القائد وحده، حيث يتم إملاء خطوات العمل وأوجه النشاط، أما الأهداف فتكون غير معروفة وتُملى على الأفراد خطوة بخطوة، والقائد يعين الأفراد ورفاق العمل، ولا يوجد حرية للاختيار. ويستخدم القائد الثواب والعقاب بطريقة شخصية ذاتية، ولا يشترك بنشاط الجماعة، وإنما يشرح طريقة العمل للأفراد.

أما في القيادة الفوضوية الحرَّة فتُعطى حرية مطلقة للأفراد في النشاط أو السلوك، ولهم الحرية في أن يعملوا أو لا يعملوا بأقل مشاركة من جانب القائد، والقائد حياديٌّ تماماً في تصرفاته، ولا يوجد أي محاولة لتقدير نشاط الجماعة أو تنظيمها، ويكون دوره الإشارة إلى الأدوات الموجودة والإمكانيات، وهو على استعداد لإبداء النصيحة، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

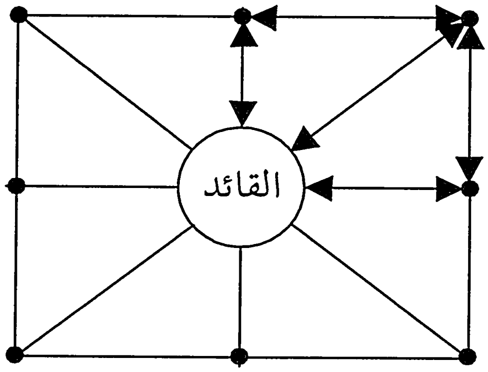
ويمكننا التمييز بين جماعتي القيادة الديمقراطية والقيادة التسلطية، وخاصة إذا ما غاب القائد لسبب ما، فقد أكدت الدراسات على أن معنويات أفراد المجموعة الديمقراطية تبقى على ما هي عليه خلال العمل وفي مستوى أعلى، بينما تنهار معنويات أفراد المجموعة التسلطية، وبسرعة، ويمكن معرفة درجة تعاون الأفراد فيما بينهم، ومدى خبراتهم واستمرارهم بالعمل

إذا تُرك أفراد المجموعة وشأنهم عن عمد من قبل قائدهم. وقد لوحظ بأن القيادة التسلطية تشجع على التجزئة في بنية الجماعة بغية الإقلال، قدر الإمكان، من الاتصالات المباشرة بين أفراد المجموعة، ومن أجل أن تكون جميع خطوط الاتصال والخبرات مارَّة بشخصه وخاضعة لإشرافه، وبذلك يطمئن لحاجة أفراد المجموعة إليه، إلَّا أنه، وفي نفس الوقت، قد تكون لهذا النموذج من القيادة التسلطية أو الديكتاتورية نتائج سيئة على المجموعة ككل، حيث تكون المعنويات ومستوى التعاون والمناسبات القليلة ضعيفة لحد ما، ومن جهة أخرى سيؤدي فقدان القائد لأي سبب إلى حالة من الفوضى. (محمد الحجار، علم النفس العسكري، صفحة (١٣٢).



إن الشكل أو المخطط البياني الاجتماعي لمجموعة ذات قائد تسلُّطي يكون على الشكل التالي: حيث لا يلاحظ أي اتصال مباشر بين الأفراد، والأفراد يبذلون جهداً للتقرب من القائد أكثر من الاتصال فيما بينهم، والقائد السلُّطي يستثمر ميزته في توزيع المكافآت والعقوبات. ويلاحظ بأن المجموعة كلما كانت أكثر من حيث عدد الأفراد كلما كان القائد التسلُّطي بعيداً عنهم أكثر فأكثر، وعادة يحيط القائد نفسه بالحاشية، والحرس. والمندوبون، والممثلون الشخصيون للقائد يسهرون ويعملون على تعزيز وضعية قائدهم، وغالباً ما يكون ذلك على حساب الأفراد. وأحياناً تؤدي الرغبة في كسب الحظوة لدى القائد إلى جو من المنافسات والدسائس والتملُّق داخل أفراد المجموعة، وإن مثل هذا الجو يعمل على تمريض المشاعر العدوانية والغيرة بين الأفراد. . . ويختلف القائد الديمقراطي بطبيعة دوره في بنية المجموعة، إذ يجتهد القائد الديمقراطي بالحصول على أقصى ما يمكن من تعاون وإسهام وفي تحقيق الأهداف، ويسعى إلى دعم العلاقات بين الأفراد، وإضعاف التوترات

والأزمات الداخلية... والمخطط البياني التالي، شكل (١١)، يمثل القيادة الديمقراطية، حيث نجد القائد يشغل مكانة (بؤرية) في المجموعة، من دون أن يعوق ذلك إتصال الأفراد ببعض. وباختصار فإن القيادة التسلطية تظهر الميول العدوانية، والغيرة، والصراعات الداخلية، والخمول،



شكل (١١)

وتظهر هذه الميول عند غياب القائد. كما يظهر في هذا النموذج من القيادة حب الخضوع، والتملُّق ومحاولات لفت النظر للتقرب من القائد، كما أن الروح الفردية (الشعور بالأنا) أكثر من الروح الجماعية (النحن). والقيادة الديمقراطية هي الأنجح على مر الزمن، ولكن الأساليب الديمقراطية تحتاج إلى تدريب ومهارة وخبرة، وبعض الناس يميلون إلى القيادة التسلُّطية وخاصة عندما تساورهم مشاعر القلق والخوف والتوتر وعدم الإحساس بالأمن، أو عندما يوجَدون في ظروف غامضة متأزمة، حيث تكون وظائف القيادة إخلاء الفرد من المسؤولية، وخلاصه من عملية اتخاذ القرارات... ومع ذلك فإن القيادة الديمقراطية (وكما أشرنا سابقاً) ترفع معنويات المجموعة أكثر بكثير من القيادة التسلُّطية.

اختيار القادة: يستخدم المنهج السوسيومتري (Sociometric)، الذي أشرنا إليه سابقاً، في اختيار القادة، ويلجأ البعض إلى الاختبارات الموقفية لدراسة القادة واختيارهم، وفي هذه الطريقة يوضع عدد من الأفراد في موقف ما يقومون فيه بسلوك اجتماعي، مثل حل مشكلة أو مناقشة موضوع ما، ويتم ملاحظة الأفراد الأكثر نشاطاً وتأثيراً في سلوك الآخرين، ويكون هو القائد. وقد أشرنا بأن القيادة تختلف من موقف لآخر، ومن جماعة لأخرى، وقد تنتقل القيادة من فرد لآخر عندما يتغير الموقف، مثلاً: إن قائد المناقشة والتخطيط قد يترك المجال لغيره لقيادة تنفيذ الخطة، وقد لاحظ جب (Gibb. C.A) في كتابه عن سمات القيادة (١٩٤٧م)، وبعد أن درس الاختبارات الموقفية في الجيش الألماني، والقوات المسلحة البريطانية، والجيش الأمريكي والقوات المسلحة الاسترالية... أن سمات القائد والأتباع لا تظهر من فراغ ولكنها تظهر في المواقف الاجتماعية التي تتطلب

السلوك القيادي. وفي الجيش الأمريكي، وأثناء الحرب العالمية الثانية، استُخدمت طرق اختيار القادة لمهام حربية مثل أعمال المخابرات وغيرها على أساس تحليل التفاعل والاختبارات الموقفية، أي على أساس ملاحظة السلوك في نماذج مصغَّرة من المواقف العملية التي يختار لها القادة، وقد استغرقت عملية الاختيار ثلاثة أيام متتالية من الملاحظة والاختيار عاش خلالها المرشحون معاً في جماعات صغيرة وتحت ملاحظة دقيقة من قبل رجال مكتب الخدمات الاستراتيجية في الجيش الأمريكي، وشمل البرنامج اختبارات الاستعدادات الخاصة، واختبارات إسقاطية، ومقابلات شخصية، وملاحظات عامة، وضُمِّم لهذا الغرض مجموعة من الاختبارات أقتُبس بعضها من الجيشين البريطاني والألماني، وقد ساهم علماء النفس في اختيار المرشحين لمراكز الضباط في الجيش البريطاني بواسطة مجلس من الضباط العظام، وقد ذُكر بأن عملية الاختيار كانت تعتمد على تحديد السمات العامة للقائد، وتمَّ ذلك عن طريق مقابلات شخصية مع المرشحين وذلك لتقدير السمات وقياسها، وتمَّ اختيار نسبة (٢٢٪) من المرشحين، وقد وجد بأن الاختبارات المقنَّنة أفضل من المقابلات وأكثر صدقاً في عملية الاختيار، وخاصة اختبارات الذكاء والشخصية والتوافق النفسي.

هذا وقد حاول كل من (M. Goldman)، و(Fraas. A.A) (١٩٦٥م) دراسة أثر طرق اختيار القيادة على أداء الجماعة، قائد منتخب من قبل الجماعة، قائد مختار حسب قدرته على أداء عمل معين، قائد معيَّن، جماعة بدون قائد، وطلب من كل جماعة أداء عمل محدد، وتم حساب الزمان، وعدد الأخطاء، وعدد المحاولات المستغرقة، وتبين بأن أفضل أداء كان للجماعة التي اختارت قائدها (قائد مختار)، يليه القائد المنتخب، يليه الجماعة بدون قائد، وأخيراً نظام القائد المعيَّن. وهكذا استخلص جولدمان وفراس بأن نظام اختيار القائد يؤثر في مستوى أداء الجماعة، وبأن الأتباع أكثر تقبلاً لقائدهم إذا هم اختاروه، وإذا هو برهن وبشكل تلقائي بأنه جدير بالقيادة وعند حسن ظن أتباعه فيه. ويمكن القول إن شخصية القائد، وقدرته على السيطرة، وامتلاكه للمواهب الضرورية له، والمؤهلات والخبرات اللازمة لاتخاذ القرارات، ومكانته في نظر أفراد مجموعته، والثقة بالنفس، والصوت، والمظهر، والحماسة التي هي مظهر من مظاهر المعنويات،

والطاقة الجسدية، والصحة النفسية، والتحمل، والثبات، والمناعة النفسية... هي من سمات القائد الهامة والناجح.

التدريب على القيادة

إن معظم سمات شخصية القائد مكتسبة، وتتحدد هذه السمات في إطار معايير اجتماعية مكتسبة، وهذا يجعلنا نرفض القول بأن «القادة يولَدون ولا يُصنعون»، ومن ثمَّ فلا حاجة إلى التعليم والتدريب والاكتساب... إن النظرة الحديثة للقيادة هي أنها مكتسبة ويمكن تعلمها، والقيادة تصنع أكثر مما تولَد، وفي ضوء ذلك وجد الباحثون أهمية الاهتمام بتدريب القادة الجدد علمياً وعملياً. وقد أجرى (.Bavelas, A) (١٩٦٠) دراسة على عيِّنة مكونة من ستة مشرفين على ملاعب أطفال، قُسِّموا إلى مجموعة تجريبية تمَّ تدريب أفرادها الثلاثة على القيادة ومجموعة ضابطة لم يتلقَّ أفرادها التدريب على القيادة، وكانت مدة التدريب ثلاثة أسابيع، وتبين أن الذين أعطوا التدريب على القيادة كانوا أكثر نجاحاً في قيادة المجموعة، وإدارة الملاعب، وارتفاع الروح المعنوية، وزيادة الحماس للنشاط، والتعاون، وقلة الأخطاء. ومن أساليب التدريب على القيادة طريقة يعقوب مورينو (Moreno Jacob, L.) المعروفة باسم لعب الدور (Role Playing)، حيث يتم قيام الفرد بدور القائد في مواقف متنوعة أقرب لمواقف الحياة.

وللتدريب أسس مثل التعرف على النواحي السلوكية المطلوب تعلمها، ثم تكرار السلوك، ثم نقل السلوك إلى العمل الحقيقي في القيادة. ومن العوامل المساعدة على التدريب على فن القيادة:

١ ـ التدريب على القيادة في جماعات، ويتم مناقشة أهداف الجماعة، واتجاهاتها، وأسس العمل الجماعي، وتحديد سلوك الأفراد واتجاهاتهم ومعاييرهم الاجتماعية (Social Norms)، وطريقة العمل.

٢ ـ توفير مدرب كفء لديه المهارة والخبرة والقدرة على التعليم، وأن يكون قدوة حسنة في الخبرة، والسلوك، والمناقشة... إلخ.

٣ ـ اختيار جماعة التدريب بحيث تقبل التعلم والتدريب والتغيير (الدافعية للتعلم).

٤ ـ تبادل الآراء والخبرات بين المدربين والمتدربين بكل حرية ووضوح وتقارب الإطار المرجعي.

٥ ـ ملاحظة المدرب في قيادته للجماعة، وملاحظة أعضاء الجماعة للمدرب، مع تغذية راجعة.

٦ ـ التدريب على وضوح التفكير واتخاذ القرارات، والسرعة في الأداء، وخاصة في الحالات الطارئة والأزمات.

٧ ـ التدريب على النقد البناء، والنقد الذاتي، وتقبل النقد، والاستجابة لانتقادات الآخرين، وطلب المزيد من النقد أو الملاحظات، مع إبداء الاستعداد للتغيير أو التعديل إلى الأفضل (Negative inquiry skill) (مهارة التساؤل السلبي).

٨ ـ توزيع المسؤوليات لكل فرد، وذلك حسب القدرات، والاستعداد لتحمل هذه المسؤوليات.

٩ ـ الاندماج الكامل الحقيقي في برامج التدريب، والمشاركة الإيجابية العملية والتحمس للتدريب.

١٠ ـ التدريب على الاعتراف بالخطأ، والخطأ لا يعني أن الفرد بكامله سيئ.

١١ ـ التدريب على التعبير عن المشاعر، والتعبير عن الأفكار والانفعالات بكلمات صريحة ومنطوقة.

١٢ ـ التدريب على امتصاص انفعالات الآخرين وتجاهل السلوك الغاضب وتجريده من قوته.

١٣ ـ التدريب على الاستجابة الجسمية الملائمة (Appropriate body Language) للحالة الانفعالية والموقف الاجتماعي بما في ذلك المظهر، ونبرات الصوت، وتعبيرات الوجه، والحركة، ونظرات العيون. . .

١٤ ـ التدريب على التلوُّن الانفعالي (Emotional Coloring)، أي على الانفعالات المختلفة والمتعارضة بما فيها المعارضة والهجوم، وتقبل

المديح، وإظهار الود، وتأكيد الأنا أو الذات، والقدرة على المواجهة، وتكوين علاقات اجتماعية دافئة خالية من القلق أو الانفعالات السلبية أو الخوف الاجتماعي، وتحقيق مكاسب متبادلة ومفيدة لكافة أطراف التفاعل.

١٥ ـ تطبيق مبادئ علم النفس الاجتماعي لمعرفة السلوك الاجتماعي ودوافعه، والتفاعل الاجتماعي، وسيكولوجية القيادة، مع التقييم ومعرفة النتائج.

ويذكر (ستيڤن كوفي)، من جامعة هارڤارد، في كتابه عن العادات السبع للقادة (١٩٩٦) بأن القدماء قبل حوالي (١٥٠) عاماً كانوا يعتبرون أساس نجاح القادة هو المزايا الأخلاقية لدى القائد، مثل (الاستقامة، والتواضع، والإخلاص، والاعتدال، والصبر، والمواظبة، ومعاملة الناس كما تحب أن يعاملوك)، إلّا أن هذه النظرة تغيَّرت بعد الحرب العالمية الأولى حيث أصبحت معايير نجاح القائد ليس المزايا الأخلاقية، بل المزايا الشخصية والقدرات والمهارات والتقنيات، والتصرفات في المواقف المختلفة، وبدأ الباحثون يهتمون بفن القيادة والعلاقات العامة، وبالخبرات والوضع الذهني الإيجابي لدى القائد، والدافعية التي هي فن التأثير السريع، والمهارة في التواصل مع الآخرين، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن ما نراه له علاقة أكيدة بما نحن عليه فكرياً ونفسياً، فنحن لا نرى العالم كما هو بل كما نحن عليه (أخطاء الإدراك، مكنونات اللاشعور، والحالة النفسية والانفعالية، والخبرات السابقة...). ويرى ستيڤن كوفي أن هناك مبادئ أساسية تتحكم بالفعاليات الإنسانية، وهي مبادئ لا تقبل التغيير، وتختلف بين فرد وآخر من حيث الدرجة، ولا بدَّ منها لكل فرد متميِّز أو قائد، وهذه المبادئ هي الإنصاف (Fairness)، والاستقامة (Integrity)، والنزاهة (Honesty)، والكرامة (Dignity)، والصبر (Patience)، والرعاية (Care)، والتشجيع (Encouragment)، والتغذية الراجعة (Feedback)، والمنزلة أو النوعية (Quality)، وهذه المبادئ هي التي يجب أن يتحلى بها كل قائد، وعملية التدريب تكوِّن خبرات وعادات، وهي بدورها تهيئ لوجود شخصيات قيادية.

ازرع فكرة تحصد فعلاً، وازرع فعلاً تحصد عادة، وازرع عادة تحصد شخصية، وازرع شخصية تحصد مصيراً أو تحقق هدفاً، هذه الخطوات التي

تميِّز تدريب القياديين، وينصح البعض بأن يتم تدريب القادة على أن يكونوا :

١ ـ سباقين يتميزون بالوعي وأخذ المبادرة بدون اندفاع أو تهور.

٢ ـ معرفة النفس، والتدريب على تقييم الذات.

٣ ـ التركيز على الحاضر، وأن ما يكمن خلفنا أو أمامنا هي مسائل بسيطة مقارنة بما يكمن في داخلنا.

٤ ـ وضع الأمور التي لها أولوية أولاً.

٥ ـ تنظيم الزمن بشكل متوازن.

٦ ـ فهم الآخرين للقائد وفهم القائد للآخرين، ومعرفة مبادئ الاتصال والتفاعل.

٧ ـ التفكير بالعلاقات التي تربط بين الأفراد (الأجزاء) (الكل أكبر من مجموع الأجزاء) (التلاحم).

٨ ـ القدرة على التخطيط وتقديم المعلومات، والتوجيه، والشورى.

٩ ـ القائد حكم أو وسيط أو مفاوض لحل الصراعات. . . أو للإقناع.

١٠ ـ المبادأة والابتكار، وقوة الملاحظة، والذكاء، والمجاملة، والدهاء، وإتقان فن القتال.

١١ ـ الطموح والمثابرة والشجاعة الهادئة وقت الخطر.

١٢ ـ القدرة على السيطرة وعلى تماسك الجماعة.

وفي الولايات المتحدة والدول الغربية جرت العادة على إهمال إعداد وتدريب القادة، وذلك لأن هذه الدول لديها شبهة حول سلطة القائد والقيادة، التي يرون فيها أنها لا تتفق مع مفهوم الديمقراطية حسب المفهوم الغربي، ومن ناحية أخرى تعتقد هذه الدول بأن هذا الإعداد يكون عديم الجدوى برغم أن الاستعداد للقيادة هو موهبة طبيعية وليس ثمرة التدريب والخبرة. وهذه الشبهة هي من نوع الأحكام المسبقة والخطأ الشائع (مصادرة على المطلوب)، ولقد تحولت هذه الفكرة مؤخراً نحو مفهوم جديد يقوم على ضرورة وأهمية تدريب القادة، فقد تبيَّن بأن جميع أشكال القيادة أو نماذجها تتفق مع النموذج الديمقراطي عدا النموذج التسلطي. إن القيادة

الصالحة هي لازمة للديمقراطية، وقد دلَّت المشاهدات على أن نجاح القائد في دوره القيادي رهن على خبرته ومواقفه، ومناخ المجموعة التي يوجد فيها أكثر منه على صفات فطرية في شخصيته... ويلاحَظ ذلك لدى الذين يهتمون بشؤون القيادة وخاصة في القوات العسكرية.

ولا شك بأن هناك سلطات متعددة تأخذ على عاتقها إعداد القادة كما في المنظمات، وأجهزة الإدارة والإشراف، والنقابات... والقوات المسلحة، ومن المؤسف أن معظم هذه السلطات اهتمت بأساليب القيادة وأهملت كيفية تحويل معنويات مجموعة من الأفراد ومردود عملها تبعاً للنماذج المختلفة للقيادة، إذ تركز الاهتمام على ما يقوم القائد بعمله هو بالذات وليس إلى نتائج أعماله أو ما يقوم به أفراد المجموعة، وقد وُجدت صعوبات في وجه محاولة إعادة تدريب القادة، وخاصة القادة الذين هم على غير المستوى المرجو، أي عجز القائد عن استخدام الأساليب الديمقراطية في القيادة، وأحياناً يرفض القائد الاعتراف أنه بحاجة إلى تدَريب وإعداد، ولأنه لا يشعر في الغالب بأن الأمور تجري بشكل غير صحيح، أو أن معنويات المجموعة أقل من اللازم، وحتى إذا شعر بذلك فإنه قد يجهل بأن الخطأ هو خطؤه، وأن بوسعه معالجة مشاكل المجموعة، وغالباً ما يعتقد بأن هذه المشاكل هي لأسباب خارجية لا سلطة له عليها (مركز الضبط أو التحكم)، أو أن سببها هو فقدان الدافعية والحوافز واللامبالاة، أو أنها بسبب نقص الكفاءة لدى الأفراد، وباختصار يجهل القائد عواقب تصرفاته...

وقد يحدث أن القائد ليس لديه المفاهيم التي تضمن نجاح تدريبه الجديد، فهو قد لا يشعر بأن المجموعة يجب أن تسهم في اتخاذ القرارات المتعلقة بسير العمل، فيعتقد بأن من واجب القيادة أن يُفرض عليه الانفراد في اتخاذ القرارات وفرضها على مرؤوسيه، أو يعتقد بأن الأساليب الديمقراطية هي لغو وثرثرة فارغة، بالرغم من أنه يؤمن، في نفس الوقت، بالمبادئ الديمقراطية في الممارسة على الصعيد الوطني والقومي العام.

إنها عقبة كبيرة أمام تجديد تدريب القائد أو المسؤول الذي لا يؤمن وبعمق بضرورة التوجيه وفق الأسلوب الديمقراطي، وبعض القادة قد يؤمنون بضرورة التدريب والتوجيه والتعديل... ولكنهم، على المستوى العملي، لا

يكونون في مستوى المهمة أو التنفيذ، وقد تكون شخصية القائد هي العقبة أمام إعادة تدريبه، فيحدث أن يبدي بعض القادة غيرة شديدة على صلاحيته كقائد فينتابه الإحساس بالقلق وعدم الإطمئنان، ويلجأ إلى تهدئة نفسه وذلك بالتأكيد والإصرار على دوره ونفوذه، بينه وبين نفسه ومرؤوسيه، وقد يشعر بالقلق أو القصور أو الخجل بمناسبة إعادة التدريب، فيرفض بحزم وإصرار ما يُقدم إليه من عون في مجال إعادة التدريب أو التأهيل وكقائد لمجموعة ذات مهمة محددة.

وقد يحدث بأن القائد لا يملك المؤهلات أو الخبرات الضرورية للقيام بدوره الرئيسي الجديد وهو مقتنع بأن مؤهلاته وخبراته وأساليبه الحالية غير مجدية، ويرغب في تحسينها، ولكن هذا لا يجدي من أجل أن يكون قائداً ديمقراطياً ناجحاً. . ولا بد من التوجيه والتدريب وزيادة الخبرة في زيادة انسجام العلاقات بين أفراد المجموعة، والاستفادة من الطاقات والإمكانيات المتاحة ولتحقيق الأهداف. إن المهمة الأولى عند تدريب القائد تتطلب تذليل جميع هذه الصعوبات.

ويتم عادة وضع برنامج تدريب على فن القيادة، تتراوح مدته بين ثلاثة أسابيع وشهر، وعادة تؤخذ مجموعة تجريبية من المرشحين إلى جانب مجموعة ضابطة، وبعد عملية التدريب نقيِّم أثر عملية التدريب على الأتباع من حيث مستوى المعنويات، والإقبال بحماس على العمل (الدافعية للإنجاز)، والمساهمة في الأنشطة الجماعية، ومستوى الأداء، والزمن.

ويتم تدريب المرشحين داخل ورشة عمل، وعادة يقوم المدرب بإعطاء فكرة عامة عن البرنامج التدريبي، وهدفه، وموضوعاته، ومكانته، والوقت المحدَّد له، مستخدماً الطريقة الديمقراطية والواقعية، وليس بطريقة يعتقدون من خلالها بأنهم امتلكوا خاتم السحر ويمكن استعماله في كافة المواقف الاجتماعية، ومهما كان نوعها.

وتتم المناقشة والمداولة لزيادة وعي الأفراد المرشحين للقيادة، وذلك فيما يتعلق بصفات القائد الناجح والإمكانيات العملية والخبرات التي لديه، وكيفية استخدامها في الوقت والمكان المناسبين. ويمكن الاعتماد على الملاحظة أثناء عملية التدريب وملاحظة الكيفية التي يقود بها المدرب مجموعته، ثم

تتم المناقشة والنقد بعد ملاحظتهم لبعض (وهذا ما يشبه حالات العلاج النفسي الجمعي). وقد تبيَّن لـ (بافلاس) أن كثيراً من المرشحين الذين اختيروا بالاعتماد على استعداداتهم الفطرية للقيادة لم يكونوا ناجحين في أدائهم، كما أن هناك رؤساء وقادة، كانوا فاشلين طوال سنوات عديدة، قد برزوا بعد عملية التدريب، وأصبحوا قادة ناجحين.

بالإضافة لذلك وجد (بافلاس) بأن مجرد التوجيه النظري والتعليم الكلامي (الإلقاء مثلاً) لا يكفيان، فالتعليم يجب أن يتم أثناء العمل (Occupational Learning)، إذ لا يمكن للقائد أن يتدرب على دوره إلّا في محيطه الحقيقي، ويفضل هنا استخدام طريقة لعب الدور، أو تمثيل دور يشبه دور القائد (أو دور المدير الذي يخاطب موظفيه)، وخلال عملية تمثيل الدور تطرح المشاكل اللازمة وتصبح أكثر وضوحاً للأفراد، مما يحقق لهم نظرة جديدة في تفهم طبيعة علاقاتهم مع موظفيهم وأساليبهم الخاصة في القيادة، كما أن هذه الطريقة تساعد على تفهُّم مواقف وسلوك المرؤوسين بشكل أفضل، ثم تكفل هذه الطريقة للقائد تجريب أساليبه الجديدة قبل التطبيق في وضع حقيقي.

القيادة واتخاذ القرار
(Leadership and Decision Making)

إن من خصائص القيادة الناجحة القدرة على اتخاذ القرار بنجاح، ولعل خاصية اتخاذ القرار تُعتبر من أهم ما يميِّز الإنسان الواعي والشخصية المتزنة، وهي خاصية لها أهميتها لدى كل إنسان وفي كافة مجالات الحياة العسكرية، والإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية... وغيرها. وتزداد أهمية اتخاذ القرار في المجالات الحسَّاسة والتي تهم المجتمع، أو الأمة، أو الوطن... أو المصير أكثر مما تهمُّ الفرد. ويُعرَّف عادة مفهوم اتخاذ القرار (Decision Making) على النحو التالي:

«إنه عبارة عن عملية عقلية يتم من خلالها تقييم سلبيات وإيجابيات الإقدام على القيام بعمل ما يكون على مستوى من الأهمية أو الخطورة، ويهدف إلى حلِّ قضية وتنفيذها في الواقع».

والعملية العقلية هنا يقصد بها ما لدى الفرد من قدرات عقلية ومعرفية، مثل الذكاء والوعي، والخبرة، والقدرة على التمييز، والمقارنة، والتحليل والتركيب العقليين، والقدرة على التصوُّر، والانتباه، والتركيز، والفهم، والاستيعاب، والتوقع، والاستبصار، وإدراك العلاقات، والاستنتاج... إلخ. والعملية العقلية هي محصلة تفاعل بين جميع هذه الوظائف العقلية، وهذه الوظائف تختلف من فرد لآخر، فهي قوية ومصقولة لدى بعض الأفراد وضعيفة لدى البعض الآخر، لذلك فإن عملية التقييم للإقدام على عمل ما تختلف من فرد لآخر، وهي تتراوح بين القوي الإبداعي وبين الضعيف أو المتهور.

ويرى العلماء أن موقف اتخاذ القرار هو عبارة عن مركَّب عقلي ـ نفسي (وليس عقلي فقط)، حيث أن عملية اتخاذ القرار تكون مدفوعة بعوامل وأسباب محددة من أجل تحقيق حاجة أو حل مشكلة، والفرد عادة ما يمر

من مرحلة تصميم القرار إلى مرحلة اتخاذ القرار، إلى مرحلة تنفيذ القرار، وهنا يحتاج الفرد إلى قوة تدفعه للانتقال من مرحلة إلى المرحلة التالية، وبهذا يمكن القول بأن القرار يمر بالخطوات التالية:

١ ـ وجود مشكلة تحتاج إلى حل، أو إلى مواجهة، من أجل تحقيق هدف محدد.

٢ ـ مرحلة المذاكرة أو المراجعة العقلية، وهي تسبق مرحلة تصميم القرار، وفي هذه المرحلة تتضح الأمور للفرد، بما فيها من إيجابيات وسلبيات، وتتم دراسة أبعاد المشكلة القائمة، والاستفادة من الخبرات، وإجراء المداولات للحكم، وتنتهي هذه المرحلة بوضع خطة القرار وأبعاده النظرية والعملية (تصميم القرار).

٣ ـ مرحلة اتخاذ القرار، صياغته بشكل واضح، والمصادقة، أو الإجماع عليه.

٤ ـ مرحلة الدفع أو التحريك، وهي الوصول إلى مرحلة من القناعة العقلية والمشاعر النفسية التي تدفع الفرد نحو تنفيذ القرار، وبمعنى آخر تزويد الفرد بطاقة أو بشحنة عقلية ـ نفسية تدفعه نحو الاستمرار في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة تالية، حتى تنفيذ القرار في الواقع.

٥ ـ مرحلة تنفيذ القرار، ويكون ذلك ثمرة المراحل السابقة، وتتطلب هذه المرحلة إرادة التنفيذ، فالقرار في حقيقته هو عمل الإرادة والتصميم أو العزيمة لدى الإنسان.

٦ ـ مرحلة التقييم للنتائج، وتحمل العواقب، أو نتائج تنفيذ القرار.

ويشترط البعض في اتخاذ القرارات توفر الوعي، والعقلانية، والعدل أو الموضوعية، وتحقيق الفائدة، والصدق، والابتعاد عن الإكراه أو القسر، وعن التعصب في الفكر أو الرأي، وتوفر الحرية للفرد... ويمكن للقرار أن يتوقف عند أي مرحلة من مراحل القرار قبل التنفيذ، فالقرار مهما كان مهماً أو حاسماً يبقى مشروطاً إذا لم يدخل حيِّز التنفيذ والواقع، فهناك قرارات كثيرة تُصمم، وتُتخذ من دون أن تنفذ. وللقرار مستويات منها ما هو على مستوى الإبداع والأصالة والتجديد، وفي هذا المستوى تبرز الخبرات

والقدرات العقلية والنفسية بشكل متميِّز، ويُعتبر هذا المستوى من أعلى مستويات القرارات البناءة، ومنها ما هو على مستوى الميول والرغبات والعواطف، كما في حالات التهوُّر أو الاندفاع في اتخاذ القرار، ويكون ذلك أدنى مستويات اتخاذ القرار. ومن الطبيعي أن عملية اتخاذ وتنفيذ القرار تتأثر بشدة في نمط الأفراد أو القوى التي تتخذ القرار مثل النمط المتِسلِّط، والنمط الديكتاتوري، والنمط الديمقراطي، والنمط المتساهل، والنمط المتعصب، والنمط الديني، والنمط العلماني...

المتطلبات العقلية والنفسية لعملية اتخاذ القرار

نفهم، مما سبق، بأن هناك متطلبات عقلية ونفسية حتى يتم اتخاذ قرار ناجح، يمكن تلخيصها بالتالي:

١ ـ الوعي العقلي، والخبرة الحياتية، والقدرة على التخطيط.

٢ ـ الموضوعية في اتخاذ القرار، والنية الصادقة، والبعد عن الأنانية والرغبات الخاصة.

٣ ـ توفر الإرادة القوية والجرأة العاقلة من دون إساءة أو عدوان أو سيطرة.

٤ ـ الإحساس بالحرية الداخلية والحرية الخارجية.

٥ ـ عدم الإحساس أو المبالغة في الخوف والقلق، أو عدم الطمأنينة من اتخاذ القرار.

٦ ـ المقدرة على المثابرة وبذل الجهد.

٧ ـ المقدرة على التوقع (Expectancy) الصحيح لنتائج اتخاذ القرار.

٨ ـ المقدرة على تحمل النتائج.

ومن الطبيعي أن القرار العسكري له خصوصيته وأهميته ومخاطره أحياناً وهو قرار يجب أن يكون على مستوى من الدقة والوضوح والتنظيم، ويعتمد على خبرات نظرية وعملية كبيرة، وبعيداً عن التسرُّع، ويحقق الأهداف.

العوامل المؤثرة في تربية اتخاذ القرار

مما لا شك فيه بأن الأفراد يختلفون حسب قدراتهم على تصميم، واتخاذ، وتنفيذ القرار، وهذا الاختلاف يرجع إلى الخبرات السابقة، وبالذات خبرات النجاح والفشل، وكذلك إلى عمليات الاكتساب والتعليم، ويمكن للفرد أن يتدرب على عمليات تصميم واتخاذ القرارات الناجحة. وبشكل عام إن عملية اتخاذ القرار تتأثر بالعوامل التالية:

١ ـ العوامل الوراثية وعامل الاستعداد.

٢ ـ عامل التنشئة الأسرية واتجاهات الآباء الأسرية في تنشئة أولادهم.

٣ ـ عامل التنشئة الاجتماعية، والعادات والتقاليد... والمفاهيم الاجتماعية وغيرها.

٤ ـ عامل التنشئة الدينية والقيم والأخلاق.

٥ ـ العامل الصحي والإعاقات والأمراض.

٦ ـ العامل التربوي والثقافي والمؤهلات العلمية، والدورات التدريبية... والخبرات.

٧ ـ العامل الاقتصادي والإمكانيات المادية.

٩ ـ العامل النفسي، الدوافع، والميول، والرغبات، والاضطرابات النفسية...

١٠ ـ القدرات العقلية، (الذكاء، والذاكرة، والقدرة على التعلم... إلخ).

اضطرابات اتخاذ القرار

من النادر أن تكون عملية اتخاذ القرار مبنية على عقل ومنطق خالصين (١٠٠٪)، إذ لا بدَّ من أن يشوب عملية اتخاذ القرار بعض العيوب أو درجة من النقص. ومن أبرز عيوب اتخاذ القرار ما يلي:

١ ـ القرار غير الناضج، المتسرِّع والذي يؤخِّر عملية التنفيذ.

٢ ـ كبت القرار أو الإحجام عنه بسبب الخوف والمسؤولية، والتردد، والصراع النفسي.

٣ ـ التسرُّع أو الاندفاع باتخاذ القرار.

٤ ـ الإحجام عن القرار (إلغاء القرار) بسبب ضعف الدافعية والإرادة والثقة.

٥ ـ عدم تقدير عواقب أو نتائج اتخاذ القرار.

٦ ـ الإصرار والتصلُّب في اتخاذ القرار وعدم الاستعانة بالمنطق والخبرات.

٧ ـ عندما يكون الهدف من اتخاذ القرار ممارسة السلطة والضغط على الآخرين.

٨ ـ عندما لا يحترم اتخاذ القرار قوانين المجتمع ويراعي حقوق الآخرين. . .

٩ ـ عدم اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب لاتخاذ وتنفيذ القرار.

١٠ ـ عندما يكون القرار غير حرٍ بسبب قيود صعبة.

اتخاذ القرار أمر نسبي

اتخاذ القرار أمر نسبي يختلف بين فرد وآخر، وبين الذكر والأنثى، وبين رجل المدينة ورجل الريف، وبين المتعلم والجاهل، وبين الصغير والكبير، وهناك قرارات موجِّهة وإيجابية مفيدة، وقرارات ضارة يترتب عنها سلبيات ومشاكل. وفي بناء القرار يكون الإنسان واعياً حذراً، يخاف العواقب أو الفشل، ويعمل كل جهده لتفادي الأخطاء وإعمال العقل، والاستفادة من الأخطاء السابقة، فالإنسان في قراراته يتعلم من أسباب فشله السابقة، ويعيد النظر في الموقف ككل، ويجري تعديلاً في أفكاره، ويصحح من وسائله ومن توقعاته، وقد يتسرَّع البعض في اتخاذ قراراته اعتقاداً منه بأن قدرات الإنسان محدودة، وأن الإنسان مهما كان واعياً هو عرضة للخطأ (كلُّ ابن آدم خطاء)، وأن احتمال النجاح وارد، واحتمال الفشل أيضاً وارد، لذلك فإن اتخاذ القرار هو أمر يشبه الفرضية لا يعرف مدى صدقها إلّا بعد التنفيذ (أو بعد التجربة)، ثم إن بعض الأفراد يرون بأن كل شيء مقدَّر من الله عز وجل (القدرية)، وبالتالي فإن الخطأ أو الصواب في اتخاذ وتنفيذ القرار هو مقدَّر من الله، والواقع أن مثل هذا التفكير خاطئ وينطوي على عملية

مجازفة أو تهوُّر في اتخاذ القرار. صحيح أن كل شيء في الحياة مقدَّر من الله عز وجل في خيره وشرِّه، ولكن الله عز وجل دعانا إلى إعمال العقل والتفكير والاستفادة من الخبرات، والتريُّث في الأحكام، وقبل اتخاذ أي قرار والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة/ ١٩٥]، والإنسان الواعي الناضج هو الذي يطوِّر قراراته باستمرار، ويقيِّم هذه القرارات بشكل موضوعي، وكما هي في الواقع بعيداً عن الآراء الذاتية أو الافتراضات.

معايير اتخاذ القرار الناجح

تشير الدراسات الاجتماعية إلى أن أهم معايير القرار الناجح هي:

١ ـ يحقق الأهداف المرجوة وبنسبة عالية.

٢ ـ مفيد للأفراد والمجتمع.

٣ ـ يساهم في عملية التطوير والتحديث لمجال القرار.

٤ ـ يعتمد على خبرات علمية.

٥ ـ يحترم خصوصية المجتمع ولا يتنافى مع الشريعة الإسلامية.

٦ ـ تتوفر الإمكانيات المادية لتنفيذه.

٧ ـ أن يكون موضوعياً ونابعاً من حرية الفرد، ومن دون إكراه، أو قسر.

إعداد الفرد للحياة العسكرية
وكيفية التعامل مع الأفراد الجدد

من الأمور المهمة في مجال القوات المسلحة كيفية العمل على إعداد الفرد المدني ليتكيَّف مع نمط جديد ومختلف من الحياة هو الحياة العسكرية، وبأقل مشاكل ممكنة، ويكون ذلك عن قناعة ورضى عن العمل في المجال العسكري (Job Satisfaction). إن الفرد المدني الذي يعيش داخل أفراد أسرته، وفي إطار مجتمعه المهني يؤثر ويتأثر بعوامل التنشئة الأسرية والاجتماعية، وبأساليب التربية، والعادات السائدة، والقيم، والأفكار، والعواطف التي تسود الأسرة والمجتمع... ولهذا فإن هذا الفرد لا بدَّ أنه يختلف من حيث شخصيته، وأفكاره، وسلوكياته، وطباعه، وميوله... عن الفرد الذي ينشأ داخل القوات المسلحة، ويتفاعل مع عوامل التدريب والإعداد والتنشئة العسكرية. ولعل هذا الاختلاف بين التنشئة الاجتماعية المدنية والتنشئة العسكرية يرجع إلى الأهداف التي تسعى القوات المسلحة إلى تحقيقها لدى الفرد العسكري.

إن الفرد خلال حياته المدنية يكتسب مجموعة من الخبرات والقيم والعادات... وذلك من خلال عوامل التربية الأسرية والمدرسية، والعوامل الاجتماعية، ويكون الفرد خلال حياته المدنية أكثر حريَّة، واعتماداً على والديه أو أسرته، وأكثر قدرة على إشباع حاجاته ورغباته، وقد يتساهل الفرد في حياته المدنية في أداء واجباته، أو في احترام النظم والالتزام بالقوانين، وقد يتساهل في تحمل المسؤولية، أو يكون كسولاً، لامبالياً، أو اتكالياً، يختار صداقاته وأنشطته وأفعاله كما يحلو له، وقد يكون عنيداً، مشاكساً، أنانياً، أو يكون مطيعاً ومنظماً ومتعاوناً... إلخ، وبشكل عام تختلف الحياة المدنية ومتطلباتها عن الحياة العسكرية، وعلى الأقل من حيث الخشونة أو الصرامة، والالتزام، وتحمل المسؤولية، وكذلك من حيث طبيعة العلاقات، والنظم، والمتطلبات... كما أن قدرة الفرد على التكيُّف مع الحياة المدنية

تختلف عن قدرته على التكيف مع الحياة العسكرية، لهذا كان من الطبيعي أن تختلف سمات شخصية الفرد العسكري وسلوكياته وأفكاره وانضباطه... عن سمات الشخص المدني وسلوكياته وأفكاره...

من ناحية أخرى، إن الفرد العسكري الذي تدرَّب على التكيف مع متطلبات الحياة العسكرية، هو في نفس الوقت فرد في مجتمع مدني، وما زال يعيش في إطار أسرته وزوجته، وأولاده، ووالديه، وأقربائه، وأصحابه... وعليه في الوقت نفسه التكيُّف مع متطلبات المجتمع المدني الذي ينتسب إليه، وهذا أمر ضروري لا غنى عنه لكل فرد عسكري يكون على مستوى من الوعي والذكاء، وهنا نجد بأن ما هو مطلوب من الفرد العسكري أكبر بكثير مما هو مطلوب من الفرد المدني، ومن الطبيعي أن هناك فروقاً بين الأفراد من حيث قدرتهم على التكيف السليم مع كل من المجتمع المدني والمجتمع العسكري.

والسؤال هنا هو: كيف يتم إعداد الفرد المدني للتكيُّف مع الحياة العسكرية؟ وبمعنىٰ آخر: كيف يمكننا دمج الفرد المدني في حياة عسكرية جديدة لها متطلبات تختلف عن متطلبات الحياة المدنية، وسلخه (جزئياً أو كلياً) عن حياته المدنية؟ بما في ذلك من عادات، وأفكار، واتجاهات، وأعمال... إلخ، تختلف عما هي عليه في مجال القوات المسلحة، ومن دون أن تكون هناك أضرار مادية أو معنوية، ومع الاستفادة من القدرات أو المهارات المتوافرة لدى الفرد، والتي اكتسبها في حياته المدنية.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ليس بالأمر السهل، كما أننا لا نستطيع أن نبعد الفرد تماماً عن مكتسباته المدنية، وأن ندخله مباشرة في حياة عسكرية لا يعرف عنها شيئاً، ثم إنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار بأن الحياة المدنية في وقتنا الراهن تعتبر سنداً ومكملة للحياة العسكرية، كما أن الحياة العسكرية تعتبر سنداً ومكملة للحياة المدنية، فهناك تواصل، وتفاعل، وتكامل، وتعاون بين الحياة المدنية والحياة العسكرية لدى الفرد، ومن الطبيعي أن الفرد العسكري الناجح هو الذي يحقق الانسجام أو التوافق بين متطلبات الحياة المدنية ومتطلبات الحياة العسكرية معاً.

ومما لا شك فيه بأن عمليات الدمج، والتدريب، والتعليم، والتوجيه،

والتقييم... هي التي يُعتمد عليها في إعداد الفرد عسكرياً، وذلك في ضوء أهداف عسكرية وخطط محددة، وهذه العمليات تخضع لمبادئ أو أسس علمية، كما تخضع إلى دراسات، وبرامج محددة تساعد على تحويل الفرد تدريجياً من الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية، حيث يتم تعديل بعض أفكاره، وسلوكياته، أو طباعه، أو خبراته، وميوله... لتصبح أكثر انسجاماً وتوافقاً مع متطلبات الحياة العسكرية، ومع الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها القوات المسلحة.

ولا بدَّ من أجل تحقيق ذلك من توفر عنصر الدافعية (Motivation) للتعلم، أو الدافعية للإنجاز لدى الفرد، وكذلك الرغبة في الإعداد والتدريب، والميل إلى مهنة القوات المسلحة، مع الإحساس بالرضا والقناعة الذاتية بأن ما يقوم به من أعمال، أو ما يتلقاه من تدريبات هو لخدمة جيشه، ووطنه، وشعبه، وأداء لأهم واجباته... إلخ، ومن حسن الحظ أنَّ معظم الأفراد الذين يدخلون في القوات المسلحة هم من اليافعين والشباب الذين يسهل التأثير فيهم، كما يسهل تعديل أفكارهم، واتجاهاتهم، وسلوكياتهم، مع اكتساب ثقتهم وحماسهم، كما يسهل توجيههم وإرشادهم... وحيث أن هذه الصفات هي من خصائص مرحلة الشباب، وعلى المسؤولين والقادة في القوات المسلحة استغلال هذه الخصائص ومراعاتها خلال عملية التدريب، أو الإعداد، أو التعليم... أو غير ذلك، لهذا فإن فترة الإعداد والتدريب هي من الفترات الحساسة التي يمر بها الفرد خلال حياته العسكرية، وكذلك فإنه في هذه الفترة تتكوَّن انطباعات الفرد (الإيجابية والسلبية) عن طبيعة الحياة في القوات المسلحة، وهي الانطباعات التي تترك أثراً عميقاً في عقلية ونفسية الفرد، وبالتالي في سلوكياته ومعنوياته، وفي أداء واجباته العسكرية فيما بعد، وهي أيضاً التي ينقلها الفرد إلى الأفراد في الحياة المدنية (أي هذه الانطباعات بما فيها من مشاعر وأحاسيس وأفكار وسلوكيات...) لهذا ينصح الدارسون في علم النفس بشكل عام، وعلم النفس العسكري بشكل خاص، على تعزيز ثقة الفرد بنفسه، واحترامه حتى يدرك معنى الاحترام، وتشجيعه على حب النظام والانضباط، ومساعدته من خلال توجيهه وإرشاده.

أما استخدام أسلوب القسوة، والعنف، والتهديد، والضرب أحياناً،

والشتائم، والعقوبة، والحرمان... إلخ، كأسلوب في إعداد الفرد عسكرياً، من أجل أن يشعر الفرد (كما يعتقد بعض الضباط أو القادة أو المدربين) بخشونة أو قسوة الحياة العسكرية (وهذا ما يحدث في بعض الجيوش العربية والقوات المسلحة)، فهذا خطأ فادح وله مضاعفات عقلية ونفسية وفكرية وصحية واجتماعية على أفراد القوات المسلحة مثل كراهية الحياة العسكرية والنفور منها، وضعف الدافعية على أداء الواجبات، والسكوت عن المشاكل على مضض، أو إثارة المشكلات... مع عدم القناعة، أو الرضا المهني، والإحساس بالمهانة والاحتقار... إلخ. ومن الطبيعي أنَّ الجيوش المتطورة والحديثة تكون بعيدة كل البعد عن استخدام مثل هذه الأساليب السلبية في معاملة الأفراد، بل على العكس، إنها تعمل على الحفاظ على قدرات الأفراد المادية والمعنوية، لأقصى قدر ممكن، وحتى يتم تحقيق الأهداف بنجاح.

في ضوء ذلك، ينصح علماء علم النفس العسكري بمراعاة المبادئ التالية في التعامل مع الأفراد خلال عمليات الإعداد والتدريب والتعليم أو الإرشاد... إلخ، وكذلك مع الأفراد الجدد في القوات المسلحة.

١ ـ حسن الاستقبال من قبل المدرب (أو القائد)، والترحيب، مع توفير مشاعر الاهتمام والاحترام والتقدير، مما قد يعزز ثقة الأفراد بأنفسهم، ويزيد من معنوياتهم، كما يزيد من دافعيتهم للعمل، ومن احترامهم للنظام... وهنا على المدرب أو القائد أن يكون قدوة لأفراد القوات المسلحة، كما يستحسن أن يكون مطَّلعاً على أهمية ومبادئ المقابلة الشخصية، وأهمية بناء الانطباع الأول لدى الأفراد الجدد عن القوات المسلحة.

٢ ـ وضع جدول زماني ـ مكاني مناسب ومريح لمقابلة الأفراد الجدد، وذلك لإجراء تقييم لبعض النواحي أو السمات الشخصية والعقلية لهؤلاء الأفراد، وذلك لمعرفة اتجاهات الأفراد وميولهم، والعوامل التي دفعتهم لدخول الحياة العسكرية، وكذلك تطبيق اختبارات قدرات عقلية عامة وخاصة ومقنَّنة لمعرفة قدرات الأفراد، والفروق الفردية بينهم، وإمكانياتهم على التعلم، والتدريب، أو أداء المهام... كما يمكن تطبيق اختبارات نفسية

للكشف عن الاضطرابات النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية (إن وجدت) لدى الأفراد. . . (بالإضافة إلى الاختبارات والفحوص الطبيَّة، والصحية) وهذه كلها تزودنا بمعلومات عن الأفراد تمثل قاعدة قبل عملية الإعداد والتدريب، تكون بمثابة مرجع لنا بعد عملية الإعداد والتدريب والتوجيه؛ أو العلاج، لمعرفة مدى فاعلية برنامج الإعداد والتدريب في تحسين هذه القضايا السابقة، وفي استثمار قدرات الفرد العقلية وغير العقلية (الطاقة البشرية)، كما يفيد ذلك في وضع برامج يتم من خلالها مراعاة قدرات الأفراد على التحصيل أو الأداء (Performance) ولا يكلِّف الله نفساً إلّا وسعها، (يمكن الاطلاع على اختبارات ألفا في القوات المسلحة الأميركية والبريطانية. . .).

٣ ـ الاستفادة من المهارات والخبرات التي اكتسبها الفرد في الحياة المدنية، وذلك لتطويرها والاستفادة منها في الحياة العسكرية، وهي خبرات تكون مفيدة، وشبه جاهزة، مثل الفرد الذي يعمل سائقاً، أو ميكانيكياً، أو كهربائياً، أو إدارياً. . . في حياته المدنية، ويمكن الاستفادة من ذلك في الحياة العسكرية.

٤ ـ إن بعض ما يكتسبه الفرد العسكري أثناء تدريبه، من معارف وخبرات ومهارات أو نظم أو قيم عسكرية، أو سلوكيات. . . يمكن نقلها والاستفادة منها في مجال الحياة المدنية، كما تمت الاستفادة من خبرات الحياة المدنية في المجال العسكري.

٥ ـ شرح البرنامج العام للتدريب والإعداد، والأهداف، والخطوات، ودور الأفراد في ذلك، وجعل عمليات التدريب والتعليم متدرجة من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقَّد، وأن لا نحمِّل الفرد (مرَّة واحدة) ما هو أكبر من قدراته، أو طاقته، وأن لا نلحَّ عليه بشدة من أجل إتقان عمل ما، أو التفوق. . . حتى لا يتعرض المتدرب إلى حالة الملل والخوف أو الضجر مما قد يترتب عليه ضعف مستوى الأداء، أو ضعف الإنتاج، مع كثرة الأخطاء، وزيادة الزمن. . . وغير ذلك من مضاعفات.

٦ ـ تقديم الحوافز المادية والمعنوية والثناء والتشجيع للعمل المناسب، وفي الوقت المناسب، مما يعزِّز معنويات الفرد ويزيد من دافعيته للتعلم

والمثابرة والإتقان. . . مع الأخذ بعين الاعتبار بأن ما تصنعه العقوبة بالنسبة للمقصرين تصنعه المكافأة، وكلنا يلعم بأن للعقوبة مضاعفات سلبية، وإذا كانت هناك ضرورة للعقوبة أو التوبيخ فيجب أن يوجَّه ذلك للفعل الخطأ، الذي قام به الفرد، وليس إلى شخصية الفرد، أي أن النقد يوجَّه للسلوك الخاطئ أو الفكرة الخاطئة وليس إلى فلان من الأفراد.

٧ ـ إن عملية التدريب الجيدة (والأنشطة الجماعية) تزيد من تماسك الجماعة وفعاليتها، ومن روح التعاون الجماعي، كما تنمي (أنا الجماعة)، وهذا الانصهار يساعد على التخفيف من قلق الفرد ومخاوفه، ويعدِّل من أفكاره واتجاهاته وسلوكياته بما ينسجم مع الجماعة، كما يوفِّر ذلك علاقات وصداقات مع الأفراد الجدد، بما في ذلك من تعاون، وحماس، وتنسيق، وتفاعل جماعي مميَّز، بحيث لم يعد كل فرد يشعر بفرديته، أو بأناه معزولاً عن أنا الجماعة التي ينتمي إليها، فالعمل الجماعي يجعل كل فرد يستمد قوته وإرادته، ومعنوياته، وقدراته. . . ليس من ذاته فقط بل من خلال جماعته.

٨ ـ توفير أساليب الرعاية النفسية والصحية والاجتماعية. . . للأفراد خلال عمليات الإعداد والتدريب، مع أنشطة ترفيهية مفيدة لقضاء وقت الراحة أو الفراغ بشكل منظَّم وسارٍّ وهادف.

٩ ـ تعليم الفرد المتدرب عملية النقد الذاتي، والاعتراف بالخطأ، وتقبل النقد، والقدرة على التعبير عن الأفكار والمشاعر من دون خوف أو حرج أو خجل، مع مراعاة الاحترام وطاعة النظام. . . والمبادرة في حل المشكلات.

١٠ ـ يجب الأخذ بعين الاعتبار بأننا غالباً لا ننظر للآخرين كما هم، بل كما نحن أيضاً، (كقادة ومدربين. . .) أي كما نكون عليه من الناحية النفسية والعقلية والوجدانية. . . وعلى الإنسان أن يعمل في ضوء ذلك على فهم الآخرين، ثم جعل الآخرين يفهمونه.

الجماعية في القوات المسلحة
(Reference Group)

إن كل فرد في القوات المسلحة يعمل في إطار جماعة، سواء أكان هذا الفرد، جندياً، أو ضابطاً، أو ضابط صف، أو من القادة... والجماعة هي مجموعة من الأفراد يتم بينهم تفاعل اجتماعي (Social Interaction) متبادل عن طريق اللغة والفكر (بالنسبة للجماعات الإنسانية) والعلاقات في العمل، والإحساس بالتبعية، والانتماء إلى هذه الجماعة، حيث يتحدد دور كل فرد داخل الجماعة، ولكل جماعة مهام، ومعايير، ونظام، وقيم خاصة بها التي تحدد سلوك أفرادها في الأمور التي تحض الجماعة، سعياً وراء تحقيق هدف مشترك، ومن خلال هذه الجماعة يشبع كل فرد حاجاته. والفرد من خلال تفاعله مع أفراد جماعته يتوحد مع هذه الجماعة، ويشعر بالتبعية، والارتباط بقيم مشتركة، هذا بالإضافة إلى عمليات التدريب والتعليم المشترك بين أفراد الجماعة، بما في ذلك الاشتراك بالطعام والشراب والملبس والمسكن (مكان النوم)، والاشتراك بالأنشطة، والمهام، هذا عدا الصداقات، واكتساب المعايير الاجتماعية السائدة داخل الوحدة. ومن خلال الجماعة يتعرف الفرد على سماته الشخصية، وقدراته، ويستمد الرضا والمحبة والمتعة من عمله داخل الجماعة، وينمو لديه التفكير والقدرة على التعبير، وعلى التعاون وحل المشكلات، ومن خلال الجماعة يكتسب الفرد الاتجاهات والميول التي تتغير، وتتعدل، ويشعر الفرد بالاعتزاز بالمشاركة الجماعية، وبتحمل المسؤولية، وتحقيق المكانة الاجتماعية بين أفراد الجماعة، مع الإحساس بالأمن والطمأنينة، وتسمى الجماعة التي يرجع إليها الفرد بالجماعة المرجعية، وهي الجماعة التي ينتمي إليها، التي تحدد الإطار المرجعي والفكري لسلوك الفرد.

وتزداد قوة توحد الفرد مع جماعته لتحقيق أهداف مشتركة، كما تزداد قوة توحد الفرد مع جماعته كلما زادت مكانة الجماعة في إدراكه، وتكرر تفاعله

مع أفراد الجماعة، وزيادة عدد الحاجات الفردية المشبعة من قبل الجماعة، وزيادة مقدار التعاون، وقلة مقدار الصراع والتنافس. إن التوحد مع أنا الجماعة يزيد من قدرة الفرد على تحمل القلق والمخاوف والتوترات... مما يضعف مقاومة الفرد، ويحرر الأفكار والرغبات الداخلية. إن أفراد الجماعة يقتدون ببعضهم، ويشدون أزر بعضهم البعض، ولم يعد كل فرد يشعر بفرديته، أو بأناه، معزولاً عن جماعته التي ينتمي إليها، فالعمل والتدريب والأنشطة كلها جماعية، وهذا ما يجعل كل فرد ينصهر داخل جماعته، ويستمد إرادته، وقوته، وشجاعته ليس من ذاته فقط بل من خلال جماعته. وفي مجال الحرب إذا جرح أحدهم أسرعوا إلى نجدته، وإذا استشهد نقلوه على أكتافهم، لهذا، وكما يقول الباحثون في علم النفس العسكري، إن أنا الجماعة أقوى من أنا الفرد، وإن الله مع الجماعة دائماً، لهذا يمكن القول بأن كل فرد في الجماعة يتعلم ويتدرب ويمارس أنشطة، ويقاتل أثناء الحرب بشكل فردي جماعي، أي يستطيع المواجهة بمفرده أو في إطار جماعته، وقد رأينا على أرض الواقع عمليات الكر والفر لأطفال الانتفاضة الذين يواجهون الدبابات والمدافع بشكل جماعي وبدون خوف من المواجهة، وكذلك أبطال حزب الله في لبنان الذين برهنوا، على قلّتهم، بأن هذه الجماعات القتالية المنظمة والمتعاونة بإمكانها التغلب على أحدث التقنيات العسكرية وأعلى التدريبات القتالية في جيش العدو الصهيوني (إقرأ عن سيكولوجية أطفال الانتفاضة في فلسطين)، وعندما يستمر أفراد الجماعة مع بعض وفي نفس الظروف لحد ما، وتتكرر عملية التفاعل سواء في ظروف السلم أو ظروف الحرب، ويتم تمايز الأدوار، وتضافر الجهود... تقوى الجماعة ويصبح لديها بناء قوي من القدرة والكفاءة الذاتية والجماعية، مما يرضي كافة الأفراد، ويزيد من تطوير العلاقات الاجتماعية، ومن وسائل التواصل، ومن القوة الاجتماعية للجماعة، أي من قوة السلطة النسبية للأدوار الجماعية، مع تحسين ما يسمى بالحراك الاجتماعي (وهو إمكانية انتقال الأفراد من مركز لآخر)، وعادة يتم الكشف عن مدى قوة بناء الجماعة والعلاقات الاجتماعية، عن طريق المقاييس السوسيومترية (Sociometric) وذلك على النحو التالي:

البناء السوسيومتري للجماعة (Sociometric Test)

إن طبيعة العلاقات المتبادلة والتفاعل الاجتماعي بين أفراد وحدة أو مجموعة ما (فصيلة، سرية، كتيبة، لواء، فرقة، جيش. . .) أمر مهم جداً وخطير في مجال أداء المهام أو تحقيق الأهداف، وفي معظم جيوش العالم تقوم مراكز الدراسات العسكرية بالعديد من الأبحاث لمعرفة مدى قوة هذا التفاعل، أو هذه العلاقات بين أفراد الجماعة، أي معرفة مدى التجاذب والتعاون والمحبة والتكامل. . . أو مدى الرفض والتنافر والكراهية وغير ذلك، وأحياناً نجد أن في داخل الجماعة، جماعات أصغر يرتبط أفرادها ببعض بدون أن ترتبط هذه الجماعات الأصغر ببعض، وقد نجد داخل كل جماعة عضواً أو فرداً يختار شخصاً آخر فقط من بين أفراد الجماعة، وقد يكون داخل الجماعة مواقع مركزية أو طرفية منعزلة، وقد نجد جماعة يتجاذب أفرادها لبعض، بينما جماعة أخرى يسود أفرادها النبذ والرفض، وجماعة ثالثة قد تجمع بين التجاذب والرفض، ولا بد من معرفة أسباب كل ذلك، وتفسير هذه الحالات حتى يتم تصحيح المشاكل أو الأخطاء القائمة وعلى كافة المستويات من القادة إلى الأفراد.

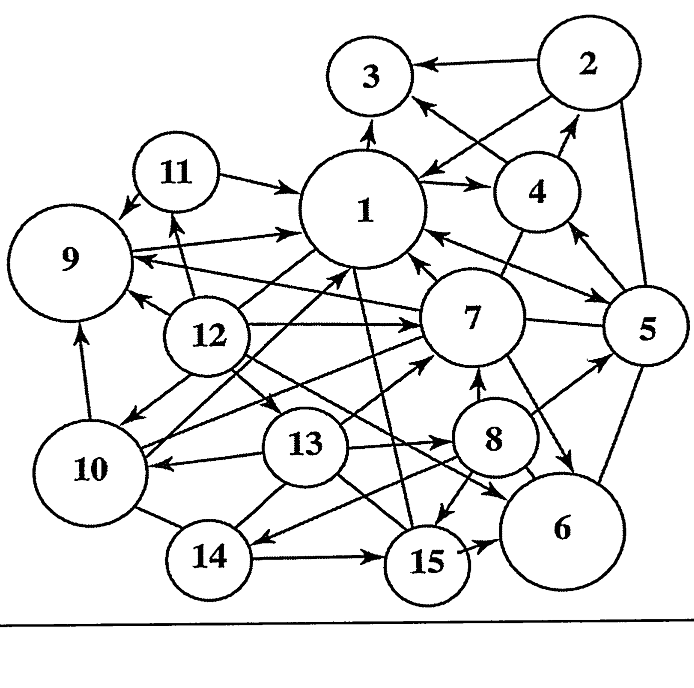
لقد قام العالم الأميركي يعقوب مورينو (Jacob, L. Moreno) (١٩٣٤) في وضع مقياس أو أداة تقدير للعلاقات الاجتماعية داخل الجماعات تعتمد على مبدأ الاختيار (Choice) والرفض (Rejection) داخل الجماعة، ويطبق هذا المقياس على كافة أعضاء الجماعة بحيث يكونون معروفين من قبل بعضهم البعض، وكان يطلب من كل فرد (حتى من القادة والرؤساء) أن يختار، وبكل صدق وموضوعية وبشكل سري، عدداً من أفراد جماعته (فرد واحد، إثنان، ثلاثة، أكثر. . .) الأفراد الذين يختار أن يشاركهم (أي الفرد) في مهمة ما، أو نشاط معين يهم الجماعة، ويختار أيضاً عدداً من الأفراد الذين لا يرغب هو في مشاركتهم أو يرفض العمل معهم، ويطلب من فرد في المجموعة أن يكتب اسمه ورقمه على ورقة الإجابة، ويمكن للباحث طرح نوع المهمة أو المشاركة مثل (القيام برحلة، الجلوس معاً في مقعد واحد، القيام بمهمة ما، المشاركة في بحث علمي، المشاركة في دورة تدريبية. . .) ويتم ترتيب الأسماء المختارة أولاً ثم المستبعَدة، ويمكن أن يطلب الباحث

من الأفراد أسباب الاختيار وأسباب الرفض أو الاستبعاد، وبعدها يتم تفريغ كافة الإجابات وتحليلها، ووضعها داخل مصفوفة (Matrix) العلاقات الاجتماعية، حيث يرمز للفرد الذي تمَّ اختياره بإشارة (+) موجب، والفرد الذي تمَّ رفضه بإشارة سالب (ـ)، ثم تجمع درجات القبول، ودرجات الرفض، ونستخلص من ذلك مستوى الشعبية الاجتماعية (Popularity) لكل فرد، ويتم بعد ذلك رسم المخطط الاجتماعي (Sociogram)، ويمكن أن يُعطى للاختيار الأول ثلاث درجات، والاختيار الثاني درجتان، والاختيار الثالث درجة واحدة (+ ٣، + ٢، + ١) وفي حالة الرفض يعطى الأفراد (ـ ٣، ـ ٢، ـ ١) وتمثل الاختيارات بين الأفراد بأسهم (←) يكون الرأس فيها باتجاه الاختيار، وفي حالة الرفض يمكن التمثيل بأسهم حمراء متقطعة (←---)، ويمكن للباحث أن يحني الأسهم حتى لا يتم اختراق بعضها البعض، وقراءة هذه البيانات تعطي صورة واضحة عن طبيعة العلاقات داخل الوحدة، وعن مشاكل الوحدة، كما يمكن التعرف على الأفراد النجوم (Stars) الذين يحصلون على أكبر عدد من القبول ويتمتعون بشعبية كبيرة في الجماعة، ومن هؤلاء القادة الذين يؤثرون تأثيراً إيجابياً في الجماعة، والذين يمكنهم أن يتولوا مسؤوليات كبيرة في الوحدة أو الجماعة، أما الأفراد المنبوذون (Rejected) فيجب علاج وضعهم، وهم غير متوافقين اجتماعياً، ولا يستطيعون تحمل المسؤوليات، ولا بد من مساعدتهم وتوجيههم حتى يتم تحسين أوضاعهم الاجتماعية.

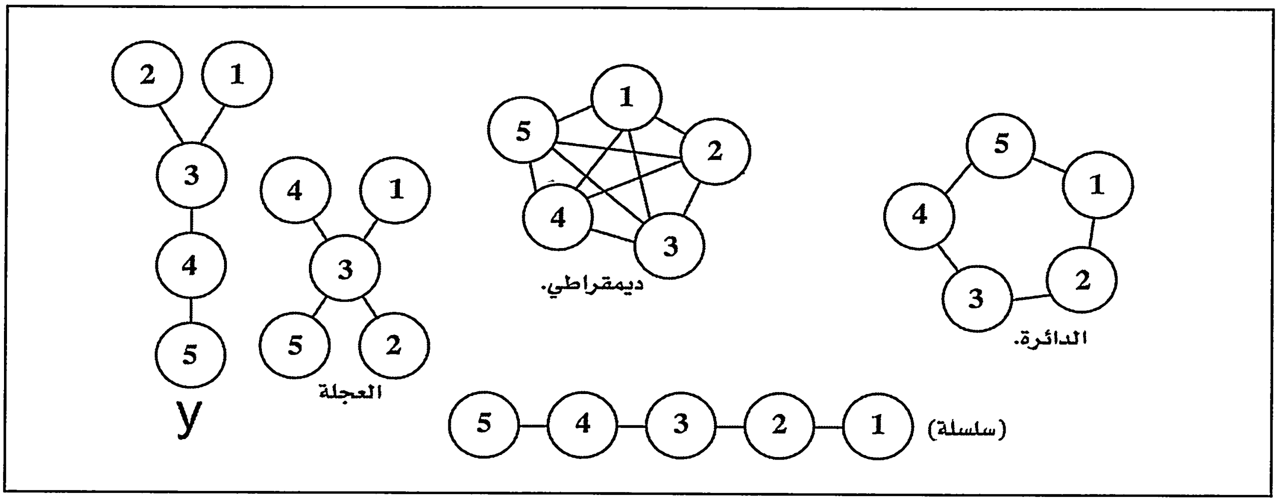
أما الأفراد المعزولون والمتطرفون (Isolated)، وهم الذين لا يحصلون على عملية اختيار أو رفض، يجب مساعدتهم حتى يتم إدماجهم بالجماعة والاستفادة من قدراتهم. . . كما أن الباحث يمكنه معرفة حالات القبول المتبادل والرفض المتبادل، كما يمكنه معرفة الجماعات الفرعية (Sub-Group)، ويمكن لكل فرد في الجماعة حتى القادة تقدير موقعهم أو مكانتهم في الجماعة، ودرجة الشعبية أو التأثير، مما قد يعزز الثقة في النفس ويؤكد الذات، ويزيد من الحماس والدافعية للعمل مع الجماعة، أو العكس. . . أو يمكن للفرد مقارنة توقعاته من حيث مكانته بين الجماعة، وبين الواقع الذي حصل عليه من خلال القياس السوسيومتري، ومعرفة مستوى التباين (Variance)، وهذا مهم من حيث معرفة الشخصيّة، ومفهوم الفرد عن ذاته،

وتستخدم هذه الطرق في المدارس الداخلية، والمعسكرات، ووحدات الخدمات، لمعرفة الصفات الخاصة أو سمات شخصية النجوم، والأفراد المعزولين، ولاختيار أدوار القيادة، والمسؤولين، ولمعرفة مستوى الروح المعنوية، وقد تبيَّن أن العلاقات الانفعالية، والاضطرابات الشخصية، والمشكلات السلوكية تتأثر بعملية الاختيار أو الرفض، وقد وُجد في بعض الدراسات بأن القادة يكونون في الغالب من كبار العمر وفي مستويات علمية عالية بالمقارنة بغيرهم.

يتم التفاعل الاجتماعي عن طريق التواصل الاجتماعي، ويتضمن التواصل مرسِل ومستقبِل واتصال بينهما، والرسالة في الغالب تكون لفظية، والتواصل الاجتماعي يؤدي إلى شبكة الاتصال، وفي مجال القوات المسلحة نجد أن الاتصال بين المراكز والرتب المختلفة يحدَّد على شكل معروف للجميع ويُفرض من القمة، فلا يجوز لأي فرد الاتصال بالقائد إلّا عن طريق التسلل القيادي، وكذلك فإن القائد يبلغ أوامره وقراراته إلى الأفراد عن طريق التسلسل القيادي، أما في الجماعات غير الرسمية فإن الأمر يختلف، ويفترض بجميع الاتصالات أن تكون متبادلة. وقد قام عالم النفس الاجتماعي (Bavelas, A) (١٩٥٣) بدراسة أنماط السلوك الاتصالي بشكل حسابي ووجد أن أنماط الاتصال غالباً ما تأخذ الأنماط التالية الموضحة في الأشكال التالية: أرقام (١١ (١٢).



شكل (١٢) مخطط العلاقات الاجتماعية (Sociogram)



شكل (١٣) (أنماط الاتصال)

يُلاحظ في الشكل السابق رقم (١٢) أن كل فرد يستطيع أن يتصل اتصالاً مباشراً بأي فرد آخر في الجماعة، وهذا النمط يمثل الاتجاه الديمقراطي، وفي حالة الدائرة يستطيع كل فرد الاتصال اتصالاً مباشراً بفردين آخرين، وفي نمط السلسلة يستطيع كل فرد في المواقع المتوسطة أن يتصل بفردين آخرين، وهناك فردان لا يستطيعان الاتصال ببعضهما مباشرة، وفي نمط العجلة يوجد فرد واحد فقط يستطيع الاتصال بكل الأفراد... وفي نمط الحرف (Y) هناك فردان لا يتصلان ببعضهما إلا عن طريق فرد وسيط ثالث... وهكذا (نقلاً عن حامد زهران ١٩٨٤، صفحة (٨٢)).

وعادة يتم حساب المسافات الداخلية في كل نمط، أي حساب مقدار التقارب أو التباعد بين الأفراد، على النحو التالي المبين.

المسافة (س - ص)	المسافة (س - ص)	المسافة (س - ص)	المسافة (س - ص)	المسافة (س - ص)
أ - ب = ٢	ب - أ = ٢	جـ - أ = ١	د - أ = ٢	هـ - أ = ٣
أ - جـ = ١	ب - جـ = ١	جـ - ب =١	د - ب = ٢	هـ - ب = ٣
أ - د = ٢	ب - د = ٢	جـ - د = ١	د - جـ = ١	هـ - جـ = ٢
أ - هـ = ٣	ب - هـ = ٣	جـ - هـ = ٢	د - هـ = ١	هـ - د = ١
المجموع = (٨)	المجموع = (٨)	المجموع = (٥)	المجموع = (٦)	المجموع = (٩)

حساب مجموع المسافات الداخلية في نمط الاتصال (Y)

(٨ + ٨ + ٥ + ٦ + ٩ = ٣٦)

واقترح العالم بافيلاس حساب ما أسماه بالمركزية النسبية للفرد، وهي تساوي

$$\frac{\text{مجـ م س} \times \text{ص}}{\text{م س} \times \text{ص}}$$

حيث أن م = المسافة بين س وص من الأفراد.
مجـ = مجموع: وفي مثالنا مجموع م. س، ص. = (٣٦)

والمراكز النسبية في حالة الفرد أ = $\frac{٣٦}{٨}$ = ٤,٥
ب = $\frac{٣٦}{٨}$ = ٤,٥
جـ = $\frac{٣٦}{٥}$ = ٧,٢
د = $\frac{٣٦}{٦}$ = ٦
هـ = $\frac{٣٦}{٩}$ = ٤

يُلاحظ أن الفرد (جـ) حصل على نسبة عالية، مما يشير إلى الكفاءة في العلاقات والتفاعل الاجتماعي داخل المجموعة، ثم الفرد (د)... وهكذا. وتبين بأن تحليل أنماط الاتصال بين الأفراد والجماعات يكشف عن وجود اختلافات في السلوك الاجتماعي من حيث النشاط ورضا أعضاء الجماعة، وظهور القادة، وسرعة حل المشكلات، ونمط الاتصال يحدد إمكانية وصول الفرد إلى مركز القيادة، والرضا عن العمل مع الجماعة، ومدى إسهام الفرد في نشاط الجماعة، وقد لوحظ بأنه عندما تتوزع النسبية المركزية بالتساوي بين أعضاء الجماعة فإنه لن تكون هناك قيادة، وسيكون هناك نشاط أكبر ورضا أكبر، وفي نفس الوقت تكون هناك أخطاء أكثر، وبالنسبة للأفراد الذين تكون مركزيتهم النسبية طرفية وأقل من غيرهم فإنهم يكونون أتباعاً، والأنماط التي تحتل مراكز وسطية يزداد احتمال النظر إليهم كقادة، ويكون

التنظيم أكثر استقراراً، كما تقل فيه أخطاء العمل، إلّا أنه، في نفس الوقت، يهبط مستوى الروح المعنوية مما يؤثر في استقرار الجماعة، وكذلك فإن الأفراد الذين يحتلون مراكز طرفية تضعف لديهم الروح المعنوية لدرجة كبيرة، وإن عدم التبادل في الاتصال مؤشر على وجود عدوان لدى المرسَل إليه. وتظهر عادة قوة الجماعة من خلال القوة الشرعية (قوة التأثير)، وقوة الإلزام، وقوة الإثابة والعقاب، وقوة الاحترام، وقوة الخبرة العلمية، وقوة المكانة الاجتماعية، ومستوى الأداء. وقد وجد في بعض الدراسات، أن قوة الجماعة تؤثر في اتخاذ القرارات، فقد أُجريت دراسات في سلاح الطيران، وكانت الجماعة تتكون من طاقم طائرة مقاتلة، (قائد الطائرة، وملاح جوي، والمكلَّف بإطلاق النار من مدافع الطائرة)، ووجد بأن اتخاذ القرارات في المشكلات يتفق مع قوة التأثير في الجماعة. وللجماعة قدر من التماسك والمناعة (Group Cohesion)، وهي عبارة عن القوى الناتجة والتي تجذب الأفراد نحو الجماعة، ويتجلى التماسك بعدد المرات التي يستخدم فيها أعضاء الجماعة في أحاديثهم كلمة (أنا) أو كلمة (نحن)، وكذلك العبارات المعبرة عن الرضا أو عدمه، بالإضافة إلى وجود مقاييس للصداقة حيث تُعطى درجات للصداقة مثل:

١ ـ أعز أصدقائي	(٥) درجات
٢ ـ صديقي	(٤) درجات
٣ ـ بين ـ بين	(٣) درجات
٤ ـ ليس صديقي	(٢) درجتان
٥ ـ أكرهه	(١) درجة واحدة

وأُجريت دراسات على طلبة الجامعة السكن الداخلي (المدينة الجامعية)، ووُجد بأن المسافات بين المساكن، ومواضع السلالم، وصناديق البريد وغير ذلك تُحدِّد الأشخاص الدين يتعرف عليهم الفرد، ووُجد بأن الوحدات السكنية على شكل حرف (U) يقل عدد الأصدقاء في جهاتها المفتوحة على الفناء الخارجي بمقدار النصف، وكذلك تماسك الجماعة في أوقات الأزمات، والحالة الانفعالية لأفراد الجماعة، ومدى الإسهام في نشاط الجماعة، والانضمام الاختياري للجماعة، وقد ثبت بأن عوامل إشباع

حاجات الفرد، والمكانة داخل الجماعة للفرد، والتعاون وازدياد التفاعل، واللافردية، والخصائص المحببة للجماعة، مثل الوفاق، الجو الديمقراطي، الرضا على المعايير وغيرها. . .

قياس التفاعل الاجتماعي (Social Interaction)

التفاعل الاجتماعي هو أهم عناصر العلاقات الاجتماعية، ويتضمن إدراك الدور الاجتماعي وسلوك الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي التأثير المتبادل لسلوك الأفراد والجماعات، ويمكن القول إن التفاعل الاجتماعي هو عملية يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقلياً ودافعياً وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف وما شابه ذلك، أو ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر ويحدث نتيجة لذلك تعديل السلوك. وللتفاعل الاجتماعي أنماط، تفاعل محايد، وتفاعل إيجابي، وتفاعل سلبي، ويجب أن يكون الأفراد أسوياء، وراشدين، والأفراد على مستوى معقول من التعليم، وأن تكون هناك مشكلة محدَّدة، وأن تكون قابلة للحل خلال فترة المناقشة. ويقاس التفاعل الاجتماعي بعدة طرق مثل: تسجيل عدد الاتصالات من كل عضو من أعضاء الجماعة، وزمن الاتصال بالنسبة لكل فرد، وتكرار كلمات وعبارات تستخدم في الاتصال، وتحليل التفاعل اللفظي مثلاً: لفت النظر، طلب معلومات، تقييم للموقف، المساعدة، المجادلة. . . وقياس الهدف من التفاعل مثل: السيطرة، الاعتماد، العدوان، التنفيس. . . وتحليل الشخصية من خلال التفاعل مثل: المعارضة، تقديم اقتراحات أو ملاحظات، إظهار التوتر، إظهار التماسك. ومن الاختبارات التي وضعها (Gulley. H.E.) عام (١٩٦٨) لتقييم التفاعل الاجتماعي ما يلي:

١ ـ تعليمات للأفراد.

٢ ـ بيانات عامة.

٣ ـ الإجابة عن الأسئلة التالية:

١ ـ إلى أي حد يسمح مناخ الجماعة بحرية الكلام؟

ـ هل الجو غير رسمي وغير جامد؟

ـ هل يشارك كل عضو في التفاعل؟

ـ هل يستجيب الأعضاء لاشتراك الأعضاء الآخرين في المناقشات بطريقة تشجعهم على الاشتراك في المناقشة؟

ـ هل تستجيب القيادات لاشتراك الأتباع في المناقشة بطريقة تشجعهم على الاستمرار في المناقشة؟

ـ هل الظروف المحيطة مشجعة على التحمس للكلام والمناقشة والتعبير عن الأفكار؟

ـ هل الأعضاء متحمسون لموضوع المناقشة والمشكلة التي يدور حولها التفاعل ويرون بأن المشاركة مجدية؟

٢ ـ إلى أي حد يعتبر الأعضاء مؤتلفين؟

ـ هل يعتبرون أصدقاء؟

ـ هل يستمتعون بالحديث لبعضهم البعض؟

ـ هل يبتسم الأعضاء بين الحين والآخر عندما يتناقشون؟

ـ هل يسلك الأعضاء بطريقة ودية تبعث على الاطمئنان إلى بعضهم البعض؟

٣ ـ إلى أي حد تعمل الجماعة كوحدة متماسكة؟

ـ هل هناك مساعدة متبادلة بين الأعضاء؟

ـ هل يعتمد الأعضاء بعضهم على البعض للتعاون والمساندة؟

ـ هل تسود روح الجماعة وتغلب على الفردية؟

ـ هل يهتم الأعضاء بجذب المخالفين ودمجهم في قلب الجماعة؟

ـ هل يهتم الأعضاء بمصالح الجماعة أكثر من اهتمامهم بالمصلحة الشخصية؟

ـ هل يبدو أعضاء الجماعة متعاونين أكثر منهم متنافسين؟

٤ ـ إلى أي حد يسود التفاعل الاجتماعي السليم؟

- هل يسهم الأعضاء إسهاماً كبيراً ومفيداً في التفاعل الاجتماعي؟
- هل يوجه الاتصال إلى الجماعة ككل؟
- هل الأعضاء مستمعون جيدون؟
- هل الاشتراك في التفاعل يتعلق بما سبق ويبنىٰ عليه؟

٥ ـ هل لدى الفرد في الجماعة اتجاهات تعاونية؟

- هل ينظر إلى المشكلة بطريقة موضوعية؟
- هل يتفاعل مع الأعضاء الآخرين بطريقة موضوعية؟
- هل يتعاون كجزء من الجماعة؟
- هل يناقش بحماس؟

٦ ـ هل يشترك الفرد ويُسهم إسهاماً بناءً في المناقشة؟

- هل لديه معلومات كافية؟
- هل هو متيقظ ومنتبه طوال الوقت؟
- هل يجيب أكثر مما يسأل؟
- هل يعطي معلومات عندما يُطلب منه ذلك؟
- هل يفكر تفكيراً منطقياً؟
- هل يبني تفكيره ويرتبه على ما انتهى إليه تفكير الآخرين؟
- هل هو واثق من مناقشاته؟

٧ ـ هل لغة الفرد في المناقشة واضحة ومعبِّرة؟

- هل كلامه واضح ودقيق؟
- هل كلامه مركز على الموضوع؟
- هل كلامه منصف للآخرين؟
- هل كلامه يعتمد على خبرة ودراية في الموضوع؟

٨ ـ هل الفرد يساعد قائد الجماعة؟

ـ هل يعمل من أجل تماسك الجماعة؟
ـ هل يعمل على جمع شمل الجماعة والوصول إلى الهدف؟
ـ هل يمتنع عن التدخل في اختصاصات القائد؟

٩ ـ هل الفرد يراعي أخلاقيات التفاعل الاجتماعي؟

ـ هل يمتنع عن التحريف والتضليل؟
ـ هل يمتنع عن توجيه دفة النقاش حسب أغراضه أو مصلحته الشخصية؟
ـ هل يتكلم ويفكر باحترام وعدل؟

وتتم الإجابة عن هذه الأسئلة (بنعم)، إذا كانت العبارة تنطبق على الجماعة أو على الفرد، والإجابة (بلا)، إذا كانت العبارة لا تنطبق على الجماعة أو على الفرد. وتُعطى درجة لكل إجابة (بنعم)، ودرجة صفر للإجابة (بلا)، والدرجة المرتفعة تشير إلى مستوى تفاعل اجتماعي إيجابي (ممتاز، جيد، وسط أو عادي، ضعيف، ضعيف جداً)، ويتم بعد ذلك تحليل هذه الدرجات الخام وتفسيرها.

علم النفس الاستخباراتي

العاملون في الميدان الاستخباراتي والمحللون عليهم أن يكونوا في حالة وعي لذواتهم حيال عملياتهم الذهنية وأحكامهم العقلية، إذ لا بدَّ لهم أن يفكروا كيف بإمكانهم صنع أحكامهم والوصول إلى النتائج وليس الأحكام والنتائج بحد ذاتها. إن الضعف والتحيزات العادية في عمليات التفكير البشري بالإمكان التقليل منها والتخفيف من تأثيراتها بالتطبيق الواعي للأدوات والتقنيات الخاصة بهذا الأمر، ونحن عندما نتكلم عن تحسين الذهن والفكر فإننا نشير إلى اكتساب المعلومة أو المعرفة أو نمط الأفكار الذي يمتلكه الفرد، ولا نشير إلى وظيفة الدماغ (الوظائف العقلية للدماغ)، وعندما نتكلم على التحليل الاستخباراتي فإننا نشير إلى نوعية ما يُكتب (في التقارير) ونماذج من تحليل النتائج، والعلاقات بين المحللين الاستخباريين، مع الانتباه إلى عملية كيف يفكِّر المحللون.

إن التفكير التحليلي والناقد هو مهارة (Skill) يتعلمها الإنسان، وتتحسن بالتدريب والممارسة، ومن خلال بذل الجهد وزيادة الخبرة يتمكن المحللون من إنجاز مستوى أعلى من المستوى العادي أو الطبيعي. إن الركض المنتظم يزيد من التحمل ولكنه لا يحسِّن التكنيك بدون توجيه من خبير، وخاصة لتعديل أو تغيير العادات التحليلية الموجودة منذ زمن بعيد، ومن أجل تحقيق مستوى متطور من التحليل.

ان هيئة التعليم الاستخباراتية التي تساعد المحللين المبتدئين تقوم بصقل قدراتهم التحليلية، وهذه الهيئة تكون متممة لتعليم الصف، وكلنا يعلم أن التعلم الناجح يعتمد على الدافع (Motive) وعلى الحافز (Incentive)، وأفضل المحللين في وكالة المخابرات الأميركية ومكتب التحقيق الفيدرالي (FBI) وأكثرهم تطوراً ونمواً لمهاراتهم (The Skills) هم الذين مروا بخبرة تحليلية فاشلة أو خاطئة في بداية عملهم، فالفشل حفَّزهم ودفعهم لأن يكونوا أكثر وعياً بذواتهم تجاه الكيفية التي من خلالها يمارسون عملية

التحليل وشحذ عملية التفكير لديهم (التعلم بواسطة المحاولة والخطأ)، من أجل تحقيق مستوى أفضل من الأداء.

إن البرامج المعدة لهذا الغرض تظهر أن الناس يصنعون أحكامهم بالاعتماد على معلومات غير كاملة أو غامضة أحياناً، (التسرع بالأحكام أو اتخاذ القرارات، أو الأحكام المسبقة. . .) والبرنامج يقدم أدوات بسيطة، من أجل تطوير المهارات التحليلية حتى تكون أكثر موضوعية وواقعية.

إن هذه المقدمة من أجل أن نتعرف على بعض الحدود الموجودة فطرياً في العمليات والوظائف العقلية الإنسانية[١]، بالإضافة إلى الإشارة إلى بعض الأدوات أو المقاربات من أجل التغلب على هذه الحدود أو القصورات في عملية التفكير والوظائف العقلية. إن أول من طرح مفهوم العقلانية المحدودة هو العالم هربرت سيمون، الذي قال إن العقل، بقدراته، لا يستطيع التعامل تعاملاً مباشراً مع العالم المعقَّد، ولكن الإنسان، وبأسلوب تعليمي، يقوم ببناء نموذج عقلي مبسَّط (حل مشكلة ما) من الواقع، ومن ثم يتم التعامل مع هذا الأنموذج البسيط عقلياً ضمن محدودية العقل، ولكن هذا النموذج هو ليس دائماً جيد التكيف إزاء متطلبات البيئة ومشاكل العالم الواقعي المتعددة والمحيطة بالإنسان، ولأن هذا النموذج غير شامل، إنه جزئي، لأنه يشمل على موقف محدد، وكذلك فإن قدراتنا العقلية المحدودة لا تقدِّم لنا الكثير عن هذا الموقف ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء/ ٨٥]، (كل ابن آدم خطَّاء).

إن الكثير من الأبحاث العلمية في إطار الوظائف العقلية، مثل بحوث الإحساس، والإدراك، والذاكرة، والانتباه، والتفكير. . . أكَّدت على حدود قدراتنا العقلية، وكذلك أكدت على ضرورة فهم العدسات الخاصة للإنسان والتي تم من خلالها المعلومات والخبرات مثل النماذج العقلية، أو

---

(١) الوظائف العقلية والمعرفية التي يقوم بها الدماغ البشري (The Brain) مثل: (التعلم، الفهم، التعرف أو الإدراك، الانتباه، التصور والتخيل، التفكير، اللغة والرموز، الذاكرة، التفكير التباعدي، التفكير التقاربي، الإغلاق، التمييز، التحليل، التركيب المقارنة، الذكاء، الاقتران، التشابه، التغاير، التكرار، التضاد، الوضوح والشدة، العلاقات، التصنيف، الإبداع والسلوك. . .).

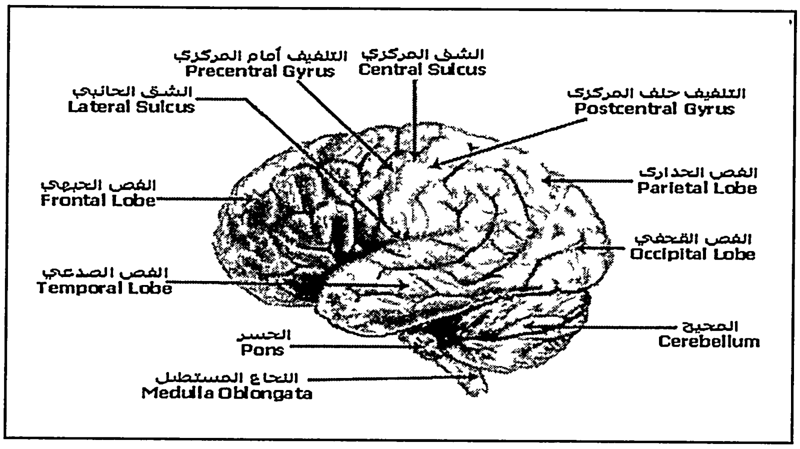
الافتراضات أو جهاز الذهن بما في ذلك الخبرات السابقة، والمعتقدات، والبنية المعرفية[١]، والتفسيرات، والتصورات العقلية وغيرها (راجع علم النفس السلوكي وعلاج حالات القلق والوسواس والمخاوف، للمؤلف، دار العلم للملايين، بيروت (٢٠٠٥م)).

والافتراض التحليلي (Analytical Hypotheses)، (أي القدرة على التنبؤ أو التوقع والكشف عن العلاقات بين السبب والنتيجة، وملاحظة ما يطرأ على المتغير التابع بسبب التأثير في المتغير المستقل) هو جزء من القدرات العقلية المبني على خبرات سابقة، وبعض التصورات العقلية، مع الإشارة إلى التحيزات الناجمة عن الكيفية التي يعمل بها العقل، لذلك يُنصح أو يتعين على المحللين الاستخباريين أن يعرفوا أنفسهم وذواتهم وقدراتهم بما فيها من إيجاب وسلبيات وذلك قبل أن يعرفوا الآخرين، أو يجمعوا معلومات حولهم... لهذا فان التدريب مطلوب لهذا الغرض، من أجل تحقيق ما يلي:

١ ـ زيادة وعي الذات بالمشكلات الأساسية التي يدرك الناس بها وضع الأحكام التحليلية الخاصة بالحوادث الخارجية، كيف يفسِّرون، وما هي معتقداتهم، حول هذه الأحداث، وهذا ما يزيد الثقة بالنفس والقدرة على

(١) إن الإنسان، من خلال مواقف الحياة المتعددة والمحيطة به، يضطر إلى التفكير بطريقة معينة، وعليه تفسير أو ترجمة هذه المواقف إلى أفعال أو سلوكات خارجية، مثل الإنسان الذي يفكر وينفعل لحل مشكلة ما. والتفكير عادة يتوسط بين هذه المواقف والمثيرات البيئية والشخصية وبين ردود الفعل أو الاستجابة لهذه المواقف، وأحيانًا تكون تفسيرات الإنسان وأفكاره خاطئة أو محدودة، فهي تؤدي إلى ضعف في الأداء أو إلى الاضطراب، لهذا لا بد من تعديل جهاز الذهن والبنية المعرفية حتى يتم تعديل سلوك الإنسان ومستوى الأداء لديه، وقد تبين للعالم الأمريكي ألبرت إليس وغيره من العلماء بأن طريقة إدراك وتفكير الفرد في المواقف أو المهمات هي المسؤولة عن مستوى الأداء، وعن الصح والخطأ، ولا شك أن جهاز الذهن يختلف من فرد لآخر، وقدرة هذا الجهاز يتفاوت من حيث المعقولية واللامعقولية، من هنا كان لا بد من عملية التدريب والتوجيه ومناهضة أو تعديل هذه المعتقدات والأفكار في جهاز الذهن، بما في ذلك حديث الذات وتبديل ذلك بأساليب صحيحة ومتطورة تزيد من السيطرة الذاتية، والخبرة، والثقة وتحسن من الأداء ومن القدرة على حل المشكلات بموضوعية وواقعية.

الوظائف العقلية والمعرفية في نصفي كرة المخ وفي نصوص الدماغ

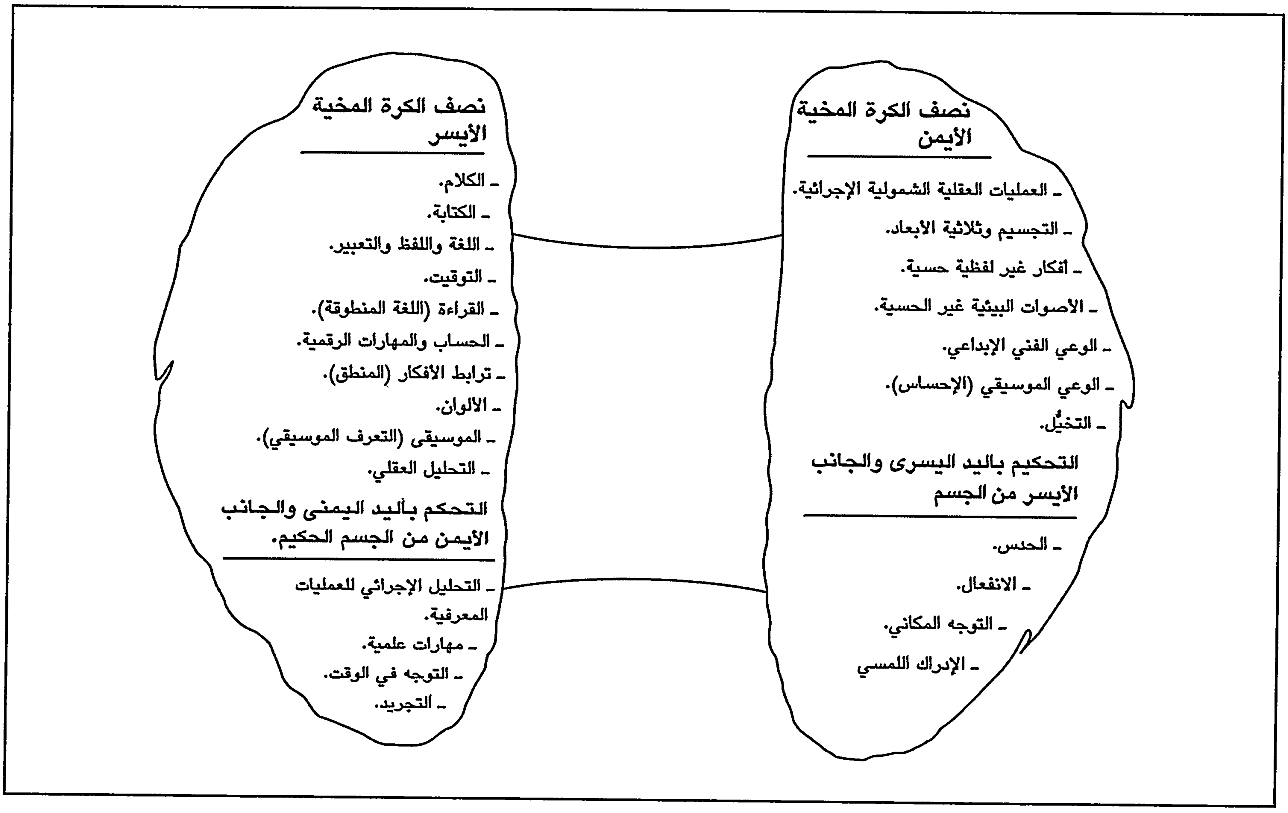


١ ـ الفص الجبهي: (وظائف تنفيذية) سلوكية (انتباه، حكم، تفكير، تقدير، رسم خطط، حدس، بصيرة، حل مشكلات، السلوك الأخلاقي...).

٢ ـ الفص الصدغي: (التفسيرات العامة، الإدراكات السمعية ـ البصرية، التحكم بالاستجابات العدوانية، الحس السمعي، تخزين الذاكرة طويلة المدى...).

٣ ـ الفص الجداري: (الإحساس باللمس والحرارة وبعض الألم، فهم اللغة المكتوبة والمقروءة، إدراك معنى الإحساسات، ذاكرة قصيرة المدى، الأحاسيس المخية...).

٤ ـ الفص القفوي (القحفي): الإحساس البصري وإدراك الألوان.



(الوظائف العقلية والمعرفية في نصفي كرة المخ)

التحليل والاستنتاج. ومعرفة الأخطاء... والتحيزات... وهذا بدوره يساهم في بناء مفهوم ذات[١] واقعي وإيجابي (Positive Self Concept)، وفعال.

٢ ـ التدريب والممارسة، أي التعليم في الإجراءات التنظيمية، والتقنيات المنهجية، أو المواضيع الحقيقية، ومزيد من زمن التدريب يجب أن يكرس للعمل الذهني للتفكير، والتحليل العقلي، ومن السهولة بمكان الافتراض، وهذا خطأ، لأن المحللين يعرفون كيف يحللون بعد عمليات التدريب ومراجعة عمليات التفكير والقدرة على الاستبصار (Insight)[٢] المتضمنة في التحليل الاستخباراتي.

---

(١) إن المؤثرات الثقافية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد تؤثر عليه، وتربطه ببيئته، ومفهوم الفرد عن ذاته يتكوّن في اللحظة التي يكتشف الطفل فيها جسمه، إنها تُبنى من خلال أفكاره ومشاعره وأعماله وخبراته... ويرى العالم إريك إركسون أن الفرد يمر بعدة عقبات ومشاكل خلال حياته وفي طريق تأكيد ذاته، فالفرد في صغره يتولد لديه الإحساس بالثقة أو بعدم الثقة بالآخرين، وذلك حسب كون حاجاته أُشبعت أم لم تُشبع، ويميل إلى الاستقلال والاعتماد على النفس تدريجياً، وقد يجد الفرد ثواباً أو عقاباً أو عدم تقبل ما يصدر عنه، وقد تنتابه بعض الشكوك، وهذا يخلق لديه إمّا الحماس للعمل، أو الانعزال أحياناً. والفرد قد ينجح أو يفشل في تكوين علاقات قوية مع الآخرين، وبسبب هذه الخبرات والتجارب يبدأ الفرد بوعي ذاته وتحديدها، وتحقيقها من خلال الخبرات التي يكتسبها عن طريق التربية والتعلم والتدريب والثواب والعقاب... مما يجعل الفرد يصل إلى وعي ذاته بما فيها من قدرات ونقاط قوة أو ضعف، ويكوِّن مفهومه عن ذاته الإيجابي أو السلبي بما في ذلك مدى الثقة بالنفس. ومفهوم الذات عرضة للتغيير والتحسين وهو يلازم الإنسان، ويسيِّر أعماله، وسلوكياته مع الإحساس بالثقة بالنفس والقدرة على التكيف.

(٢) إن التدريب يعتمد على التعليم والفهم وبناء الروابط، مع أهمية وجود المعنى في المواد المتعلمة ومعرفة النتائج (Feedback)، وعلماء النفس المتقدمون يؤكدون على أهمية الإدراك وعملية الاستبصار في التعلم والتدريب أكثر من التأكيد على نظرية العادات والمثير والاستجابة. لقد تبين لعلماء نفس الجشتالت من خلال تجاربهم على القردة والإنسان أهمية الاستبصار في مواجهة وحل المشكلات، ووجدوا أن التعلم الإنساني وجهاز الذهن يعتمد في عمله على الاستبصار، فالإنسان، بعد عملية تأمل وإدراك العلاقة بين الأجزاء أو المعطيات، يمكن الوصول إلى الهدف (قانون الكل لا يساوي مجموع الأجزاء حسابياً). إن الاستبصار يعْتمد على الخبرة السابقة، وهو يقوم على التفكير وعلى تنظيم الموقف الذي توجد فيه المشكلة، والخبرة السابقة ضرورية ولكن لا تضمن حل المشكلة لوحدها، ويمكن للحل، الذي تم التوصل إليه عن طريق الاستبصار، أن يستخدم في مواقف جديدة، والاستبصار هو إدراك للعلاقات الذي يوصل للهدف، ويعتمد على التحليل العقلي.

٣ ـ إن من مساوئ جهاز الذهن والمعتقدات... أن تلوِّن من مدركاتنا (العوامل الذاتية)، والقاعدة الأساسية هو أننا لا نرى العالم أو الواقع كما هو، بل كما نحن عليه وحسب إدراكاتنا(١)، إلى الحد الذي نجد فيه الاختصاصي المتمرس والخبير قد يكون آخر من يعلم ماذا يحدث فعلاً عندما تأخذ الحوادث مساراً غير متوقع(٢). ان من مزايا جهاز الذهن أنه يساعد المحلِّلين في الحصول على نتائج خارجة عن الزمن المحدد وجعل الأشياء تسير سيراً فعالاً.

لقد كان القليل من الجيل السابق من المحلِّلين الاستخباريين يتمتعون

---

(١) الإدراك هو التعرف على الإحساس، وهو عملية تنظيم وتفسير المعلومات الحسية عن طريق ربط هذه المعلومات بنتائج خبرة سابقة (الذاكرة)، والإدراك الحسي يتضمن الماضي والحاضر وما هو خارجي وداخلي، وهو نتاج لتفاعل عملية تعلُّم سابقة مع منبهات فيزيقية، والإنسان يُفسِّر، تلقائياً، المعلومات الواردة عن طريق الحواس والمثيرات، وإن إدراك الشكل الكلي يختلف عن إدراك الأجزاء، والإدراك يقوم بتجميع المعلومات الحسية وتنظيمها بشكل متكامل، وإدراك الإنسان يكون من خلال الزمان والمكان، وحاستا البصر والسمع تقدمان أكبر خبرة إدراكية. إن الخبرة الإدراكية تدوم، والإنسان يفكر في الأشياء في الأماكن التي تمَّ إدراكها وكشيء شبه ثابت نسبياً. إن صاحب السيارة الزرقاء يدركها زرقاء في وضح النهار وفي الظلام (الذاكرة البصرية...) وكذلك يوجد ثبات الحجم، والشكل، واللون والمكان والموقع... وهناك فرق بين الحجم المنظور، والحجم الحقيقي أو الواقعي، إننا ندرك الأشياء وكأنها ثابتة أو مستقرة في مكانها، وكل ذلك يعتمد على خبراتنا السابقة، وعادة تُدرك الأشكال على خلفيات (Background)، وهناك أخطاء للإدراك وخداعات بصرية (Visual Illusions) الخاصة بالأشكال الهندسية، وأخطاء الحركة الظاهرية، والحركة الدورانية (ظاهرة فاي)، والإدراك يتم بشكل انتقائي، والإنسان لا يستجيب إلى المثيرات خارج إدراكه أو خارج خبرته. ويرى العلماء أن هناك إدراكاً فوق حسي (ESP) (Extra Sensory Perception)، مثل حالات التخاطر، والباراسيكولوجي، وبُعد النظر، أي رؤية الأشياء المستقبلية (Precognition)، والحدس، وتأثير الطاقة على جسم مادي، (Psychokinesis) (PK) مثل تمني الشيء يجعله يحدث، بالإضافة إلى الحاسة الداخلية والإدراك الداخلي للألم وللجوع وغير ذلك.

(٢) التوقع هو اعتقاد مؤقت بأن ناتجاً ما سوف ينجم عن سلوك معين، ولكن الناتج لا يتسق بالضرورة مع التوقع، لذلك يوجد تباين بين الواقع والتوقع، وهذا التباين يكون مفرحاً أو مؤلماً وذلك حسب درجته، والدرجة البسيطة من التباين تحفز السلوك، والدرجة العالية تثبط السلوك، والتوقعات في الحياة تتغيَّر حسب النجاح والفشل، وهذا له علاقة بالطموح.

بالقدرة على وعي الذات (Self Awareness)، وكذلك يتمتعون بالاستبطان[١] (Introspection) حيال العملية التي يقومون بتحليلها، والتي تفرض على المحللين إدراك الأشياء بدقة وموضوعية مع ضرورة النظر إلى الحقائق، وإزالة جميع التحيزات والأحكام المسبقة من أجل حكم موضوعي سليم. أما اليوم فقد اختلف الأمر، وأصبح على المحللين الاستخباريين أن لا يقتربوا من مهامهم بعقول فارغة أو إدراكات خاطئة، إذ يبدؤون بمجموعة من افتراضات حيال كيف تكون الحوادث تترشح بشكل طبيعي في المجال المسؤولين عنه، كما أنهم بدأوا يخدشون سطح تضميناتهم، أي تفسيراتهم ومدركاتهم وتحليلاتهم (نقد ذاتي)، وللحصول على مزيد من المعلومات حتى ولو كان لدى المحللين الكثير منها. إن كثيراً من المفكرين طبقوا هذه الاستبصارات النفسية لدراسة السلوك السياسي العالمي، كما أنهم كتبوا عن فشل الاستخبارات والمفاجئات الاستراتيجية. إن هذه الموضوعات تنظر إلى المشكلات من منظور المحللين الاستخباريين، وليس من منظور صنَّاع السياسة، ومن خلال التجارب في مجال علم النفس المعرفي وليس من تجارب التاريخ الدبلوماسي أو العسكري.

إن موضوع التحليل الاستخباراتي يوضح دور المراقب في تحديد ما هو ملاحظ، وكيف يمكن تفسيره، وأن الإنسان يبني نسخته المعدلة من الواقع (أي التوقع) على أساس المعلومات التي تقدمها الإحساسات، إلا أن هذه الإحساسات يدخل فيها متغيِّر وسيط هو العمليات العقلية المعقدة التي تختار أيَّ المعلومة المناسبة، وكيف يمكن تنظيمها، والمعنى المعزو لها، فما يدركه الناس من معلومات، والكيفية التي يدركون بها تتأثر كلها بالخبرة الماضية، وبالتربية والقيم الحضارية والثقافة وبالمتطلبات والمعايير، وغير ذلك.

---

(١) الاستبطان هو التأمل الذاتي لدراسة الحياة العقلية لدى الفرد، حيث يُطلب من نفس الفرد تحليل عملياته العقلية ووصف مشاعره بموضوعية، والرغبات، والأفكار، والقرارات... وضع هذا النهج في دراسة الأفكار والمشاعر النفسية العالم وليم جيمس، واستمر ذلك حتى عام (١٩١٣) عندما ظهر زعيم المدرسة السلوكية جون واطسون ورفض منهج الاستبطان وبيَّن عيوبه.

ما يحتاجه المحللون عملياً المزيد من المعلومات المفيدة والأكثر وثوقية لمساعدتهم على اتخاذ قرارات صحيحة، وبمعنى آخر هم يحتاجون إلى أنموذج عقلي أكثر دقة وأدوات تحليلية أفضل لمساعدتهم في الحصول على بيانات غير غامضة وغير متناقضة.

إن البحث النفسي يقدم للمحللين الاستخباريين الاستبصارات الإضافية التي تكون أبعد من المنظور المطروح، فالمشكلات ليست محدودة بالكيفية التي يدركها المحللون، فهؤلاء غالباً ما يعملون ضمن جماعات صغيرة، وأحياناً في سياق بيروقراطي كبير، ثم إن المشكلات تبدو ملازمة للعمليات التي تحدث على ثلاثة مستويات، الفرد، والجماعة، والتنظيم أو المنظمة، والمحللون بإمكانهم الملاحظة والحصول على إحساس تجاه المشكلات ضمن الجماعة الصغيرة، أو على المستوى التنظيمي، ولكن يصعب الوصول إلى وعي ذاتي حيال أعمال ذهن فرد خاص به.

نتيجة

إن عملية الإدراك تربط الناس ببيئتهم، وهي عملية مهمة لفهم العالم من حولنا، وإن عملية تحليل الاستخبارات تحتاج إلى إدراك موضوعي دقيق، والأبحاث العلمية في مجال الإدراك البشري برهنت على أن هذه العملية تتعرض إلى مشاكل وأخطاء في الإدراك، وعادة إن الظروف التي يتم من خلالها التحليل الاستخباراتي هي في الغالب التي تكون فيها عملية التحليل الدقيق للإدراك أكثر صعوبة بسبب الخداعات البصرية والعقلية وعمليات الإخفاء والسرية والتمويه... إن الإدراك ليس عملية منفعلة كما يعتقد البعض، أي أننا نرى ونسمع ونشم ونتلمس ونتذوق بالمؤثرات (Stimulus) التي تصطدم بحواسنا، بل إن الإدراك عملية نشطة فعّالة، فهو يركب الواقع وليس يقوم بتسجيله، والإدراك، كما أشرنا سابقاً، يتضمن، بالإضافة إلى الوعي أي عملية استدلال (Deduction) حيث من خلال ذلك يبني الإنسان نسخته الأصلية عن الواقع على أساس المعلومات التي تأتي بها الحواس. إن ما يدركه الإنسان يتأثر، إلى حد كبير، بالخبرة السابقة، والثقافة، والتربية، والقيم الحضارية، والاحتياجات... بالإضافة إلى المؤثرات المسجَّلة من قبل المستقبلات العصبية الموجودة في أعضاء الجسم (Receptors).

وكما ذكرنا، إن الإنسان يميل إلى إدراك ما يتوقع أن يدركه، والمعلومات التي يحصل عليها تتوقف على افتراضاته ومفاهيمه ويشوبها التحريف وفقاً لتركيب البنية المعرفية لديه، أي أن الإدراك يتأثر بما نحن عليه وتدخل في ذلك الأفكار والمشاعر والحالة النفسية (الشعورية واللاشعورية...)، كما يتأثر بتفسيراتنا له، لذلك فإن واقعية الإدراك والمعلومات تتأثر وتختلف من فرد لآخر (وهذا ما يبرهن لنا كيف أن الحرب على العراق قامت على أساس افتراضات وتوقعات أن أسلحة الدمار الشامل موجودة، وأن التقارير التحليلية الاستخباراتية، قامت على نفس الأساس، وقدمت معلومات غير صحيحة تم تشويهها بسبب الافتراضات والتأويلات والتفسيرات التي تم تحليلها وفقاً لإدراكات خاطئة ومشوَّهة تعكس توقعات واتجاهات أو رغبات عند من كتب هذه المعلومات). ولا شك في أن ميل الناس لإدراك ما يتوقعون أن يروه في الشيء المدْرَك أكثر أهمية من إدراك ما يرغبون في أن يروه، ولكن لا نستطيع أيضاً أن ننفي أن الناس ينزعجون من إدراك ما يرغبون في إدراكه.

وهنا نجد التباين بين التوقعات (Expectations) التي تأتي من مصادر مختلفة (خبرة سابقة، وتدريب، وثقافة، ومعايير...) وهذه تجعل المحللين، مسبقاً، يتأهبون للانتباه بشكل خاص إلى بعض المعلومات من دون غيرها، وتأويلها في إطار طرق وأساليب محددة. ويتأثر الإدراك بالسياق العام الذي يتم فيه الإدراك، فالظروف المختلفة تثير مجموعة مختلفة من التوقعات، مثلاً إن الإنسان أكثر استعداداً لسماع وقع أقدام خلفه عندما يسير في زقاق ليلاً، من سيره في طريق أو شارع عام في وضح النهار. إن المعنى الذي يُعزى إلى إدراك صوت خطوات القدم يتغير حسب تغير الظروف، لذلك على المحلل الاستخباراتي أن يكون مؤهَّلاً لإدراك المؤشرات المتعلقة بذلك.

إن أنماط التوقعات تعلم المحللين وبصورة لاشعورية ما يجب التفتيش عنه، وما هو مهم، وكيف يفسِّر ما يراه (أي الإدراك الانتقائي). إن الحوادث والمؤثرات الخارجية التي تطبع في ذاكرتنا لا معنى لها ولكن تفسيراتنا لها هي التي تعطيها المعنى (محمد الحجار (٢٠٠٥م)). هذه التوقعات تستمد من جهاز الذهن ومن الاستعداد المسبق بالتفكير ببعض

الطرق والأساليب، إن هذا الجهاز هو بمثابة العدسات التي يرى الإنسان من خلالها الأشياء الخارجية، ومن خلال جهاز الذهن يتم التفكير بالأمور السيئة الواجب تجنبها. إذن، يمكن القول إن على المحلل أن يكون ذهنه واعياً ومنفتحاً، لا يتأثر كثيراً بالحقائق والتصورات المدركة سابقاً، ولكن قد يكون ذلك صعباً وخاصة لدى غير المتمرسين في التحليل. إن جهاز الذهن لا يمكن تجنبه، ولا توجد طريقة قابلة للإدراك في التعامل مع حجم المؤثرات التي تنقلها الإحساسات، وحجم المعلومات المعقد بدون نوع من المفاهيم المسبقة (Preconception) والتي فيها الجهل أو وهم الذات الموضوعية (Objectivity) بضع قرارات أساسية وتفكير عقلاني واضح. إن جهاز الذهن سريع التشكيل ومقاوم للتغيير والتبديل، والمعلومات يمكن تمثُّلها بالصور والتصورات، وهذا المبدأ يفسِّر لنا لماذا المحلل الاستخباراتي الذي يعمل في مهمة للتعامل مع موضوع ما أو في بلد، ولأول مرة، قد يخلق استبصارات دقيقة يتم تجاهلها من قبل متمرسين تعاملوا مع نفس المشكلة لسنوات. إن الخبرة السابقة قد تعوق المحلل، وتكون مساعدة له في نفس الوقت، وهذا الميل لتمثل معلومات جديدة ضمن صور وخبرات موجودة مسبقاً يتزايد، حيث كلما زاد غموض المعلومات زادت ثقة الفاعل بصدق صورته، وبالتالي أصبح أكثر تمسكاً بالصورة التي شكَّلها، وكلما تعرَّض المحللون إلى الصورة المبهرة غير الواضحة كلما زادت عندهم الثقة بأنفسهم وخاصة تجاه الانطباع البدئي الخاطئ، ولأن لهذا الانطباع الأولي سيترتب عنه إدراكات خاطئة، وعندما تصبح الصورة أوضح فإننا لا نجد تضارباً واضحاً، فالمعلومات الجديدة تتمثل (حسب جان بياجيه) في الصورة والخبرات السابقة، والتفسير الأولي يستمر إلى أن يصبح التضارب واضحاً بصورة يفرض فيها ذاته على الشعور والوعي. إن من عادة الناس أن يشكلوا انطباعاتهم عن الأشياء أو المواقف لأول وهلة وعلى أساس معلومات قليلة جداً، ولكن حالما تتوفر المعلومات فهي لا ترفض ولا يتم تشكيل بديل عنها، فالمحللون يعملون على الحد من التأثيرات غير المستحبة لهذا الميل الفطري من خلال تأجيل القرار حتى يتم توفير معلومات جديدة.

إن الظروف التي يكون من خلالها الإدراك الدقيق أكثر صعوبة هي تماماً الظروف التي يتم تحتها التحليل الاستخباري الذي يتم تدبره، أي التعامل

مع المواقف ذات الغموض الكبير على أساس معلومات يتم تصنيعها تصنيعاً متزايداً تحت وجود ضغط للوصول إلى حكم مبكر، وتعمل الاستخبارات إلى توضيح المجهول، وكما أشرنا سابقاً فإنه كلما تزايد أو تعاظم غموض المنبهات كلما كان التأثير الأكبر لصالح التوقعات والصور المسبقة الوجود على الشيء المدرك، وبالرغم من الجهد للوصول إلى الموضوعية في التقييم للمعلومات فإن المفاهيم المسبقة لدى المحلل الاستخباراتي تكون جاهدة أيضاً في خلق تأثير أكبر على الناتج التحليلي حيث المحلل يتعامل مع معلومات أقل غموضاً. وبما أن المحلل هو الشخص الأول الذي ينظر إلى المشكلات الجديدة في مرحلة مبكرة حينما تكون المعلومات غير واضحة، ومن ثمَّ يتتبع المحلل المشكلة بكونها زيادات إضافية للبيِّنة والصورة تدريجياً تأخذ بالوضوح. إن استقبال المعلومات في تزايدات صغيرة مع الوقت يسهِّل وجهات النظر لدى المحلل، ويسرِّع في تبديل وجهة نظره السابقة.

إن المحلل الاستخباراتي يعمل في بيئة ذات ضغوط قوية يسميها علماء النفس (النهاية المبكرة غير المستكملة) فالمؤسسات الاستخبارية تطلب تحليلاً تفسيرياً خلال مدة أقصاها يومين أو ثلاثة أيام بعد حدوث الحادثة، والنظام الحكومي يطلب من المحلل الاستخباراتي أن يأتي بتشخيص سريع آني أمام معلومات ذات صعوبة كافية، لهذا فإن معلومات ذات أرضية متسعة تكون مطلوبة للوصول إلى حكم يستند على أرضية ثابتة. إن هذا التشخيص يمكن أن يقوم على مفاهيم مسبقة عند المحلل، ومع مرور الوقت، وتلقِّي المزيد من المعلومات فإن نظرة جديدة إلى جميع جوانب المعلومات قد تطرح أو توحي بتفسير مختلف، والتجارب الكثيرة (المخبرية) التي أُجريت حول الإدراك برهنت على أن الأحكام المبكرة تؤثر تأثيراً سلبياً على المعلومات التي تتعلق بمدركات مستقبلية، وعندما يعتقد مراقب أنه يعرف ما يحدث فإن هذا الإدراك يميل إلى مقاومة التبديل، فالمعلومات الجديدة التي يتم تلقيها بشكل متزايد وتدريجي يمكن أن تلائم الصورة السابقة التي شكلها المحلل في ذهنه، وعندما يعمد المحلل إلى الكتابة فإن المحلل والتنظيم (أي المنظمة) يكون لديهما الاهتمام بالحفاظ على التقييم الأصلي.

إن التدبر الحذر (Management) للمعلومات المعقدة يفرض ما يلي:

١ ـ تشجيع النتائج التي تتفق بوضوح مع الافتراضات مع معرفة درجة ومصدر الغموض المتضمن في الاستخلاصات.

٢ ـ دعم التحليلات التي يتم فيها إعادة معاينة المشكلات الجوهرية من أجل تجنب مأزق المقاربة المتزايدة.

٣ ـ الإلحاح على الأساليب التي تعرض وتوضح وجهات النظر البديلة.

٤ ـ تثقيف مصادر المسؤولية والحكم حول حدود قدرات المحلل الاستخباراتي، بالإضافة إلى تحديد مجموعة من التوقعات الواقعية كمعيار للحاكم على الأداء التحليلي.

الذاكرة(١) (The Memory)

الذاكرة هي أحد الوظائف العقلية ـ العصبية ـ المعرفية من وظائف الدماغ، والهامة في مجال التعلم والتدريب والاحتفاظ (Retention) بالتجارب والخبرات والمعرفة، وفي مجال استدعاء (Recalling) وتذكُّر هذه المعلومات عند اللزوم، والتعرف عليها (Recognition) للاستفادة منها في الوقت اللازم. إن الفروق بين الأداء التحليلي الضعيف والأداء التحليلي القوي يُعزى، وبشكل كبير، إلى الفروق في تنظيم المعلومات والخبرات في الذاكرة البعيدة (طويل الأمد) (Long - Term Memory) لدى المحللين، وإن محتويات الذاكرة تشكل مداخل نظرية مستمرة ضمن العملية التحليلية، وأن أي شيء يؤثر على عملية التذكر أو الاسترجاع من الذاكرة يؤثر بدوره على نتائج التحليل. إن تخزين المعلومات الحسية ترتبط بالذاكرة القريبة (Short - Term Memory) أو الذاكرة الحديثة، كما تسمى (Recent Memory). إن الإنسان إذا أغمض عينيه فإنه يخزن الصور الحسية البصرية لحوالي ربع ثانية، ومخازن الذاكرة القريبة هي فقط للتفسير، وإذا نطق الإنسان بكلمة فإن مخزن المعلومات الحسية يحتفظ بالأصوات بينما الذاكرة القريبة تحتفظ بالكلمات المشكَّلة من هذه الأصوات، والذاكرة القريبة تبقي المعلومات المؤقتة، عندما ينسى الفرد اسم شخص ما تم التعرف عليه، ذلك لأن

---

(١) فيصل محمد خير الزراد: الذاكرة، قياسها، اضطراباتها (التشخيص والعلاج)، دار المريخ للنشر، الرياض ٢٠٠٥م.

الاسم لم يتحول بعد من الذاكرة القريبة إلى الذاكرة البعيدة. إن الذاكرة القريبة محدودة القدرة، فعندما يُطلب من شخص الإنصات وتكرار سلسلة من الأعداد أو الأسماء من (١٠ ـ ٢٠) اسم مثلاً، فإن الشخص يحتفظ في الغالب (٥ ـ ٦) أسماء ولا يتذكر الباقي، والشخص إذا ركَّز انتباهه على البنود الأولى فإن الذاكرة القريبة تصبح مشبعة بهذا الجهد، وبالتالي فإن الفرد لا يتذكر أو لا يستطيع التركيز على البنود الأخيرة.

إن الأفراد يختارون أين يتوجب تركيز الانتباه، فهم لا يستطيعون التركيز في تفسير وتذكر معلومات تمَّ تلقِّيها في الوقت الماضي، كما لا يستطيعون التركيز فقط على المعلومات التي يتلقونها حالياً، ولا بد للذاكرة القريبة من الاستعانة بالمعلومات من الطرفين الماضي والجديد.

إن المعلومات المسترجَعَة من الذاكرة القريبة هي مباشرة وآنية، وذلك لأن المعلومات، لا تبقى أو تترك في العقل الواعي (أي الشعور)، ولكن يمكن لهذه المعلومات أن تبقى بصورة غير محددة بفعل عملية التكرار مراراً وتكراراً، ولكن إن الأفراد ليس بمقدورهم إضافة معلومات أو بنود جديدة للاحتفاظ بها في الذاكرة القريبة وفي آن واحد، فالمعلومات القابلة للاحتفاظ في الذاكرة القريبة محدودة جداً، وهي مسألة فسيولوجية عصبية، ولا يوجد طريقة للتغلب على هذه الحدود.

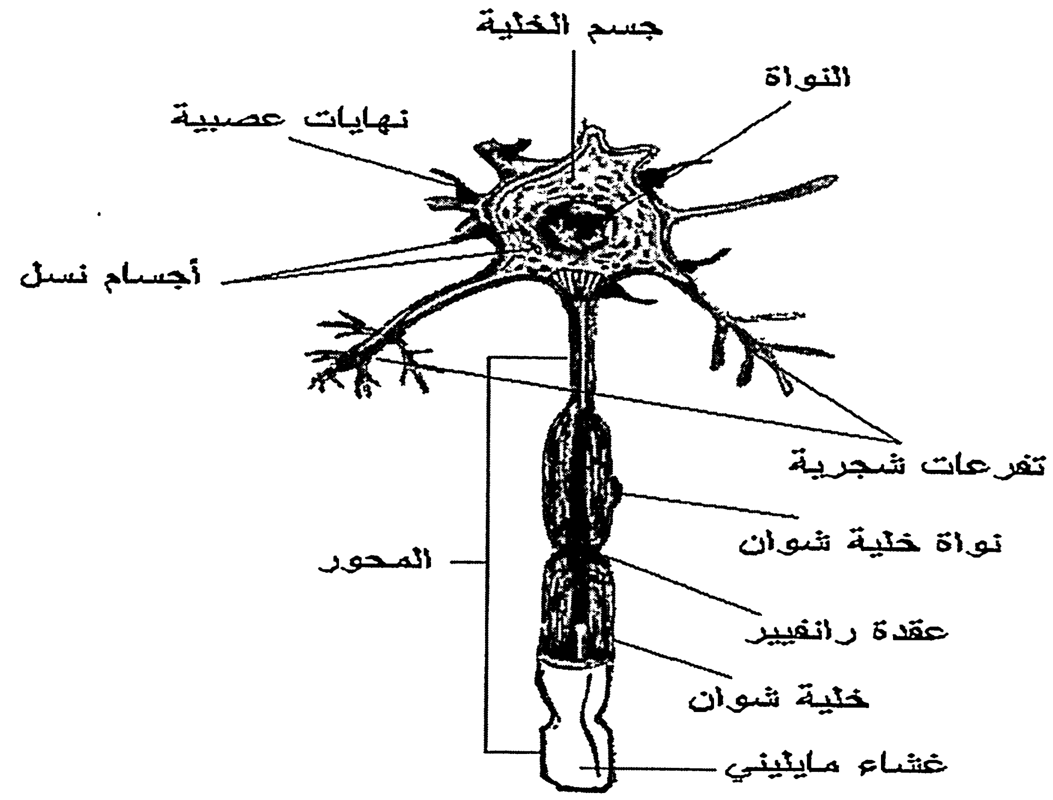
أما بالنسبة للذاكرة بعيدة المدى فإن بعض المعلومات التي تحتفظ في الذاكرة القريبة تتصنَّع لتصبح في الذاكرة بعيدة المدى وتكون، بشكل غير مباشر، في أعماق الذهن، ويجب أن تسترجع قبل أن يتم استخدامها، والناس يصعب عليهم إرجاع أذهانهم إلى الخلف، إلى ما كان موجوداً في الذاكرة القريبة من معلومات حسية، ولكن يسهل عليهم استرجاع تفسيراتهم لما يعتقدون أنه كان موجوداً هناك، والمخزَّن في الذاكرة البعيدة.

تسجيل المعلومات في الذاكرة البعيدة

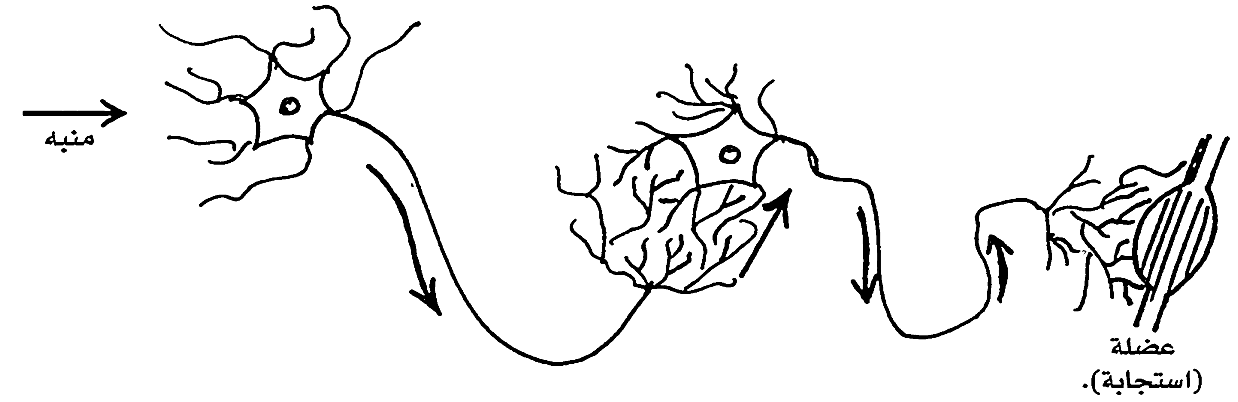
يحوي الدماغ على بلايين الخلايا العصبية، وكل منها مشابهة للحاسب الآلي، أي قادرة على تخزين المعلومات، وكل خليةٍ عصبية تتكون من جسم، ومحور، واستطالات عصبية تشبه الشجيرات، شكل (١٤)، والخلايا

العصبية ترتبط مع بعض بواسطة المشابك العصبية (أو الوصلات) (Synapses) شكل (١٥).

والخلايا العصبية على أشكال حسية، حركية، ارتباطية، والسيالات العصبية الكهربائية تصدر من جسم الخلية وتسير عبر المحور العصبي، إلى الاستطالات، ثم تعبر الوصلة العصبية لتنقل إلى خلية عصبية أخرى، والذكريات تختزن حسب نماذج الاتصالات، وعندما يتم تنشيط خليتين عصبيتين فإن الاتصالات في المشابك العصبية تقوى، وتسجل الذاكرة الخبرة



شكل (١٤) الخلية العصبية



شكل (١٥) (الوصلة العصبية)

والأفكار خلال مدة حياة الفرد، وهذه المعلومات ذات آلية استرجاعية، ويجب أن يكون لها تركيب تنظيمي، وإلا فإن المعلومات التي تدخل إلى جهاز الذاكرة لا يمكن استرجاعها، وما زالت الأبحاث مستمرة حول الذاكرة وأي من أقسام الدماغ يقوم بتصنيع النماذج المختلفة من المعلومات، وهذا تم اختباره عن طريق المرضى الذين عانوا من إصابات في دماغهم، باستخدام صور بواسطة (MRI)، ولا توجد حتى الآن أبحاث أو نظريات قادرة على أن توضح لنا العمليات التذكرية التي تتضمن الخبرات، والأصوات، والصور، والمشاعر، وأجهزة الذهن، والمفاهيم... إلخ.

إن الذاكرة تشبه بيت العنكبوت، متعدد الأبعاد والكثافات والاتصالات، فتفكير واحد يقود إلى تفكير آخر، والبدء بنقطة في الذاكرة وتتبع النقاط الأخرى التي تسترجع من خلال تتبع الشبكة وعمليات التداعي (Association). إن عملية الاسترجاع تتأثر بعدد الأمكنة التي تخزن فيها المعلومات في الذاكرة، وبعدد وقوة المسالك التي تنشط بسبب المعلومات الواردة، والمسلك الأكثر تكراراً أو استعمالاً يصبح الممر الأقوى والأكثر توافراً للمعلومات الجاهزة الكائنة على طول المسلك، وعندما يبدأ الفرد بالتفكير حيال مشكلة ذات طريق واحد، فإن الدارات العقلية والعصبية أو المسالك تنشط وتتعزز وتقوى في كل مرة يفكر الفرد بالمشكلة، وهذا يسهل استرجاع المعلومات. إن الممرات العصبية نفسها تصبح الدورات العقلية

التي تخلق الصعوبة في إعادة تنظيم المعلومات ذهنياً بحيث يمكن النظر إليها من منظور مختلف. إن هذا ما يفسِّر لماذا عندما نرى صورة امرأة عجوز يبدو من الصعب رؤية المرأة الشابة أو العكس.

إن أي نقطة في الذاكرة يمكن أن تتصل بتداخل خطط مختلفة (والخطة عبارة عن علاقات بين المعلومات المخزنة في الذاكرة)، وهذا شيء معقَّد وغير معروفة تفاصيله حتى الآن، إلّا أنه يخدم فكرة أن الذاكرة تمتلك خاصية التركيب، ويكون ذلك على درجة من الأهمية في تحديد ما تم استرجاعة من المعلومات استجابة للمنبه وكيفية تلك المعلومات التي تستخدم في عمليات التفكير.

عندما يتعلم الإنسان موضوعاً ما، فإن هذا يتوقف على المدى الذي تحتفظ به الذاكرة القريبة بما تمَّ تعلمه، أو بعدد مرات تكرار ما تمَّ تعلمه (للوصول إلى الاسترجاع وإتقان التعلم)، والبحوث العلمية المتقدمة بيَّنت أن عملية التكرار ليست هامة كثيراً، حيث أن التكرار للموضوع المتعلَّم لا يضمن بالضرورة أن ذلك الأمر يمكن تذكره، ولعل الأمر الأساسي هنا هو في تحويل المعلومات من الذاكرة القريبة إلى الذاكرة البعيدة، أي تشكُّل الاقترانات بين المعلومات الجديدة والمخططات الموجودة سابقاً في الذاكرة، وهذا بدوره يتوقف على المدى الذي يتم فيه تعلم المعلومات المتعلقة بالمخططات الموجودة سابقاً، كما يتوقف على مستوى التصنيع المعطى للمعلومات الجديدة.

مثال: إذا قام الفرد، وخلال دقيقة واحدة، بتذكر قائمة السلع التي نشتريها مثل (الخبز، البيض، الزبدة، الذرة، الخس، الصابون، القهوة، الدجاج...) وكذلك تكرار هذه المشتريات في الذهن عدة مرات، فإننا نجد بأن هذا التكرار مفيد في الإبقاء أو الحفاظ على هذه المعلومات وتذكرها في الذاكرة القريبة، ولكن ذلك غير فعّال في تحويل هذه المعلومات إلى الذاكرة بعيدة المدى، فلائحة المشتريات تبدو صعبة في التذكر لأنها لا تنسجم أو تتطابق مع أي مخطط موجود سابقاً في الذاكرة، فالكلمات مألوفة ولكنها لا تملك المخطط المتوافر في الذاكرة والمرتبط بهذه الكلمات، وإذا تمَّ تبديل اللائحة لتصبح المشتريات على النحو التالي: (عصير البرتقال، الحليب، البيض، الزبدة، القهوة...) فالمهمة أصبحت أكثر سهولة لأن

المعلومات ستكون أكثر تطابقاً مع بنود خاصة بالأطعمة الشائعة التي لها علاقة بالإفطار الصباحي، مثل اللاعب المحترف في الشطرنج يتمثل بسرعة مواقع كثيرة من لاعبي الشطرنج.

إن عمق عملية التصنيع هو المتحول الثاني المهم في عملية الاحتفاظ بالمعلومات، وعمق التصنيع يشير إلى مقدار الجهد والقدرة المعرفية المستخدمة في تصنيع المعلومات، وعدد وقوة الترابطات بين المعلومات الواجب تعلمها والمعرفة الموجودة سابقاً في الذاكرة، (طريقة التوفير (Saving Method)).

الذاكرة والتحليل الاستخباراتي

إن ذاكرة المحلل الاستخباري تزوَّد بمدخولات مستمرة في العملية التحليلية، وهذه المداخل على شكلين هما المعلومات الحقيقية الإضافية المتعلقة بالأرضية التاريخية والسياق، وكذلك المخططات (Schema) المستخدمة من قِبَل المحلل لتحديد معنى المعلومات المكتسبة الجديدة، والمعلومات في الذاكرة قد تجبر ذاتها على وعي المحلل بدون أي جهد إرادي من قِبَل المحلل للتذكُّر (أثر المكبوتات في اللاشعور)، أو استرجاع المعلومات التي تستوجب جهداً وزمناً كبيراً وفي أي شكل من الشكلين.

إن أي شيء يؤثر على المواد المسترجَعة أو المتذكَّرة من الذاكرة يؤثر على التحليل الاستخباري، فالحكم هو نتاج مشترك للمعلومات المتوفرة وما يأتي به المحلل إلى التحليل لهذه المعلومات. هناك أبحاث أجريت على عدد من الأطباء الذين يشخِّصون المرض، بيَّنت أن الفروق بين الضعفاء والأقوياء في التشخيص يرجع إلى تنظيم المعلومات والخبرات في الذاكرة البعيدة، وهذا يصح في التحليل الاستخباراتي. إن المشكلة هي ليست بالقدرة البسيطة لتذكر الحقائق بل في القدرة على تذكر النماذج والأنماط التي تربط كل واحدة من الحقائق بالأخرى.

إن المعلومات المحددة والمتوافرة لدى المحلل والموجودة في ذهنه، أي الذاكرة الفاعلة والعاملة، والتي تبدو واضحة من خلال عمليات الاستبطان (Introspection)، والقصور في الذاكرة الفاعلة هو مصدر كثير من

المشكلات، وهذا ما يفسِّر لنا التعرض للارتباكات أحياناً في اتخاذ القرارات، مثلاً نفكر في موضوع إيجابي، ثم في موضوعات مضادة أو معاكسة لهذا الموضوع، ولا نستطيع في هذه الحالة الاحتفاظ بالإيجابيات والسلبيات في ذهننا في نفس الوقت مما يجعلنا نحصل على نظرة عامة التي تتوازن فيها الجوانب، الواحدة ضد الأخرى، والتكنيك للتعامل مع هذا القصور لعمل الذاكرة يسمى بتكنيك إخراج المشكلة إلى الخارج، أي إخراجها من الذهن وكتابتها على ورقة بشكل بسيط يظهر العناصر الرئيسية وكيفية ارتباط كل واحدة منها بالأخرى، أي تركيب المشكلات التحليلية، إذ يتضمن هذا التركيب تجزئة المشكلة إلى عناصر أو أجزاء من المعلومات، ومن ثم إعداد نموذج بسيط يبين كيف أن الأجزاء ترتبط بالكل، وعند التعامل مع الجزء من المشكلة فإن الفرد يحتفظ بقدرته على عدم فقدان نظرته إزاء الكل، وهذا الأنموذج البسيط يسهِّل عملية تمثل معلومات جديدة ضمن الذاكرة البعيدة، أي بحيث أن أجزاء المعلومات يمكن أن تربط، وهذا الأنموذج يحدد ما يسمى بالتصانيف التي تسمح بوضع المعلومة بترتيب المعلومات في الذاكرة واسترجاعها عند الطلب.

تصنيف المعلومات

إن عمليات الذاكرة تعتمد على تصانيف معمَّمة، فإذا لم يكن لدى الفرد تصنيف مناسب، فإنه لا يستطيع إدراك هذا الشيء وتخزينه في الذاكرة، أو على القدرة على استرجاعه من الذاكرة فيما بعد، وعندما تكون المعلومات حول الظواهر مختلفة في جوانب مهمة فلا يمكن تخزينها في الذاكرة، ومعظم الأخطاء ناتجة عن التحليل. إن كثيراً من المراقبين الدوليين كان لديهم الانطباع بأن الشيوعية عبارة عن حركة موجودة في كل مكان من العالم وتسيطر عليها موسكو، وأن جميع الفئات الشيوعية تجمعت معاً في تصنيف غير متميز سمي بالشيوعية العالمية، وفي عام (١٩٤٨) قاد ذلك الكثيرين في الولايات المتحدة إلى الاهتمام بالانقسام بين تيتو ـ وستالين، ويفسِّر لنا هذا الأمر لماذا الكثير من العقول الغربية ومن بينهم المفكرين والساسة بقوا نسبياً عمياناً إزاء الفروق الهامة بين الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية من الناحية الأيديولوجية.

إن تقوية التصانيف هو ضعف تحليلي شائع، والتمييزات الدقيقة بين هذه التصانيف، والتي تحمل الغموض أحياناً، تساهم في تحليل أكثر فعالية. إن العوامل التي تؤثر على كيفية خزن المعلومات في الذاكرة والتي تؤثر على عمليات الاسترجاع هي مصداقية المعلومات، ومستوى الانتباه[١] (Attention) المتمركز على المعلومات، ومستوى التعلم الأصلي، والمراجعة الدورية، ودرجة المعنى والفهم، وهناك عامل الكف الرجعي والتقدمي (Pro and Retro - active Inhibition) أي تأثير خبرات لاحقة على خبرات سابقة، والكف التقدمي، ويقصد به تأثير خبرات سابقة على خبرات لاحقة، هذا بالإضافة إلى قوانين الترابط الذهني، مثل قانون الاقتران، والتشابه، والحداثة، والتكرار، والتضاد أو التناقض، وخصوصية الزمان والمكان، والوضوح أو الشدَّة... ومن خلال تأثير هذه العوامل على محتوى الذاكرة فإن هذه العوامل تؤثر أيضاً على مستوى التحليل الاستخباري.

وهناك فقرة مهمة تتعلق بالذاكرة، وهي أن الذاكرة نادراً ما تبدل التنشيط

(١) الانتباه وظيفة عصبية ـ معرفية من وظائف الدماغ، والانتباه هو تركيز الوعي على منبِّه، أو مجموعة منبهات، واستبعاد المنبهات الأخرى الموجودة في تلك اللحظة، مما يمكِّن الفرد من فهم هذا المنبه بشكل جيد. وتعامل الفرد مع بيئته يعتمد على درجة الانتباه، وعلى الذاكرة التي تسجل المعلومات التي يتلقاها الفرد، وإذا ضعف الانتباه ضعفت معه عملية التسجيل أو الاحتفاظ والاستدعاء من الذاكرة. ويتأثر الانتباه بالعديد من العوامل مثل التغيُّر، والجدة، وحجم المنبه، وشدته، وأهميته... كما يتأثر بالعوامل الذاتية ودوافع الفرد وحاجاته وحالته النفسية وسلامة حواسه، والانتباه يوجِّه الحواس وأجهزة الإدراك نحو منبه ما من أجل الاستجابة بشكل فعال. والانتباه على أشكال: الانتباه المتواصل (Sustained Attention) ويقصد به التيقظ وتركيز الوعي والذهن على مهمة محددة، والانتباه الانتقائي (Selective Attention)، ويقصد به القدرة على استخلاص المعلومة الهامة بين مجموعة معلومات، وهناك مصاحبات فسيولوجية للانتباه وحركات جسدية، تسهِّل استقبال المنبه وتهيء الفرد للاستجابة المناسبة. وللانتباه مدى ومدة، وهو يختلف من فرد لآخر، كما أن الانتباه يتأثر بشدة المنبه أو المثير الذي يقع بين عتبة دنيا للإثارة (The Lower Threshold) وعتبة عليا، وعتبة الإحساس هي النقطة أو الدرجة على مقياس الشدة والتي دونها لا يشعر الفرد بالتنبيه، وتشير الدراسات إلى أن العتبة الفارقة لشدة المنبهات بالنسبة للضغط هو ١/ ٢٠، والإحساس البصري (١/ ١٠٠)، والإحساس بالحرارة (١/ ٣)، والإحساس السمعي (١/ ٥)، والإحساس الشميّ والذوقي (١/ ٣)، وهناك فروق فردية بين الأفراد وما يسمى بالمعادلة الشخصية.

الراجع، بمعنى أنه عندما يتلقى المحلل الاستخباراتي معلومات جديدة تفرض عليه إعادة تقييم مصداقية أو أهمية المعلومات السابقة، وعلى المستوى المثالي، من المفروض أن تصبح هذه المعلومات المبكرة، بل يجب أن تصبح أكثر بروزاً أو جاهزة في الذاكرة، إلَّا أنه من سوء الحظ لا يحدث ذلك. إن الذكريات نادراً ما يتم إعادة تقييمها أو إدراكها بشكل راجع وذلك استجابة للمعلومات الجديدة، فمثلاً إن المعلومات التي استُبعدت لكونها غير مهمة، ذلك لأنها لم تناسب توقعات المحلل، فهي لا تصبح أكثر قابلية للتذكر حتى ولو عمد المحلل إلى تغيير تفكيره إلى درجة أن المعلومات نفسها قد تم استقبالها أو تلقيها هذا اليوم وإدراكها أنها مهمة جداً على خلاف السابق.

إن عمل الذاكرة يزوِّدنا بشيء من الاستبصار في طبيعة الإبداع والانفتاح نحو معلومات جديدة، مما يصنع ارتباطات جديدة في بيت عنكبوت الذاكرة، ارتباطات بين الحقائق والمفاهيم والمخططات التي سبق ولم ترتبط وكانت ضعيفة الارتباط.

إن دورات التدريب الخاصة بالمحللين الاستخباريين تتركز على عملية فتح جهاز الذهن القائم، وجعل المحلل يرى المشكلات من منظورات مختلفة، من أجل إحداث هزَّة خفيفة لتفسيرات بديلة، ونحن غالباً ما نجد، وكرد فعل للمحللين الاستخباريين المتمرسين والذين أمضوا سنوات طويلة لإيجاد جهاز الذهن الحالي والذي خدمهم جيداً، فهم لا يرون حاجة إلى تبديله، إذ يعتقدون أن المعلومات الموجودة في ذاكرتهم البعيدة تسمح لهم بالوصول إلى استنتاجات تكون خارج تناول المراقبين الآخرين والجدد، وأنهم على حق أن لا يبدلوا هذا الجهاز الحالي الذي صنعوه من خلال خبراتهم، فمخططاتهم، أو جهاز الذهن لديهم، ساعدت على تحقيق النجاح في صنع أحكام تحليلية.

إن المحلل الاستخباراتي عليه في الوقت الحاضر التعامل وبسرعة مع العالم المتغير. إن كثيراً من البلدان التي كانت عدوة للولايات المتحدة الأميركية أصبحت الآن حليفة لها، كما في دول أوروبا الشرقية، والحكومات الأميركية والروسية لم تعد كما كانت في السابق، ومخططات

الذاكرة التي كانت بالأمس ثابتةً وسارية المفعول لم تعد كذلك اليوم، وإن تعلم مخططات جديدة يتطلب محو مخططات موجودة في الذاكرة (وهذا ما يجب أن يتم في عقلية الحكام العرب، وخاصة بعد حادث الحادي عشر من شهر أيلول (٢٠٠١م)، وبناء مخططات جديدة لدحض ادعاءات الغرب فيما يتعلق بالإرهاب، والعولمة، والتطبيع، والشرق أوسطية، والديمقراطية وغيرها)، وقد يكون ذلك صعباً، والأسهل هو تعلم عادات عقلية جديدة، أو القيام ببرمجة لغوية عصبية جديدة.

الفصل الخامس

الحرب النفسية والاضطرابات النفسية

* الحرب النفسية
* وسائل الحرب النفسية
* اضطرابات ما بعد الشدَّة الصدمية
* قلق الموت، والخوف من الموت

الحرب النفسية
(Psychological War)

يُلجأ إلى الحرب بسبب فشل الدول لحل الصراع بينها سلمياً. فإذا أخفقت الجهود السياسية والدبلوماسية كان لا مناص من الحرب، والحرب إما تقليدية بواسطة الطائرات والمدافع والأفراد... وإما الحرب السياسية، والاقتصادية (الحصار الاقتصادي)، والحرب النفسية. والحرب النفسية هي أخطر أشكال الحروب، وميدانها الشخصية والفكر والسلوك، وهدفها النيل من الطاقة البشرية والمعنوية للعدو. والحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب الدولة أو مجموعة دول في وقت الحرب أو في وقت السلام لإجراءات إعلامية بهدف التأثير في آراء وعواطف وأفكار ومواقف وسلوك الجماعات المعادية، أو المحايدة أو الصديقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة، وذلك بإعادة تركيب هذه الآراء أو العواطف بشكل جديد ينسجم مع أهداف العمليات التي تتوخاها الدولة، وكذلك بهدف التأثير على المعتقدات الدينية والأعراف والقيم والعادات والمثل... إن أمكن، علماً بأن هذه المعتقدات والقيم والعادات... غالباً ما تقاوم عملية التبديل بفعل العمليات النفسية، لذلك فإن التأثير غالباً ما يكون على الأفكار والمعتقدات والعواطف اللادينية (أي العلمانية) والتي توجد لدى الجماعات البيضاء (أي أفراد الشعب). والحرب النفسية هي نوع من أنواع الحرب الباردة، وهي حرب أفكار تهدف للسيطرة على عقول الأفراد وإذلال إرادتهم، وهي حرب إيديولوجية، أو حرب أعصاب، وحرب كلمات ومصطلحات (العولمة، الإرهاب، الشرق أوسطية...)، وهي حرب أعصاب، وحرب دعاية وإشاعات... هي حرب تعمل على هدم البنية المعرفية لدى الأفراد وإعادة تركيبها وفق أهداف الدعاية أو الإشاعات، أي دحض الأفكار الخاطئة (Disputing) وطرح أفكار بديلة صحيحة أو مطلوبة وفق مفاهيم الدعاية، ويتم ذلك وفق مفاهيم التعلم، والتكرار، والتعزيز، والارتباط (وحسب

نظريات بافلوف(١) وسكينر(٢) في الأشراط) مع الكلام السلبي عن الذات ومع الذات (Self Talking) (أنا غير قادر، أنا لا أستطيع، أنا ضعيف الإرادة، . . . إلخ)، وهكذا يتم التدمير الفكري والمعنوي في القتال، واستسلام العدو من دون دمار أو حرب بالسلاح، وهناك طرق للحرب النفسية الدفاعية، والحرب النفسية توفر الجهد والعتاد والأرواح.

والحرب النفسية قديمة قِدَم الجنس البشري، فعند الفراعنة استخدم (تحتمس الثالث) الحيلة والمفاجأة في حروبه الخاصة عند فتح يافا في فلسطين، والصينيون استخدموا السحر والعرافين العسكريين، ولدى اليونان استخدمت الشتائم والتشهير السياسي للتأثير على الروح المعنوية للعدو، وفي الحرب الإسلامية استخدمت الحرب النفسية، وقد حاول الكفار بعد وفاة الرسول ﷺ إحداث التفرقة بين المسلمين، ولكن أبا بكر رضي الله عنه خطب خطبته المشهورة: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإنه محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، واسمعوا قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾» [آل عمران/ ١٤٤]. وطارق بن زياد الذي خطب بجنوده قائلاً: «أيها الجنود: العدو من أمامكم والبحر من ورائكم، وليس لكم والله إلاّ الموت أو النصر»، وتمكن طارق بن زياد من تحقيق النصر. واستخدم المغول والتتار، والقراصنة الحرب النفسية، والإنجليز استخدموا سياسة فَرِّقْ تَسُدْ، ونابليون قائد الجيش الفرنسي، في حملته على مصر، ادعى بأنه مسلم، ولقَّب نفسه بحامي

(١) **بافلوف (إيفان بيتروفيتش) Pavlov** (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦): روسي وعالم في علم النفس الفيزيولوجي، واشتغاله في الجهاز الهضمي أوصله إلى ابتكاراته. تحدث عن أفعال الدماغ المنعكسة وبيَّن فعل الغدد اللعابية على الفاعلية الدماغية، وتوسع في شرح المنعكسات الشرطية التي يسميها المنعكسات النفسية ودورها في سلوك الإنسان والحيوان، والتعلم والإرادة والعادات يمكن إرجاعها إلى المنعكسات الشرطية.

(٢) **سكينر (بورس فريديريك) Skinner** (مولود عام ١٩٠٤): عالم نفس أمريكي من السلوكيين، وقوله: غير مجد شرح السلوك بالرجوع إلى حياة الفرد الداخلية، فهذا المفهوم يرتكز على فروض لا أساس لها، وينبغي الاقتصار على ملاحظة السلوك المرئي فقط.

الإسلام، وقال: «إنني أعبد الله، واحترم نبيه والقرآن العظيم... وإن الفرنسيين مسلمون مخلصون...».

وفي الحرب العالمية الأولى تحولت الحرب النفسية إلى أداة عسكرية رئيسية وفعالة، وبين الحربين قام الإنجليز والألمان والروس والأميركان بجهود كبيرة في مجال الحرب النفسية، وفي الحرب العالمية الثانية استُخدم حرب الإعلام والإشاعات والانهيار المعنوي والعصبي.

وفي الإسلام دعوة إلى إذكاء روح الحماس والجهاد في نفوس المسلمين، بحيث يكون جميع المؤمنين في حالة يقظة، وانتباه، وحذر، واستعداد دائم إلى لقاء العدو، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الصف/ ١٠، ١١] ويقول تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف/ ١٣]، ويقول أيضاً: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران/ ١٦١]. والرسول العظيم يقول: (جاهدوا المشركين بأنفسكم وسيوفكم وألسنتكم)[١] وفي الأثر (من يحرص على الموت توهب له الحياة)[٢]، والإمام علي رضي الله عنه يقول في الجهاد: «إذا خفتَ من شيء فقع فيه، فإن شدَّة توقِّيه شر من الوقوع فيه»[٣]. ويُذكر في التاريخ الإسلامي أنه حينما تولى عمر بن الخطاب الخلافة أرسل أمراً إلى جيش المسلمين المقاتل في بلاد الشام بتولية أبي عبيدة بن الجراح قائداً للجيش، عوضاً عن القائد خالد بن الوليد، واستلم خالد بن الوليد الرسالة وكان ذلك خلال احتدام المعركة، وأدرك بحدسه النفسي والحربي بأن إذاعة خبر هذه الرسالة سيثير بلبلة وفوضى في صفوف المسلمين، مما قد يضعف من روحهم المعنوية والقتالية، لهذا قرر إرجاء تنفيذ مضمون الرسالة حتى نهاية المعركة، وبعد أن تحقق النصر للمسلمين، بعدها عاد خالد بن الوليد كجندي ليضع نفسه تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح. وهناك شواهد كثيرة في مجال الحرب النفسية والروح المعنوية في التاريخ العربي والإسلامي.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، باب كراهية ترك الغزو.

(٢) سليم نعامة: **علم النفس العسكري**، مطبوعات جامعة دمشق (١٩٩٨) ص ٤١.

(٣) مصطفى طلاس: **الرسول العربي وفن الحرب**، دار القرآن الكريم، بيروت (١٩٧٧).

والآن يعتبر قادة الجيوش وخبراء الحرب بأن الجانب المعنوي هو مصدر قوة كبير للقوات المسلحة، ويفوق أحياناً المصدر المادي، حيث أصبح بالإمكان تحقيق النصر والمكاسب عن طريق الحرب النفسية.

والذي يستعرض التطورات العسكرية، بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٦ - ١٩٤٤) وحتى الآن، يجد بأن الحروب في العالم أصبحت في الغالب لا هي حرب فعلية تعتمد على السلام، ولا هي سلام حقيقي، إنها حرب باردة، ومعظم الجيوش في العالم أصبحت لا تلجأ إلى الحرب المادية بالسلاح إلاّ عندما تفشل الحرب النفسية، والوسائل المعنوية، كما أن الحرب النفسية قد تمهِّد لحرب مادية عسكرية (والحرب خدعة). إن هذا التطور الكبير الذي حدث في مجال الحرب النفسية، دفع الجمعية الأميركية لعلم النفس (APA)، التي تكونت عام (١٨٨٢م) وتضم حالياً حوالي (٢٥٠٠٠٠) عضواً وباحثاً ومتخصصاً في علم النفس، إلى إحداث قسم رئيسي من أقسام هذه الجمعية وهو القسم رقم (٣٦) الذي يهتم بأمور علم النفس العسكري (Military's Psychology)، وانبثق من هذا القسم وحدة خاصة لإجراء دراسات حول الحرب النفسية، ومقابل ذلك يوجد في الجمعية الأميركية لعلم النفس القسم رقم (٤٨) وهو قسم علم نفس السلام (Peace Psychology)، ويرأس قسم علم النفس العسكري أحد جنرالات البنتاغون، وهذا القسم على اتصال مستمر بالمخابرات المركزية وبمكتب التحقيق الفيدرالي (F. B. I)، كما يرأس قسم السلام حتى عام (٢٠٠٠م) الدكتور مايك وسلز (Mike Wessels) الذي اهتم بقضايا الإرهاب في العالم.

وقد قدّم القسم العسكري في الجمعية النفسية خدمات كبيرة للقوات المسلحة الأميركية، وخاصة قبل حدوث الضربات العسكرية، وعلى مستوى العالم، وكان لهذا القسم نشاط بارز في الحرب العالمية الأولى والثانية، وحرب (١٩٤٨)، وحرب عام (١٩٥٦) (العدوان الثلاثي على مصر) وحرب (١٩٦٧م)، وحرب (١٩٧٣)، وحرب الخليج عام (١٩٩١)، وغزو العراق واحتلاله (٢٠٠٣م)، كما كان لهذا القسم (علم النفس العسكري) دور هام في غزو أفغانستان واحتلالها، وحرب يوغوسلافيا، وحوادث كوريا الشمالية، وباكستان، وإيران، وفلسطين، وسوريا، والسودان (دارفور، حوادث

الجنوب) وسواها... وكما أشرنا سابقاً إن هذا القسم يعتمد على الإعلام، وعلى التجسس، والمخابرات وغيرها... إلخ، على العكس من قسم علم نفس السلام الذي يهتم بمناهضة الحروب في العالم، وتحقيق الأمن والسلام لشعوب العالم، وهذا القسم يرفض الحرب النفسية، والحرب المادية، والإعلام المضاد، كما يرفض الإشاعات، والضغوط النفسية. ويجري هذا القسم دراسات جادة لإيجاد أنماط بديلة للحلول العسكرية مثل الحوار، والتعايش السلمي، والوساطة، والاعتماد على محكمة العدل الدولية والقانون الدولي،... إلخ. وبين عامي (١٩٩١ - ٢٠٠٣م) تم التعاون بين معظم أقسام الجمعية الأميركية لعلم النفس، القسم العسكري، وقسم السلام، وقسم علم النفس للمسؤولية الاجتماعية (Psychology of Social Responsibility)، وذلك لتقديم خدمات وخطط للحرب النفسية، بحجة التعايش السلمي!! ومقاومة الإرهاب!! بالتعاون مع جمعيات علم النفس الأوروبية، والجمعية الإسرائيلية عند العدو، أما في العالم العربي فقد تشكلت أقسام في القوات المسلحة للإعلام العسكري والتوجيه المعنوي التي من شأنها أن تخطط لعمليات الحرب النفسية وتجري دراسات حول ذلك،... وقد حققت أقسام الإعلام العسكري في بعض البلدان العربية بعض النجاحات في هذا المجال، وخاصة في حرب عام (١٩٧٣م) وعملية عبور قناة السويس، كما نجحت الحرب النفسية العربية في إثارة مشاعر العداء والكراهية والحقد على العدو، وهذا ما جعل الشعب العربي يقاوم ويناضل من أجل التحرير والنصر، وإعادة الاعتبار للكرامة العربية والإسلامية، في وقت فشلت فيه كافة محاولات الأعداء لإضعاف الروح المعنوية، كما فشلت كافة خطط الحرب النفسية للعدو التي كانت مكشوفة للعيان، بما في ذلك أساليب الكذب والخداع والإشاعات... ولولا أعمال الخيانة، والتجسس، لما حققت الحرب النفسية الأميركية والغربية أهدافها بالشكل الذي سمعنا عنه أو شاهدناه داخل الدول التي خاضت أو تخوض هذه الحروب كما في العراق وأفغانستان... هذا وقد تطورت الحرب النفسية مؤخراً وأصبح لها مسمياتها وطرقها، وأساليبها، ووسائلها، وقوانينها، وأسسها النفسية وغير ذلك.

تعريف الحرب النفسية

يرى معظم القادة العسكريين بأن الحرب ليست سلاحاً ضد سلاح، وإنما هي إرادة ضد إرادة، والنصر يكون للإرادة القوية، وللعزيمة والصمود، وقد جاء في تعريف الحرب النفسية في الموسوعات العسكرية، وموسوعات السياسة ما يلي:

١ ـ الحرب النفسية هي عبارة عن اتخاذ خطط منظمة من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارىء، أو في وقت السلم للقيام بإجراءات إعلامية منظمة وهادفة بقصد التأثير السلبي على اتجاهات الأعداء، وأفكارها، وآرائها، وعواطفها، وسلوكياتها، أو الجماعات المحايدة، أو الصديقة أحياناً، وذلك لتحقيق أهداف محددة. والحرب النفسية تسمى بالحرب الدعائية، أو حرب الشائعات، أو الحرب السياسية، أو حرب الأفكار، أو حرب الأعصاب، أو الحرب العقائدية، وغير ذلك.

٢ ـ الحرب النفسية هي تطبيق مبادئ علم النفس من أجل تدعيم العمليات العسكرية أو السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية (الرأي العام)، لدى أفراد الجيش، والشعب الصديق، ومن أجل زيادة الحماس أو المقاومة، ورفع الروح المعنوية، أو من أجل تحطيم الروح المعنوية وشل إرادة ومعنويات أفراد العدو.

٣ ـ الاستخدام المخطط لأي شكل من أشكال التواصل (أو التخاطب) (Communication) بهدف التأثير على عقول ومشاعر وسلوكيات مجموعة معينة من الناس، معادية، أو محايدة، أو صديقة، لتحقيق غرض استراتيجي أو تكتيكي خاص.

هذا وقد نقل مفهوم الحرب النفسية بواسطة المدنيين الأميركيين من العسكريين، وذلك لاستخدامه وقت السلم في برنامج معلومات ضخم، فيما وراء البحار، وأصبح تعريف الحرب النفسية لدى المدنيين بأنها (استخدام وسائل التواصل والتخاطب الحديث بهدف الوصول إلى الجماهير المستهدفة، لكي يتم إقناعها بقبول أفكار ومعتقدات معينة)، ويُعرِّف بعضهم الحرب النفسية بأنها (عملية صراع بين عقول الرجال وإرادتهم). وباختصار يمكن القول بأن الحرب النفسية أصبحت من عناصر الحرب الحديثة، وهي حرب

شاملة لأفراد الجيش، وأفراد الشعب. إن لأي قوات مسلحة في العالم مصدراً مادياً للقوة يتمثل في السلاح والعتاد والتكنولوجيا... كما أن لها مصدراً معنوياً يتمثل في الروح الوطنية المعنوية، والعزيمة القوية، والإرادة، والإيمان الصادق بالنصر... وكثيراً ما يتم التنسيق والتعاون بين مجريات الحرب النفسية، والحرب القتالية، وخاصة في حالات توجيه ضربة عسكرية سريعة (حرب خاطفة)، كما أن الحرب النفسية قد توجَّه للشعب وخاصة أثناء السلم بحيث تتغلل هذه الحرب إلى نواحي حياة أفراد الشعب الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية... وتستعين هذه الحرب بالإشاعات، والأكاذيب، والإعلام الموجه وغيرها مما قد يؤدي إلى إضعاف أو تفكيك الجبهة الداخلية (كما في حالة إثارة النعرات الدينية والتفرقة الطائفية)، والعمل على بثِّ الذعر في الشعب، وإثارة الفوضى، والانشقاقات بين القادة والشعب، وبين الأحزاب، والطوائف، وبين الشعب والجيش، مما قد يضعف النظام الدفاعي والسياسي والاقتصادي... مع نشر اليأس، والتشاؤم، والخوف، والقلق في النفوس، ويثبط عزيمة الشعب وإرادته، بالإضافة إلى محاولة كسب الرأي العام الدولي لصالح الدولة المعتدية، وبهذا يصبح الفرد من خلال الحرب النفسية بمثابة الآلة التي تحطَّم فيها المحرك. والشاعر يقول:

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي ... فكان القتال قبل التلاقي

أهداف الحرب النفسية

١ ـ العمل على إضعاف الروح المعنوية للعدو (أو للمدنيين)، والسيطرة على أفكار ومعتقدات وعقول أفراده، والتأثير النسبي في نفسيته، ومشاعره واتجاهاته مما يجعله يخاف ويفقد السيطرة على تصرفاته أو ردود أفعاله، ويبعث اليأس والقنوط والرغبة في الاستسلام، والكف عن الصراع أو المقاومة... وذلك عن طريق التهوين من إمكانيات العدو وأن الاستسلام يكون في مصلحة أفراده، بالإضافة إلى المبالغة في وصف القوة والانتصارات والهزائم حتى يشعر العدو أنه أمام قوة لا تقهر (كما في جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي أشيع عنه أنه لا يُهزم)، مع استخدام الحشود العسكرية، والصواريخ، والطائرات... والتلويح بالتفوق العلمي والتكنولوجي على العدو.

٢ ـ الإيحاء بأن كافة جهود العدو للنهوض والتقدم ضائعة، ولا فائدة منها وحتى يكف العدو عن التهديد أو العدوان، مع نشر مشاعر الهزيمة والإحباط عن طريق نداءات مسموعة، أو مقروءة، أو مرئية، عبر وسائل الإعلام والاتصال، وتدعو هذه النداءات إلى الاستسلام وعدم المقاومة، ورفع الراية البيضاء، ويكون ذلك قبل عملية الهجوم العسكري على العدو.

٣ ـ تضخيم أخطاء قيادات العدو وذلك من أجل إحداث شرخ بين القاعدة الشعبية العريضة والقيادة أو الحكومة، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بين الأفراد والقادة وإلى حالة من تفسُّخ العلاقات التنظيمية بينها، وضعف السيطرة. . . . وبالتالي الاقتناع بأقوال العدو.

٤ ـ إضعاف الجبهة الداخلية للعدو، وإحداث ثغرات بداخلها، وذلك عن طريق تشجيع المعارضة لنظام الحكم، والجماعات المناوئة للحكومة، وتشكيك الشعب في قدرة قواته المسلحة وفي قيادته السياسية، وإعلامه السياسي والعسكري، ونشر روح المعارضة داخل الأقليات المضطهدة، والطوائف، والأحزاب، والجماعات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وإظهار عجز النظام السياسي عن تحقيق آمال شعبه وطموحاته، والضغط الاقتصادي على حكومة العدو (حصار اقتصادي) حتى ينهار النظام.

٥ ـ العمل على كسب الرأي العام العالمي، والمنظمات الدولية، والحكومات الأخرى ضد العدو.

٦ ـ زعزعة مشاعر الإيمان والمعتقدات والقيم والمبادئ الدينية والأفكار التي تزيد من دافعية الفرد على الصمود والتحمل ومتابعة القتال أو المقاومة، وتحقيق النصر، واستغلال الخلافات الدينية والعقدية، ومقابل ذلك نشر الأفكار المناهضة للدين، وللقيم، مع محاولات جادَّة للتبشير الديني (كما في دارفور، والصومال، وجنوب أفريقيا، وغيرها . . .)، ونشر أفكار العولمة[1]،

(١) **العولمة**: مصطلح أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية، وتريد منه امبراطورية تتسع للعالم تنفرد بقيادتها من خلال الفكر اللبيرالي والرأسمالي المتوحش تقابل أممية الماركسية التي كانت تنادي عمال العالم بالاتحاد للسيطرة على العالم. وسعى الأمريكيون بعد حمل العولمة إلى تنميط العالم كله وفق ما هم عليه بدءاً من الأسرة والفنون إلى السياسة =

والعلمنة[١]، والتطبيع، والإيديولوجيات المعادية (للعروبة والإسلام) تحت ذريعة الديمقراطية، والحداثة[٢]، مع تشويه معالم التاريخ والحضارة والآثار والمساس بالمقدسات وغير ذلك.

وتختلف أهداف الحرب النفسية حسب طبيعة الحرب، وظروف المكان، والزمان، وظروف المواقف، والمتغيرات. فهناكِ الحرب النفسية الاستراتيجية التي تتصف بالاتساع والشمول، والامتداد في الزمان والمكان، ومثل هذه الحرب قد تستغرق سنوات، مثل الحرب الاستراتيجية الصهيونية، التي تعتمد على السيطرة النفسية والمعنوية باستخدام العدوان والعنف والإرهاب، أو باستخدام القوة... ويرى المحللون العسكريون بأن أي هدف يتحقق بالقوة والعنف سرعان ما ينهار. ومما لا شك فيه أن صمود أبطال المقاومة وأطفال الحجارة وعمليات الاستشهاد أكبر دليل على فشل الحرب النفسية لدى العدو، وعلى المعنويات العالية لأبطال المقاومة وهؤلاء الأطفال (اقرأ عن باراسيكولوجي أطفال الانتفاضة). وقد تستغرق الحرب الاستراتيجية عشرات السنين، وقد تشمل مناطق كبرى، وعدة دول، وأحياناً قارة بأكملها، بل قد تشمل العالم بأكمله، وحتى يتحقق الهدف... والحرب النفسية الاستراتيجية تهدف إلى دعم خطط الدولة السياسية الخاصة بالحروب، ودعم العقوبات الاقتصادية التي تفرض على العدو، وخفض الروح المعنوية لدى العسكريين والمدنيين، وإضعاف كفاءتهم وبثِّ روح الكراهية والتفكك في الجبهة الداخلية، وتحريض الطوائف الدينية، والأقليات والأحزاب، والجماعة على الثورة ضد القادة أو الحكومات،

= والاقتصاد، وقد بدأ مشروع العولمة يترنح لأنه يستحيل على الولايات المتحدة أن تكون شرطي ومصرفي العالم، ويفيد التمييز بين عولمة مرفوضة وعالمية مطلوبة.

(١) **العلمنة Laïque**: اللادينية، وهي دعوة قامت في الغرب بدءاً من الثورة الفرنسية، كانت تدعو إلى تعطيل فعل الدين في شؤون الحياة ووضعت الدنيا بمقابل الدين لذلك الصحيح أن تسمى: العالمانية. مثل هذه الفكرة لا تتناسب مع الإسلام الذي يشمل، بتشريعه وثوابته ومنطلقاته، كل جوانب الحياة، والذي يؤسس للحياة الدنيا وللآخرة.

(٢) **الحداثة**: نزعة تقوم على التنكر للتراث وللدين وللتاريخ وتدعو للانقطاع التام عن كل ما هو من السلف، وقد طرحها كل من الماركسيين والليبراليين سابقاً، ويطرح أتباعهم اليوم شعار: ما بعد الحداثة. ولا بد من التفريق بين الحداثة وبين التحديث والتطوير والتجديد.

وإظهار التأييد الأدبي للأصدقاء في مناطق العدو، وتقديم المساعدات اللازمة والإشراف على عمليات الدعاية والإعلام. وهناك مجموعة من الظروف تسهِّل أغراض الحرب النفسية الاستراتيجية مثل الهزائم العسكرية للعدو، والنقص في الطعام والملبس والعتاد، وأماكن الإيواء، والعلاج، والنقص في المعدات الحربية، والتعصب لدى العدو، ونقص المواد الخام اللازمة لبرنامج حرب العدو.. إلخ، ولكن لهذا النوع من الحرب النفسية بعض المشاكل مثل تعذر تقييم نتائج عمليات هذه الحرب نظراً لامتدادها في الزمان والمكان، ولعدم توافر معلومات كافية في مختلف ظروف الحرب، وربما بفرض عقوبات مشددة على أفراد عسكريين ومدنيين إذا هم استمعوا إلى إذاعات الخصم أو قرأوا مطبوعاته، وفي حالات كثيرة تكون تدابير العدو المضادة مؤثرة وفعالة، والحرب الصهيونية كنموذج عن ذلك، من أجل امتلاك فلسطين إلى الأبد.

وهناك أيضاً الحرب النفسية التكتيكية، وهي حرب صدام مباشر مع العدو، والالتحام به وجهاً لوجه سواء بالحرب الاقتصادية، أو السياسية، أو المعنوية، أو العسكرية، أو الثقافية... أو بمجموعة من هذه الحروب، وذلك حسب الهدف المطلوب، ويعتمد في ذلك على المنشورات التي توزع بواسطة المدفعية والطيران، وعلى نشر الكتيبات، وعلى الإذاعة، والمجلات، والصحف، ومكبرات الصوت، والجواسيس، والهدف من ذلك إضعاف معنويات العدو، وكفاءته القتالية، وتسهيل المواجهة واحتلال مدن العدو عن طريق نشر الإنذارات والعمليات الخاصة بتسليم المساكن، والنزوح، وتقديم معلومات وتوجيهات لازمة للصديق الذي يعمل داخل مناطق القتال، وإظهار القادة وأفراد الجيش بمظهر إنساني ديمقراطي في أعين الأعداء، وجعل العدو يقتنع بأن حربه خاسرة، وأن أسباب حربه هي نفسها أسباب حرب الصديق ما يضعف من حماس مقاتليه، ومساعدة عمليات الحرب النفسية الاستراتيجية بالحصول على معلومات أحدث وأكثر تفصيلاً عن نقاط الضعف والقوة في العدو.

ومن الطبيعي أن سير عمليات القتال تعزز أو تثبط من قيمة الحرب النفسية التكتيكية مثل الهزائم المتكررة للعدو، والخسائر الفادحة، ونقص

التموين، ووجود قادة غير مؤهلين أو ضعيفي الخبرة في قوات العدو، ووجود قوات غير مدربة، وانتشار الأمراض والنقص في الخدمات الطبية، وضعف العقيدة، وعدم الإيمان بنتائج الحرب الدائرة. وفي مواقف القتال المتغيرة قد تتغير الاتجاهات سلباً أو إيجاباً مما يجعل الحصول على المعلومات الحقيقية التفصيلية عن الميدان متعذراً، ولعل قوات التحالف في حربها لتحرير الكويت استخدمت هذا النموذج من الحرب النفسية التكتيكية، وكذلك في غزو المحتل الأمريكي العراق عام (٢٠٠٣م)، ويكون من الطبيعي، وكرد فعل لتغير الاتجاهات النفسية خلال سير عمليات القتال، أن يرى بعض القادة العسكريين أنه من الضروري إبراز شيء من الحقيقة الواقعية لدعم بعض الأقاويل أو الشائعات المعادية، ولجعل الأفراد العسكريين والمدنيين يثقون بقادتهم، وفي نفس الوقت يتم إخفاء أكاذيب أو إشاعات، أو أساليب الخداع في الحرب النفسية للعدو، (إظهار صور للأسرى، ولعدد القتلى والمصابين، وللدمار في مناطق محددة... إلخ)، لهذا فإن الهزائم المتكررة، والخسائر الفادحة.... التي أشرنا إليها سابقاً، تعتبر من العوامل التي سرعان ما تكشف عن الحقائق، وعن الواقع، وتدحض كل الأكاذيب أو الشائعات، وهنا يجب على القادة العسكريين أن لا يستهينوا أو ينسوا بأن للعدو خبرته وخططه وأساليبه في مجال الحرب النفسية، وأن معظم جيوش وشعوب العالم أصبحوا على مستوى جيد من الفهم والثقافة النفسية العسكرية، ولديهم القدرة على التمييز بين الواقع والوهم والأكاذيب والدعاية، والإشاعات، وأساليب الخداع، وكذلك القدرة على مواجهة كافة أساليب الحرب النفسية ودحضها.

وهناك الحرب النفسية التعزيزية (أو التدعيمية Supportive War)، وهي شكل من أشكال الحرب النفسية، تهدف إلى تثبيت دعائم النجاح والنصر والتفوق لدى الصديق، وتثبيت دعائم الهزيمة والاستسلام لدى العدو، مع مقاومة الشائعات والبلاغات المعادية، وإضعاف حماس الحركات العسكرية المعادية. وتلجأ الحرب النفسية التعزيزية إلى تصنيع مزيج من الترهيب والترغيب لإقناع الخصم المنهزم بأن هزيمته نهائية، وأن أمنه في المستقبل مرهون بتسليمه بهذه الهزيمة، وبتعاونه مع الجانب المنتصر، كما أن هذه

الحرب النفسية تساعد القادة بعد الاحتلال في جعل الأفراد في مختلف الأقاليم يطيعون أوامر وتعليمات هؤلاء القادة.

والحرب النفسية التعزيزية تعمل على حماية خطوط المواصلات في المناطق المحتلة من أجل أن تتفرغ القوات المقاتلة لواجباتها، مع مقاومة الشائعات، وجعل المدنيين يتعاونون، وخاصة في عمليات البناء والتعمير بعد الحرب.. مع إضعاف حماس الحركات العسكرية المعادية، هذا بالإضافة إلى أن المدنيين يقعون تحت تأثير الصدمة بعد الاجتياح والدمار، لذلك تكون قدراتهم العقلية في درجة لا تمكنهم من إجراء أي تخريب أو مقاومة لقوات الاحتلال، إلاّ أن حركات المقاومة التي ترفض الهزيمة العسكرية تعمل على مقاومة الاحتلال وتحاول أن تدمر كل وسائل الحرب النفسية الموجهة ضدها.

إن الولايات المتحدة الأميريكية، وبعض الدول الأوروبية (مثل بريطانيا)، والعدو الإسرائيلي يعملون على تحقيق هذه الأهداف المتوخاة من الحروب النفسية، وفي عدة مناطق من العالم من بينها منطقة الشرق الأوسط، ودول الخليج العربي، (حيث يوجد النفط)، والدول العربية الأخرى، حيث وضعت هذه الدول برنامج معلومات منظَّم وموجَّه وضخم يستخدم في دول أعالي البحار، ويستعين هذا البرنامج بوسائل الاتصال الحديثة للوصول إلى الجماهير المستهدفة، وذلك حتى يتم إقناع هذه الجماهير بقبول أفكار ومعتقدات في إطار ما يدَّعونه من حرية، وديمقراطية، وعولمة، وشرق أوسطية، والحرب ضد الإرهاب.. وفي الوقت نفسه يعملون على قتل الأبرياء، وتدمير المجتمعات، وتشويه المعتقدات، وإزالة معالم التاريخ والحضارة والآثار... إلخ.

وسائل الحرب النفسية

١ ـ وسيلة التخاطب أو الاتصال (Communication tools)

حيث يتم نقل المعلومات أو الرموز اللغوية لكي يتم تعديل أفكار وعواطف وسلوك الأفراد الآخرين الذين يستقبلون الرسالة، وهذه المعلومات تكون ذات مضامين اجتماعية، وتدور حول قضية معينة، أو معنى مجرد، أو واقع محدد، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق الكلمات، والرموز، والإيماءات، ويجب أن تشير المعلومات أو الرسالة المنقولة إلى شيء محدد، يمكن تمييزه بوضوح. والتخاطب البشري يهتم بدراسة العلاقة بين الأفراد الذين يصدرون الرسالة، والذين يستقبلونها، ويفسِّرونها، ويتأثرون بها سلباً، أو إيجاباً، والتخاطب قد يكون بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر، والتخاطب أو التواصل على أشكال، مثل:

١ ـ **تواصل لفظي**: حيث يتم نقل الرسالة عن طريق الكلام، أو الكتابة، أو عن طريق الخطابات، والتقارير، والكتب، والنشرات، والمحادثات الهاتفية، والمناقشة، والندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات... إلخ.

٢ ـ **تواصل غير لفظي**: وهو عبارة عن تعبيرات منظمة، لها معنى، مثل لغة الصمت، والهدوء، واللامبالاة، والتعبيرات الجسدية الانفعالية، مثل اصفرار الوجه، والارتباك، وتصبب العرق... والتعبيرات الحركية، واللغة الرمزية كما في النكتة، ولغة الإشارات، والمظهر العام، ولغة الجسد.

٣ ـ **التواصل الرسمي**: الذي يتم بين الهيئات والمؤسسات الرسمية.

٤ ـ **التواصل غير الرسمي**: الذي يتم بصورة غير رسمية بين الأفراد.

٥ ـ **التواصل الرأسي**: والمقصود بذلك من الفئة الأعلى إلى الأدنى، من القادة إلى المرؤوسين.

٦ ـ **التواصل القاعدي**: وهو التواصل الذي يبدأ بالمرؤوسين ويتجه نحو الإدارة العليا.

٧ - **التواصل الذاتي:** ويكون بين الفرد ونفسه، وداخل الإنسان (حديث الذات) ويعتمد التأمل.

٨ - **التواصل الثنائي:** بين فردين أو مجموعتين.

وعملية التواصل تتأثر بعدة عوامل مثل المصداقية، وجاذبية الموضوع، وأهميته، وقوة تأثير الموضوع، ويجب الانتباه بأنه في الحرب النفسية وفي عملية التواصل من الضروري وصول الرسالة (المثير أو المنبه) إلى المصدر الذي سيتلقى الرسالة (المستقبل)، وتصل الرسالة عبر قنوات مدروسة توصل الرسالة إلى المتلقي. وقد تكون هناك عدة رسائل، وعدة قنوات في آن واحد، ولا بد من معرفة الأثر المترتب على إرسال الرسالة (معرفة النتيجة Feed Back)، ومرسل الرسالة له دور رئيسي في عجلة التواصل، فهو الذي يحدد أهداف الرسالة، ووسيلتها، كما يقوم بانتقاء الرموز والمصطلحات اللازمة لها، وصياغتها بشكل واضح ودقيق ثم إرسالها، وكلما نسبت موضوعات التواصل إلى مصدر هام وخبير أو مرتفع المصداقية حدث تغيير في الآراء والأفكار، وحدث تأثير أكبر على الآخرين (قوة المرسل)، وكذلك كلما كان المتلقي واثقاً من حيادية وموضوعية المرسل كلما حدث تغيير أسرع في الاتجاهات والآراء... (عامل الثقة بالمرسل)، ويؤثر في عملية التواصل اتجاهات المرسل وأثرها سلباً أو إيجاباً على اتجاهات المستقبل.

وهناك ثلاثة أمور يجب أن توضع بعين الاعتبار في مجال التواصل، أولها مضمون الرسالة ومدى جذبها للاهتمام، ورموز الرسالة والأسلوب اللغوي مما يجعل للرسالة معنى لدى المستقبل، والذي هو هدف الرسالة. وعادة الرسائل التي يتم مشاهدتها أو الاستماع إليها أو قراءتها في الوقت نفسه تكون أكثر تأثيراً في المستقبل. وعادة يأمل المرسل أن يكون للرسالة استجابة متوقعة لدى المستقبل بحيث يحدث تغيير في اتجاهاته الفكرية أو في سلوكياته... وهذا يعتمد على مدى إقناع المُرسِل للمستقبل بمضمون الرسالة، ويمكن أن يكون هناك رفض شامل للرسالة، أو ازدراء مصدر الرسالة، أو تشويه للرسالة... إلخ.

ومن أشكال التخاطب أو الاتصال ما يسمى بالتواصل الجماهيري (Mass Communication) الذي يتم عن طريق مختلف وسائل الإعلام السمعية

والمرئية والمقروءة، وبالتالي يزداد عدد المستقبلين للرسالة الإعلامية، والتواصل الجماهيري بالمقارنة بالتواصل بين فردين يعتبر أكثر تعقيداً، فوسائل التخاطب أو الاتصال الجماهيرية مثل الإذاعة، والتلفزيون، والصحف اليومية وشبكة المعلومات (إنترنت) ودور النشر تتميز بأن لكل منها وسائل تواصل خاصة بها، ولأنها في حاجة ماسة إلى معرفة ما يحدث في الواقع، كما أن عليها أن تقوم بعملية توجيه وتدريب وتطبيع اجتماعي للأفراد الجدد الذين يكلفون بالقيام بأدوار محددة، مثلاً تأتي الأخبار من المراسلين ووكالات الأنباء، ويتم تقييمها والتحري عنها، ويضاف إليها أو تختصر حسب الحاجة، ثم تكتب أو تحرر على شكل موضوعات يوضع لها عناوين وأماكن في الصفحات، ثم تطبع وتوزع. وفي المنظمات الإعلامية يقوم بهذا العمل مجموعة أفراد، من مراسلين، ومحررين، ومراجعين للنصوص... يعملون كوحدة واحدة لتأمين التواصل، وجذب انتباه الجمهور، مع استخدام إشارات أو رموز تشير إلى تجارب مشتركة بين المرسل والمستقبل، مما يجعل الرسالة واضحة وتنفذ إلى ذهن المستقبل، وتثيره للقيام باستجابة معينة. والتواصل الجماهيري غالباً ما يؤثر ويحدد اتجاه الرأي العام (Public Opinion) لمعرفة ردود الأفعال، والأفكار الشائعة بين الجمهور، وكاستجابة للأحداث ولنتائج الحرب النفسية، وسنرى بأن بعض وسائل الحرب النفسية مثل الشائعات، وغسيل الدماغ، تقوم على أساس عملية التواصل بين فردين في أغلب الأحيان، بينما تعتمد الدعاية على وسائل التواصل الجماهيري.

٢ ـ الإعلام والحرب النفسية

إن الإعلام (Media) هو التعبير الموضوعي عن عقلية وميول واتجاهات الجماهير، والإعلام يقوم بوظيفة نشر البيانات والمعلومات المتعلقة بالمجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، والدينية، والصحية والفنية، ومختلف المجالات الفكرية والثقافية بغرض تبصير الرأي العام بمجريات الأمور، وعلى أن يلتزم الإعلام بالصدق والموضوعية والحياد والحرية، وهذا ما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك، والإحاطة الشاملة لدى الجمهور المتلقي بالمادة الإعلامية وبالحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة والواضحة. وأحياناً يتسع مفهوم

الإعلام ليشمل عملية التواصل، وأحياناً أخرى يتم اقتصار ذلك على وسائل الإعلام وحدها. والإعلام هو مصدر المعلومات، ويتسم بالدقة والصراحة، وعرض الأخبار الصحيحة من دون تحريف، باعتبار الإعلام المصدر المسموع أو المرئي أو المكتوب للأحداث الواقعية.

ويعمل الإعلام على محاربة التحيزات والخرافات والعمل على تثقيف الأفراد، وتوضيح الحقائق، ويتأثر الرأي العام بالجهود الإعلامية، وتزداد أهمية الإعلام كلما ازداد المجتمع تعقيداً وارتفع المستوى التعليمي والثقافي والفكري لأفراد المجتمع. والإعلام بشكل عام إما يوجَّه إلى الشعب داخل دولته (إعلام داخلي)، أو يوجَّه الإعلام إلى الجماهير الخارجية، أي خارج حدود الدولة، والدول عادة لا تترك الإعلام الخارجي للأفراد، على العكس من الإعلام الداخلي، وتقف الدول العريقة من مبدأ الحرية الإعلامية إزاء الإعلام الخارجي موقفاً مغايراً، حيث ترفض هذه الدول أن تترك هذا الإعلام يعتمد على الجهود الخاصة، وتقصره فقط على الأجهزة الحكومية وعلى التخطيط الحكومي، وتحت رقابة أجهزة الدولة. وفي حالة الإعلام الداخلي يسهل حدوث الارتباط بين مصدر المعلومات والجمهور المستهدف، على العكس من الإعلام الخارجي الذي يصبح عملية شاقة ويصعب حدوث ارتباط بين مصدر المعلومات، والجمهور البعيد. والرسالة الإعلامية الخارجية بمجرد وصولها تصبح مستقلة عن شخص مرسلها، كما يصعب تصحيحها، خشية عدم الثقة في مصدر الرسالة، لذلك فإن الإعلام الخارجي يتطلب التخطيط العلمي والمنظم، وضرورة الربط المحكم بين الإعلام الخارجي والنشاط الدبلوماسي، مع الابتعاد عن لغة العواطف والانفعالات، باعتبار أن الإعلام الخارجي يسعى إلى خلق علاقة منفعة، واختيار أدوات ترتبط بالمصالح. والإعلام هو الأداة الرئيسية في الحرب النفسية وتحقيق أهدافها وذلك من خلال وسائله المتعددة وخاصة بعد ظهور الفضائيات المتعددة والتقنيات الحديثة، ما يجعل الرسالة تصل إلى ملايين الناس في سائر الكرة الأرضية، وكذلك يمكن أن تسهم وسائل الإعلام في نشر الشائعات.

٣ ـ الرأي العام (Public Opinion)

يعرَّف الرأي العام بأنه هو تعبير الجماعة أو المجتمع أو الجمهور العام عن رأيه ومشاعره وأفكاره، ومعتقداته واتجاهاته... في وقت معين، وبالنسبة لموضوع محدد يمثل مشكلة ويؤرق المجتمع، وهو الرأي الغالب، وهو القوة الحقيقية في المجتمع، إنه الحكم الذي تصدره الجماهير على عمل، أو حادثة، أو نشاط في المجال الداخلي، أو الخارجي، المحلّي أو العالمي، إنه صوت الجماهير وإرادة الشعب، إنه تعبير مؤيد أو تعبير معارض، ويكون بشكل تلقائي حيث يعبِّر الفرد عن رأيه مباشرة، أو بشكل موجه، كما في مجال البحوث العلمية أو الدراسات حول الرأي العام. والرأي العام يمثل صورة من صور السلوك الجماعي تمخضت عن تفاعل بين أفراد الجماعة وبين الجماعات الأخرى، والرأي العام يمثل الجماعة كلها، وهو وجود معنوي، وحصيلة أحكام الجماهير واتجاهاتها وميولها ووجهات نظرها، وهو يعكس، في كثير من الحالات، انفعالآت الجماهير وشحنتها النفسية في فترة زمنية محددة، والرأي العام عبارة عن تعبير جماهيري كامن أو ظاهر لدى الأفراد، لفظي أو حركي سلوكي، وهو استجابة عامة مؤيدة أو معارضة... وللرأي العام أشكال منها الرأي الشخصي، والخاص الذي يحتفظ به الفرد لنفسه، ورأي الأغلبية ما يزيد عن (٥٠٪) من الجماعة، ورأي الأقلية، والرأي الائتلافي، والرأي الكامن الذي لم يظهر صراحة، والرأي الواقعي أو الفعلي، والرأي العام المستتر أو الباطن الذي تخاف الجماعة من التعبير عنه، والرأي الصريح، والرأي الثابت نسبياً، والرأي الوقتي الذي يظهر حيال مشكلة وقتية، والرأي العام اليومي الذي يتأثر بالأحداث اليومية، والرأي العام الرائد الذي يؤثر في الإعلام والإعلان والدعاية ولا يتأثر بها، والرأي العام المثقف، والرأي العام المنقاد، والرأي العام المضلل، ويكون بتأثير الدعاية والإشاعات ومعلومات غير صحيحة، والرأي العام المؤقت..

الرأي العام والاتجاه: إن الاتجاه (Attitude) هو الحالة النفسية القائمة وراء رأي الفرد فيما يتعلق بموضوع معين، والرأي هو التعبير باللفظ أو الإشارة، أو السلوك أو الكتابة... عن الاتجاه النفسي، ويفضل

(Newcomb, M.) (١٩٥٩) في كتابه عن علم النفس الاجتماعي، أن يطلق مصطلح الاتجاهات الجماعية على مفهوم الرأي العام. والفرق بين الرأي العام والاتجاه أنه في الرأي العام يتطلب وجود موضوع أو مشكلة لإبداء الرأي حولها، والاتجاه يميل إلى ما يشبه الثبات النسبي، بينما الرأي العام متغير نسبياً، والاتجاه يقاس (كما رأينا) عن طريق الاختبارات النفسية، بينما السؤال عن الرأي العام يكون من خلال استبيان بسيط لا يحتمل أكثر من سؤال واحد، يتطلب الإجابة بالموافقة أو الرفض، وهناك فرق بين الرأي العام الظاهري والرأي العام الحقيقي، فكثير من الأفراد يقولون ما لا يفعلون. ودراسة الرأي العام تهدف إلى معرفة رأي الجمهور تجاه أمور اجتماعية مثل تحديد النسل، والمسائل السياسية مثل الرأي العام حول الوحدة العربية أو حول مشاكل اقتصادية، أو حول العلاقة بين الشعوب والحكومات، وموضوع الحرب والسلام، وحول الاتجاهات العامة نحو القادة، ونحو الانتخابات الرئاسية، . . . إلخ.

وظائف الرأي العام

١ ـ مساندة المؤسسات الاجتماعية والحكومية والجمعيات الخيرية والتشكيلات وغيرها.

٢ ـ رعاية المُثل والقيم الاجتماعية.

٣ ـ تجديد وتحديد المعايير الاجتماعية، فهو الذي يضع القوانين ويلغيها، ويعبِّر عن رغبات الجمهور.

٤ ـ إذكاء الروح المعنوية العامة ورفعها نحو القضايا الهامة، وتنشيط اهتمامات الفرد.

٥ ـ الرأي العام شديد الحساسية بالنسبة للأحداث الهامة، وهو يتغير من وقت لآخر ومن موضوع لآخر.

٦ ـ تؤثر الكوارث والأحداث في الرأي العام، ويتقرر الرأي العام بالأحداث أكثر من الأقوال.

٧ ـ يتقرر الرأي العام على أساس المصالح الذاتية.

مقومات أو بنية الرأي العام: لا يقوم الرأي العام إلاّ على هذه المقومات:

١ ـ الجماعة بخصائصها وصفاتها واتجاهاتها وتاريخها وخبراتها، ومصالحها، وأوضاعها السياسية والاقتصادية والجغرافية...

٢ ـ المشكلة التي تدركها الجماعة وتجذب الانتباه العام، وعوامل إدراك المشكلة والمناقشة والمقترحات.

٣ ـ المناقشة الجادة والفعالة القائمة على الفهم والموضوعية.

٤ ـ الزمن والخبرة السابقة، والتفاعل الاجتماعي بين مواطنين راشدين في جو اجتماعي ديمقراطي.

٥ ـ صراع الآراء، وتبلورها، وتقاربها، والاتفاق الجماعي، والسلوك الجماعي.

العوامل المؤثرة في الرأي العام

١ ـ الثقافة والتعليم والخبرة في الحياة.

٢ ـ التنشئة الأسرية والاجتماعية للأفراد واتجاهاتهم وقيمهم وعاداتهم وعلاقة الأسرة بالمؤسسات..

٣ ـ الدين الذي يؤثر على آراء الأفراد وسلوكياتهم.

٤ ـ الأحداث الهامة، مثل الحروب والأزمات والمشكلات الاقتصادية، والاكتشافات العلمية، والثورات...

٥ ـ القيادة وتأثيرها على الرأي العام وعلى الشعب إيجاباً أو سلباً.

٦ ـ وسائل الإعلام والاتصال، والشائعات.

٧ ـ المناقشات الجماعية الداخلية والخارجية.

٨ ـ الحالة الاجتماعية والوضع الاقتصادي للفرد، والحاجات الجسمية والعقلية والنفسية:

قياس الرأي العام: لقياس الرأي العام فوائده وأهميته بالنسبة للمسؤولين والقادة والمهتمين بالتغير الاجتماعي. ويعتبر استطلاع الرأي ضرورة ديمقراطية تحقيقاً لإرادة الشعب، وعادة تكون مقاييس الرأي العام مبسطة تتضمن سؤالاً أو سؤالين في موضوع الرأي العام، ويتم تحديد الظاهرة المراد قياسها وفهم كل جوانبها وتحليلها ووضع بعض الافتراضات المتعلقة

بجوانب المشكلة، ثم يتم اختيار عينة ممثلة (بطريقة منتظمة أو عشوائية)، بعد ذلك يتم إعداد الاستبيان (Questionnaitre) ويفضل إجراء طريقة استطلاعية (Opinion Poil)، كما يتم تحديد الإجابة بنعم، أو لا، أو إجابة متدرجة مثل: (إن الأقليات في الوطن لا يكونون مخلصين للوطن) وتكون الإجابة (موافق جداً، موافق، ليس لي رأي، غير موافق، غير موافق نهائياً)، كما يتم تحديد التعليمات، ويفضل تحكيم الاستبيان. وعادة ترسل الإجابة بواسطة البريد أو تنشر في الصحف، أو تسلَّم باليد. ومن عيوب هذا الأسلوب أنه لا يصلح إلاّ للمتعلمين الذين يتقنون القراءة والكتابة. ومن الجدير الإشارة إلى أهمية عدم كتابة اسم المستجيب في الاستبيان منعاً للخوف أو الإحراج أو تحمُّل المسؤولية، وتسمى هذه الطريقة (طريقة قياس نبض الأمة)، ويجب أن تكون الأسئلة واضحة وبسيطة، مع عدم الإيحاء بالإجابة. وقد تكون هناك أسئلة مفتوحة الطرف تترك الحرية للفرد في الإجابة والتعليق، ويمكن الاستعانة بالدراسة الاستطلاعية (Pilot Study)، وكذلك يمكن إجراء مقابلات مبدئية لاستكشاف الملاحظات والنقاط الناقصة، وهذه الطريقة تتصف بالسرعة والسرِّية، وقد يستعين الباحث بالهاتف، وقد يلجأ الباحث إلى الملاحظة على نطاق واسع (Mass Observation). ومن مميزات هذه الطريقة أنها تتيح الاتصال المباشر بالجمهور، إلاّ أنها تكون أحياناً مشوبة بالتأثيرات الذاتية. وقد يستعين الباحث بأسلوب المقابلة الشخصية أو إلى المقابلة والمناقشة الجماعية (Group Discussion) ليتعرف على شعور الأفراد وتفكيرهم وآرائهم حول موضوع الرأي العام بهدف معرفة حاجات الجماعة واتجاهات أفرادها والدوافع التي تكمن وراء ذلك. ومن عيوب هذه الطريقة الجماعية عدم توفير تكافؤ الفرص للكلام والمناقشة بين جميع أعضاء الجماعة، وعدم القدرة على التعمق في مناقشة كل فرد، وصعوبة معالجة النتائج إحصائياً، ويمكن أن تعاد وتتكرر اللقاءات، وأحياناً يمكن الاستعانة بالطرق الإسقاطية[1]،

---

(١) **الطرق الإسقاطية: الروائز**، الرائز = Test (الإسقاط) (Projection): اختبار له معاييره في وضع العلامات عن قدرات شخص معين، ومعارفه، وطبعه، ويساعد الرائز على تحديد موقع الشخص في أعضاء المجموعة التي ينتمي إليها، وتستخدم الروائز بأنواع عديدة =

ويكون ذلك في حالة جهل الأفراد بحقيقة اتجاهاتهم ومواقفهم. وهذه الطرق مثل طريقة تداعي الكلمات، أو تكملة الجمل، أو اختبار تفهم الموضوع للكبار، أو مثل اختبار الإحباط المصور لروزينزفيج[1]. وقد يلجأ الباحث إلى تحليل مضمون مواد الإعلام، والموضوع الذي يعبر عنه الأفراد، ودرجة انتشار الوسيلة الإعلامية، وتأثيرها على الأفراد، ويفيد في هذا المجال تحليل الشائعات التي تدور في السر وفي العلن والعوامل النفسية التي تكمن وراء ترويجها وانتشارها، مثل الخوف، والقلق، والكراهية، ودوافع العدوان، ورغبة الناس في التعبير عن حاجاتهم وآمالهم التي لا يستطيعون تحقيقها في الواقع، وهكذا إلى أن يصل الباحث إلى جمع الإجابات، وتفريغها، وتحليلها إحصائياً، وترجمتها رقمياً، ثم تفسيرها وتدوين الملاحظات حولها، ثم تقديم التوصيات والمقترحات الهامة، وكتابة تقرير عن ذلك.

تعديل الرأي العام: في عصر العولمة والتقنية الحديثة والتغيرات السريعة تتغير الآراء العامة وتتعدل، وإن هذا التعديل أو التغيير يعتبر ضرورة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، أو فكرية، وتلعب أجهزة الإعلام دوراً كبيراً في تعديل الرأي العام، أما الرأي العام الذي يعتمد على المعتقدات الدينية أو التراث الثقافي فإنه يقاوم محاولات التعديل، وموضوعات الرأي العام الجديدة نسبياً أو العارضة والتي لا تكون ثابتة أو مستقرة يسهل نسبياً تعديلها، وقد يحدث تغيير تلقائي في الرأي العام بسبب الظروف المادية والمعنوية وتأثير الزعماء والقادة، والكوارث والحروب، وغير ذلك. وتعديل الرأي العام مرتبط بحماسه ودوافعه، أي بدرجة اهتمام وانشغال الأفراد

= وتساعد في قياس الذكاء، وتفيد في معرفة قدرة الشخص على أداء الوظائف ومدى تفاعله وإيجابيته أو سلبيته وهل هو منفتح أم انطوائي؟ وصدقه.. إلخ.

والإسقاط عملية نفسية يحاول الإنسان من خلالها إلقاء ما في نفسه على الآخرين أو ترجمته من خلال أشكال يراها أو صور يركبها.

(١) **روزينزفيج (سول)** Rosenzweig (مولود في بوسطون ١٩٠٧) عالم نفس أمريكي - اهتماماته تنصب على الشخصية، والدينامية النفسية، والإبداعية، والتقنيات الإسقاطية (الروائز)، وتاريخ علم النفس، وضع اختبار الاكتئاب المشهور عالمياً.

بالموضوع أو القضية موضوع الرأي العام، ويتوقف حماس الرأي العام على مدى ارتباط الموضوع بفئة من الأفراد أو بمجتمع من دون آخر، فما يهم الشباب في الوطن العربي يختلف عنه في المجتمعات الغربية. وبشكل عام، يتحول الرأي العام غير الظاهر إلى رأي عام صريح في حالة ظهور موضوع أو قضية ذات اهتمام واسع من قبل الجمهور، ويتأثر الرأي العام بالأحداث أكثر من تأثره بالكلمات ما لم تترجم هذه الكلمات على شكل وقائع أو أحداث. ويتقرر الرأي العام على أساس المصالح الذاتية، ولا يبقى الرأي العام فعالاً إلاّ إذا شعر الجمهور بأن مصالحهم الذاتية مهددة، وكلما ازداد مستوى التعليم ازداد الوعي العام لأبعاد الموضوع مما يساعد على تقوية الرأي العام وبالتالي لا يسهل خداعه، وتزداد قوة الرأي العام إذا اكتسب رأي أغلبية الجمهور ويضعف الرأي العام إذا لم يلق اهتماماً من الجمهور، وليس من السهل الوصول إلى رأي عام عالمي إلاّ إذا تقاربت المعايير والأخلاق العامة للشعوب في العالم، ويحتفظ الناس بآرائهم بسهولة أكثر من الأهداف ومن الأساليب الضرورية لبلوغ الأهداف، ولا بد من رفع الموانع الاجتماعية أو القانونية التي تحول دون التعبير عن الرأي العام.

اضطرابات ما بعد الشدَّة الصدمية

(Post - Traumatic Stress Disorder) (P. T. S. D)

الإنسان يتعرض خلال حياته إلى العديد من الكوارث التي تهدد حياته، أو تهدد استمراريته في الحياة، وهذه الكوارث منها ما هو طبيعي مثل (الأعاصير والزلازل والفيضانات، والبراكين، والحرائق...) ومنها ما هو اصطناعي مثل (الحروب، والعدوان، والعنف، والإرهاب... والانفجارات النووية، وانفجار مصانع البارود، والغاز، والاغتصاب...)، ومنها ما هو معنوي يطال القيم والدين والتاريخ والوجود، كما في الإقدام على الانتحار، أو الإضراب عن الطعام، أو الإيثار لنصرة الجماعة. ومن الكوارث ما هو جسدي مثل الإصابة بمرض مميت، أو انتشار وباء ميت، كما في مرض فقدان المناعة (A. I. D. S) الإيدز، والجمرة الخبيثة، وغيرها مما يضعف من القدرات العقلية والجسدية ويثير الرعب والخوف. وقد ثبت في حالات الضغط النفسي (Stress) بأن الأفراد يختلفون من حيث تفاعلهم مع ظروف الكارثة، من حيث تقييمها وتقدير الأضرار المحتملة، وتتحول الكارثة إلى صدمة أو أزمة عندما تكون هناك تهديدات للحياة، أو للذات. وعادة تكون هناك ردود فعل عقلية ونفسية وجسمية تظهر على شكل أعراض نفسية تبدأ بحالة التخدير الحسِّي (Numbness)، وهي تشبه حالة الذهول التي تمنع الفرد من إدراك حقيقة ما يجري وتفسيره وذلك لمدة قصيرة، يلي ذلك حالة عدم تصديق ما حدث مع ارتباك ومظاهر هستيرية تساعد الفرد على تفريغ انفعالاته واستيعاب الحدث مع استخدام الآليات الدفاعية النفسية، لهذا يعتبر المحللون النفسانيون أن هذه الهستريا تمنع من احتمال التجسيد، أي تحوُّل الانفعالات إلى أمراض عضوية سيكوسوماتية.

إن الكوارث والحوادث الصدمية والآثار النفسية الجسمية والسلوكية المترتبة عنها قديمة قِدَم الإنسان، وهذه الحوادث تفوق قدرات الإنسان، ومهارات المواجهة، والقدرة على التعايش معها، ويعتبر أوبنهام (Oppenheim) عام

(١٨٨٩) أول من استعمل اسم العصاب الصدمي (Traumatic Neuresis)، ثم قام الطبيب النفسي الألماني إميل كربلن[١] (E. Krepelin) (١٨٩٦) باستخدام مصطلح عصاب الرعب أو الرهاب (Fright Neuresis) ليشير إلى حالة سريرية تشتمل على أعراض عصبية ونفسية تنتج عن موقف انفعالي حاد، أو رعب مفاجئ... وبعد الحرب العالمية الأولى وضع فردريك موت[٢] (F. Mott) عام (١٩١٩) مصطلح صدمة القذائف (Shell Shock)، ليشير إلى اضطراب نفسي يتصف بفقدان الذاكرة أو فقدان الكلام أو البصر كان يصيب المحاربين. وبتأثير الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية تمَّ وضع مصطلحات جديدة لنفس الأعراض مثل استنزاف المعركة (Combat Exhaustion)، أو إعياء القتال (Combat Fatigue). وقد وجد الألمان أن ما يسمى بصدمة القنابل هو خارج عن القانون ولذا كان يعدم كل من يشتكي من صدمة القذائف، كذلك السلطات الإنكليزية والفرنسية اتخذت إجراءات عقابية مشدَّدة ضد الجنود الذين يستسلمون بسبب اضطراب صدمة القذائف من دون تعرضهم للقذائف مباشرة. وفي عام (١٩٤١) أعاد كاردنر[٣] (Kardiner. R.) مصطلح العصاب الصدمي الذي استخدمه عالم الأعصاب الألماني أوبنهام عام (١٨٨٩)، وتبيَّن بعد الحرب بأن عمليات العلاج النفسي، والإرشاد الفوري يساعد الجنود الذين يعانون من هذا الاضطراب، وهذه الفئة التشخيصية لم تظهر في التصنيف الأول للأمراض النفسية عام (١٩٥٢)، ولم تظهر في التصنيف الثاني بالرغم من الاعتراف بخطورة وأعراض هذا الاضطراب، وفي عام (١٩٨٠) تمَّ الاعتراف لأول مرّة باضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية (P. T. S. D.) وكان ذلك بسبب تأثير الحرب الفيتنامية (١٩٧٠) على الجنود الأمريكيين وعلى أسر هؤلاء المحاربين (متلازمة ما بعد فيتنام Post Vietnam Syndrom)، وبسبب المعاناة الشديدة من هذا الاضطراب، كما أطلق البعض اسم متلازمة ما بعد معسكرات الأسر (Post - Concentration Camps).

(١) علم سعد: **(علم الشذوذ النفسي)** مطبوعات جامعة دمشق (١٩٨٦).

(٢) فيصل الزراد: **(الأمراض النفسية والعقلية)**، دار القلم، بيروت (١٩٨٤)، ص ١٥٤.

(٣) David, N. Jonathan. Davidson et al: (2000) **(Post - Traumatic Stress Disorder)** Martin Dunitz L.t.d p.23.

وبسبب ظهور هذا الاضطراب في الدليل الدولي التاسع، الصادر عن منظمة الصحة العالمية (ICD - 9) بعدها ظهر هذا الاضطراب في الدليل التشخيصي الصادر عن جمعية الطب النفسي الأمريكية عام (١٩٨٠) تحت اسم (اضطراب المشقَّة النفسية التالي للصدمة)، الصورة الثالثة، ثم توالى ظهور هذا المصطلح في الطبعة المعدلة (DSM III - R.) التي صدرت عام (١٩٨٧)، وأخيراً في الدليل الرابع الذي صدر عام (١٩٩٤) (DSM - IV) وحتى الآن (انظر المعايير المرفقة والصادرة عن الجمعية الأميركية للطب النفسي). وقد نقل هذا المصطلح إلى العربية العديد من أساتذة الجامعة والباحثين وترجمه المؤلف (باضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية) لأنه وجد أن لا بد من الإشارة إلى مفهومي الشدَّة، ومفهوم الصدمة، وهو أقرب المصطلحات المتفق عليها بين خبراء علم النفس السريري، والطب النفسي، وعلم النفس (ويمكن الإشارة إلى مفهوم الضغوط النفسية (Stress) عوضاً عن مفهوم الشدَّة النفسية المشتقة لغوياً من الشدائد والصعاب. . .).

ويرد هذا الاضطراب في الدليل التشخيصي الإحصائي (DSM - IV) لعام (١٩٩٤) تحت محور اضطرابات القلق (Anxiety Disorder) والتي تتضمن ما يلي:

١ - المخاوف المرضية (Phobias).

٢ - الفزع (Panic).

٣ - القلق العام (المعمم) (Generalized Anxiety).

٤ - الوسواس القهري (Obsessive Compulsive).

٥ - اضطراب ما بعد الصدمة (Posttraumatic Stress).

كما يرد هذا الاضطراب في تصنيف منظمة الصحة العالمية (WHO) الخاص بالاضطرابات العقلية والسلوكية (ICD - 10) ضمن فئة العصاب والاضطرابات التي لها علاقة بالضغوط النفسية والتي تكون جسمية المظهر أو الأعـــراض (Neurotic, Stress - related and Somato Form Disorders) وتتضمن خمسة أشكال هي:

١ - ردود فعل الضغط النفسي الحاد (Acute Stress Reaction).

٢ ـ اضطراب ما بعد الضغوط النفسية الصدمية (Post - Traumatic Stress Disorder).

٣ ـ اضطراب التكيف (Adjustment Disorders).

٤ ـ ردود فعل أخرى نحو الضغط النفسي الحاد (Other Reaction to Severe Stress).

٥ ـ غير محدد (Unspecified).

ويرى بعض الباحثين بأن اضطراب (PTSD) يجب أن يدخل في إطار اضطرابات التفكك (Dissociative Disorders)، وذلك لأن هذه الاضطرابات تعتبر شكلاً من أشكال اضطراب ما بعد الشدَّة النفسية الصدمية، وذلك لأن الأفراد المصابين بهذا الاضطراب (PTSD) يبعدون أنفسهم نفسياً، وينفصلون عن الأحداث الجارية من حولهم، وهذه نفس الأعراض التي تميِّز اضطراب التفكك، والتي تظهر في المحور العاشر من (DSM - IV) حيث تنفصل الأفكار والمشاعر والذكريات الخاصة بالفرد عن الوعي، وعلى شكل فقدان ذاكرة نفسي (Psychogenic Amnesia). أما عن أعراض ومعايير التشخيص الواردة في كتاب (DSM - IV) فهي كالتالي:

ـ تعرُّض الفرد إلى حادثة صدمية حيث نجد لديه العرضين التاليين:

١ ـ خَبُرَ الفرد وشهد أو واجه حادثة تضمنت موتاً حقيقياً، أو تهديداً بالموت، أو إصابة جسدية بالغة، أو تهديداً لسلامة التكامل البدني للذات أو للآخرين.

٢ ـ تضمنت استجابة الفرد خوفاً شديداً، أو العجز، أو الرعب، مع ملاحظة أنه عند الأولاد يتم التعبير عن ذلك بأسلوب مشوَّش ومتهيج.

ـ استعادة ملحَّة لأحداث الصدمة على النحو التالي:

١ ـ استعادة تذكرية مكربة للحادث الصدمي بما في ذلك الصور والأفكار أو الإدراكات.

٢ ـ أحلام مثيرة للكرب وراجعة للحادث الصدمي. . . (عند الأطفال تكون هناك أحلام مخيفة من غير إدراك المحتوى).

٣ ـ التصرُّف أو الإحساس وكأن الحادثة الراضَّة بدت راجعة أو ناكسة،

(ويتضمن ذلك الإحساس والعيش في التجربة الصدمية مرة أخرى، مع هلاوس، وأوهام، وعارضات تفكيكية لذكريات الرضّ (Flashback) بما في ذلك التي تحدث عند الاستيقاظ، أو عندما يكون العميل في حالة تسمم). (عند الأولاد نجد إعادة تمثيل دور الرضِّ النوعي من قبل الولد).

٤ ـ كرب نفسي شديد عند التعرض لمنبهات إشراطية داخلية أو خارجية المنشأ ترمز إلى الحادثة الصدمية.

ـ وجود تجنب مستمر إزاء المنبهات المقترنة بالصدمة، لم تكن موجودة قبل الصدمة، وتظهر الأعراض على الشكل التالي:

١ ـ بذل جهد لتجنب الأفكار، أو المشاعر، أو الأحاديث المتعلقة بالصدمة.

٢ ـ تبذل جهود لتجنب النشاطات، والناس، والأماكن التي تذكِّر بالحادثة.

٣ ـ عدم القدرة على تذكر الجانب المهم من الصدمة (الكارثة).

٤ ـ وجود اهتمام ضعيف وملاحظ، أو الإسهام في النشاطات المهمة.

٥ ـ الإحساس بالانسلاخ أو الغرابة عن الآخرين.

٦ ـ عاطفة ضحلة ومحدودة نسبياً (أي عدم القدرة على الإحساس بمشاعر المحبة).

٧ ـ الإحساس بمستقبل غير واعد ومحدود (لا يتوقع الحصول على عمل أو زواج. . . إلخ).

ـ أعراض مستمرة ذات طابع إثارة زائدة لم تكن موجودة قبل الصدمة، وذلك كما هو مبين بعَرَضين أو أكثر مما يلي:

١ ـ صعوبة الدخول في النوم.

٢ ـ تهيُّج وانفجارات غضب.

٣ ـ صعوبة تركيز الانتباه.

٤ ـ فرط تنبيه.

٥ ـ استجابة تخوُّفية مفرطة.

ـ مدة الاضطراب واستمرارية الأعراض يجب أن تتجاوز الشهر.

ـ يسبب هذا الاضطراب، سريرياً، كرباً واضحاً وخللاً في الوظيفة الاجتماعية والمهنيَّة، أو غيرها من النشاطات الحياتية.

ـ حدِّد فيما إذا كان الاضطراب حاداً مدته أقل من ثلاثة أشهر، أو مزمناً مدته ثلاثة أشهر فأكثر. وحدِّد فيما إذا كان الاضطراب مع بداية متأخرة، إذا كان ظهور الأعراض بعد ستة أشهر على الأقل من التعرض للحادث الصدمي.

ـ اضطراب الشدَّة النفسية الحاد، حيث يكون الفرد قد تعرض إلى حادثة صادمة (أو راضَّة)، وظهرت الأعراض التالية:

١ ـ خَبُرَ الفرد أو شهد أو واجه حادثة تضمنت حدوث موت حقيقي، أو تهديد بالموت، أو إصابة بالغة، أو تهديد للسلامة البدنية أو للذات، أو للآخرين.

٢ ـ تضمنت استجابة الفرد خوفاً شديداً، وفقدان المساعدة، أو الرعب.

ـ أمّا أثناء المرور بهذه الخبرة أو بعدها، والمثيرة للكرب والغم، نجد عند الفرد ثلاثة أو أكثر من الأعراض التفككية التالية:

١ ـ إحساس ذاتي بالحذر الحسِّي والانسلاخ عن المحيط، أو غياب الاستجابة الانفعالية.

٢ ـ تناقض الوعي نحو المحيط الذي يعيش فيه (الإحساس بحالة دوار).

٣ ـ الإحساس بالانسلاخ عن الواقع (Derealization).

٤ ـ الإحساس بانسلاخ كيانه عن الواقع (Depersonalization).

٥ ـ تفكك في الشخصية وعدم القدرة على تذكر جانب هام من الصدمة.

ـ الحادثة الصادمة أو الراضّه تكون دائماً راجعة ومتكررة الحدوث وذلك بإحدى الطرق التالية على الأقل: بصورة ذهنية راجعة. بالأفكار، بالأحلام، بالخداعات البصرية، بعوارض وجودها في الذهن (Flashback) وكذكرى مستمرة في الحضور، أو بالإحساس ببعث الخبرة الراضَّة والعيش في أجوائها، وكأنها حدث حالي، أو بالشعور بالكرب. والانزعاج عند التعرض لمنبِّهات تذكر الفرد (العميل) بها.

- يلاحظ تجنب واضح للمنبهات التي تثير استعادة الذكريات (Recollections) الراضَّة أو الصادمة (أي الأفكار والمشاعر والمحادثات، والنشاطات، والأمكنة، والناس وغيرها).

- يلاحظ أعراض قلق واضحة أو إثارة متزايدة الشدَّة (صعوبة النوم، تهيُّج، ضعف تركيز الانتباه، فرط تنبيه ويقظة، استجابة تخوفية مفرطة، عدم استقرار حركي).

- يسبب الاضطراب كرباً مهماً سريرياً، أو تأذي الوظيفة الاجتماعية المهنية، وغيرها من الميادين الحياتية، أو أنه يعيق الفرد عن متابعة جانب ضروري من العمل، مثل الحصول على حشد قدراته ومصادره الذاتية، أو بإعلام أعضاء الأسرة عن الخبرة الصادمة.

- يظهر الاضطراب ضمن أربعة أسابيع من التعرض للحادثة الراضَّة، ويدوم يومين على الأقل، وقد يمتد لمدة أقصاها أربعة أسابيع.

- لا يكون الاضطراب بسبب تأثيرات فسيولوجية مباشرة لتعاطي مادة مخدِّرة أو دواء، أو بسبب مرض طبي، ولا يعزى إلى اضطراب ذهاني قصير المدة، وليس هو تأزماً للاضطراب المحدد على محور (١) أو محور (٢).

وباختصار، يمكن القول بأن أهم أعراض اضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية:

١ - إعادة خبرة الحدث الصدمي.

٢ - تجنب المنبهات المتعلقة بالصدمة.

٣ - أعراض فرط الاستثارة، ونوبات غضب واهتياج وعدوان لفظي وبدني، صعوبات في النوم، تيقظ حذر، صعوبة في التركيز وفي متابعة النشاط، ظهور جفلة غير عادية لدى سماع المريض لصوت جرس أو هاتف أو أي صوت آخر مفاجئ، هذا بالإضافة لأعراض كآبة، والإحساس بالذنب، مع مشكلات أسرية، وأفكار انتحارية..

تفسير اضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية

١ - العوامل الوراثية (Genetic Factors)، حيث أثبتت الدراسات حول التوائم المتطابقة (Identical Twins). والتوائم الأخوية (Fraternal Twins)

أن الوراثة تساهم في حدوث اضطراب (P. T. S. D)، وأن نسبة حوالي (٦٥٪) من المصابين بهذا الاضطراب لهم أفراد في أسرهم يعانون من اضطرابات نفسية، أي تكون قابليتهم للإصابة بهذا الاضطراب عالية.

٢ ـ عامل الاستعداد (Predisposition) ونمط الشخصية قبل الإصابة بالاضطراب: إن الفرد لا يرث المرض أو الاضطراب ولكنه يرث الاستعداد للإصابة.

٣ ـ العامل الكيميائي ـ الحياتي (Biochemical Factor): فقد افترض بعض الباحثين بأن هذا الاضطراب يلحق الأذى في إفرازات الغدة الكظرية، ويؤدي إلى زيادة نسبة هرمون النورأدرينالين والدوبامين وينتج عن ذلك استجابات مروعة من الخوف والجفلة، كما برهنت بعض الدراسات على وجود زيادة واضحة في نشاط الجهاز العصبي اللاإرادي لدى المصابين بهذا الاضطراب، وكذلك اضطراب عمل هرمونات النواقل العصبية (Neurotran Smitters) مثل الدوبامين، والسيروتونين، والأدرينالين. . وغيرها.

٤ ـ عامل ضعف المناعة النفسية، وجهاز المناعة العام، ما يجعل الفرد غير قادر على مواجهة الحادث الصدمي.

٥.ـ العامل النفسي التحليلي (Psychoanalysis): كلنا يذكر بأن عالم التحليل النفسي سيجموند فرويد وتلميذه أوتو رانك، تحدثا عن صدمة الميلاد، وعلى أنها تجربة القلق الأولى في حياة الإنسان، وأشارا أن الصراعات اللاشعورية ترجع في جذورها إلى مرحلة الطفولة، وهي السبب في حدوث الاضطرابات النفسية فيما بعد، والحادث الصدمي الذي يسبب الفزع والتعب والألم. . . فإن الفرد يلجأ إلى كبت أفكاره الخاصة بالحادث الصدمي، أو قمع هذه الأفكار عن عمد، غير أن حالة الإنكار هذه غير كافية، والمكبوتات تبقى في حالة حركة وديناميه، لذلك فإن الفرد لا يكون قادراً على جعل ذكريات الحادث الصدمي تتكامل مع معلوماته الأخرى مما يسبب الإحساس بالاضطراب.

٦ ـ عامل الاكتساب والتعلم والاتجاه السلوكي (المتعلق بالإشراط الكلاسيكي والإشراط الإجرائي) في تفسير السلوك السوي والسلوك غير

السوي، وتعميم المثيرات التي تثير أحاسيس اضطراب الشدَّة بعد الصدمة. فالخوف الناجم عن حادث صدمي يدفع الفرد إلى السلوك التجنبي الذي ينتهي بخفض القلق، وهذا يفسِّر لنا لماذا بعض الأفراد يصابون باضطراب ما بعد الشدة النفسية الصدمية من دون غيرهم ممن تعرضوا إلى نقص الشدَّة النفسية الصدمية.

٧ ـ العامل المعرفي الذي يفترض بأن الاضطرابات النفسية ناجمة عن تفكير ومعتقدات غير عقلانية، أو غير صحيحة، كما أشار ألبرت إليس[١]، أن الأحداث الصدمية تهدد إحساس الفرد بالأمان. فالمرأة التي تعرضت إلى الاغتصاب قد تخاف من أي رجل تقابله فيما بعد (تعميم)، وبذلك تصبح الحدود بين الإحساس بالأمان والإحساس بالخطر غير واضحة، مما يؤدي إلى تكوين بنية معرفية من مخاوف وحذر ووساوس... في الذاكرة بعيدة المدى، وهؤلاء يضعف لديهم القدرة على التنبؤ (Predictability) مع ضعف السيطرة على حياتهم، وضعف الثقة في النفس مما يزيد من مستويات القلق والتوتر والهياج. ويرى جورج كيلي[٢] (J. Kelly) (١٩٥٥) بأن الفرد يدرك الحدث الصدمي على أنه خبرة جديدة وغريبة عن مخططه الإدراكي والفكري، فلا يعرف كيف يتعامل معها، فتشكل له تهديداً يؤدي إلى اضطراب في السلوك (نظرية معالجة المعلومات لجورج كيلي) (Information Process)، وكيلي عرَّف القلق بأنه إدراك الفرد للأحداث التي يواجهها على أنها تقع خارج مدى ملاءمتها لنظام البنى العقلية لديه، بمعنى أن الإنسان يصبح قلقاً عندما لا تكون لديه بنى معرفية تساعده في السيطرة على الأحداث، فيما يشعر بالخوف حين تظهر خبرة جديدة على وشك أن تدخل نظامه المعرفي البنائي، أما التهديد فيكون عندما يشعر الفرد ويدرك أن هناك تغييراً شاملاً على وشك أن يقع في النظام البنائي المعرفي.

٨ ـ وهناك النظرية الاجتماعية التي ترى بأن الأفراد الذين حصلوا على

(١) محمد حمدي الحجار: **(العلاج النفسي الحديث)** مؤسسة الرسالة، بيروت (٢٠٠٥) ص ٤٦.

(٢) فيصل الزراد: **(علاج الأمراض النفسية)** دار العلم للملايين، بيروت (١٩٨٥)، ص ٧٢.

درجة عالية من الدعم الاجتماعي كانت أعراضهم قليلة، ويؤكد هانز آيزنك[١] (٢٠٠٠م) على ذلك.

أساليب علاج اضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية

١ ـ علاج دوائي ضد الاكتئاب، والقلق، وتغيرات المزاج... تحت إشراف طبي نفسي.

٢ ـ التدريب على الاسترخاء والسيطرة على الذات.

٣ ـ تأكيد الذات (التدريب على تأكيد الذات).

٤ ـ العلاج الاستبصاري.

٥ ـ العلاج النفسي السلوكي، والتحصين المنظم (جوزف ولبي).

٦ ـ العلاج النفسي السلوكي ـ المعرفي لألبرت إليس، ورون بك (Beck. R.).

٧ ـ العلاج النفسي التخيُّلي.

٨ ـ العلاج النفسي الجماعي.

٩ ـ العلاج الواقعي (التعامل مع الذات) (وليم جلاسر).

١٠ ـ متابعة حالة المريض، ويمكن في بعض الحالات استخدام عمليات التأهيل والعلاج بالعمل (Occupational Therapy).

---

(١) أحمد محمد عبد الخالق: **(الأبعاد الأساسية للشخصية)**، دار المعارف، القاهرة (١٩٧٩) ص ٢٠٥.

(اضطراب ما بعد الشدّة الصدمية)

DSM - IV

(Post Traumatic Stress Disorder)(١)

A - The person has been exposed to a traumatic event in which both of the following were present:

(1) the person experienced, witnessed, or was confronted with an event or events that involved actual or threatened death of serious injury, or a threat to the physical integrity of self or others.

(2) the person's response involved intense fear, helplessness, or horror. **Note:** In children, this may be expressed instead by disorganized or agitated behavior.

B. The traumatic event is persistently reexperienced in one (or more) of the following ways:

(1) recurrent and intrusive distressing recollections of the event, including images, thoughts, or perception. **Note:** In young children, repetitive play may occur in which themes or aspects of the trauma are expressed.

(2) recurrent distressing dreams of the event. **Note:** In children, there may be frightening dreams without recognizable content.

(3) acting or feeling as if the traumatic event were recurring (includes a sense of reliving the experience, illusions, hallucinations, and dissociative flashback episodes, including those that accur on awakening or when intoxicated). **Note:** In young children, trauma-specific reenactment may occur.

(4) intense psychological distress at exposure to internal or external cues that symbolize or resemble an aspect of the traumatic event.

(5) physiological reactivity on exposure to internal or external cues that symbolize or resemble an aspect of the traumatic event.

---

(١) Diagnostic Criteria from DSM - IV. American Psychiatric Association. Washington D.C., U.S.A. (1994). P. 199.

C. Persistent avoidance of stimuli associated with the trauma and numbing of general responsiveness (not present before the trauma), as indicated by three (or more) of the following:

(1) efforts to avoid thoughts, feelings, or conversations associated with the trauma.

(2) efforts to avoid activities, places, or people that arouse recollections of the trauma.

(3) inability to recall an important aspect of the trauma.

(4) markedly diminished interest or participation in significant activities.

(5) feeling of detachment or estrangement from others.

(6) restricted range of affect (e.g., unable to have loving feelings).

(7) sense of a foreshortened future (e. g., does not expect to have a career, marriage, children, or a normal life span).

D. Persistent symptoms of increased arousal (not present before the trauma), as indicated by two (or more) of the following:

(1) difficulty falling or staying asleep.

(2) irritability or outbursts of anger.

(3) difficulty concentration.

(4) hypervigilance.

(5) exaggerated startle response.

E. Duration of the disturbance (symptoms in Criteria B, C, and D) is more than 1 month.

F. The disturbance causes clinically significant distress or impairment in social, occupational, or other important areas of functioning.

Specify if:

Acute: if duration of symptoms is less than 3 months.

Chronic: if duration of symtoms is 3 months or more.

Specify if:

With Delayed Onset: if onset of symptoms is at least 6 months after the stressor.

■ 308.3 Acute Stress Disorder

A. The person has been exposed to a traumatic event in which both of the following were present:

(1) the person experienced, witnessed, or was confronted with an event

that involved actual or threatened death or serious injury, or a threat to the physical integrity of self or others.

(2) the person's response involved intense fear, helplessness, or horror.

B. Either while experiencing, or after experiencing the distressing event, the individual has three (or more) of the following dissociative symptoms:

(1) a subjective sense of numbing, detachment, or absence of emotional responsiveness.

(2) a reduction in awareness of his or her surroundings (e.g., "being in a daze").

(3) derealization.

(4) depersonalization.

(5) dissociative amnesia (i.e., inability to recall an important aspect of the trauma).

C. The traumatic event is persistently reexperienced in at least one of the following ways: recurrent images, thoughts, dreams, illusions, flashback episodes, or a sense of reliving the experience; or distress on exposure to reminders of the traumatic event.

D. Marked avoidance of stimuli that arouse recollections of the trauma (e.g., thoughts, feelings, conversations, activities, places, people).

E. Marked symptoms of anxiety or increased arousal (e.g., difficulty sleeping, irritability, poor concentration, hypervigilance, exaggerated startle response, motor restlessness).

F. The disturbance causes clinically significant distress or impairment in social, occupational, or other important areas of functioning or impairs the individual's ability to pursue some necessary task, such as obtaining necessary assistance or mobilizing personal resources by telling family members about the traumatic experience.

G. The disturbance lasts for a minimum of 2 days and a maximum of 4 weeks and occurs within 4 weeks of the traumatic event.

H. The disturbance is not due to the direct physiological effects of a substance (e.g., a drug of abuse, a medication) or a general medical condition, is not better accounted for by Brief Psychotic Disorder, and is not merely an exacerbation of a preexisting Axis I or Axis II disorder.

اضطراب ما بعد الشدَّة الصَدمية
(ما بعد الرضِّ)
(Post-Traumatic Stress Disorder)[1]

أ ـ تعرض الشخص إلى حادثة رضيَّة حيث نجد لديه العَرَضين التاليين:

١ ـ خَبُرَ الشخص، أو شاهد، أو واجه حادثة، أو حوادث تضمَّنت موتاً حقيقياً أو تهديداً بالموت، أو إصابة بليغةٍ جسدية، أو تهديداً لسلامة التكامل البدني للذات، أو للآخرين.

٢ ـ تضمَّنت استجابة الفرد خوفاً شديداً، أو العجز، أو الرعب.

(ملاحظة) لدى الأطفال يتم التعبير عن ذلك بسلوك مشوَّش ومتهيج.

ب ـ تتم استعادة الخبرة الراضَّة (أو الصادمة)، استعادة مستمرة في واحدة أو أكثر من الطرق التالية.

١ ـ استعادة تذكُّريَّة مكربة (من كرب) وراجعة دخيلة أو متطفلة للحادثة الراضَّة أو الحوادث ومن ضمنها الصور، والأفكار، أو المدركات.

(ملاحظة: لدى الأولاد الصغار يكون اللعب المتكرر المتضمِّن جوانب متعلقة بالرضِّ أو بالصدمة هو الوسيلة التعبيرية عنها).

٢ ـ أحلام راجعة للحادثة الراضَّة مع الكرب (عند الأطفال تكون هناك أحلام مخيفة من دون إدراك المحتوى).

٣ ـ التصرُّف أو الإحساس وكأن الحادثة الراضَّة بدت راجعة أو ناكسة (يتضمن ذلك الإحساس والعيش بالخبرة الراضَّة مرَّة ثانية، مع أهلاس، وخداعات أو ضلالات، وعارضات تفككية لذكريات الرضِّ، ومن ضمنها

---

(١) الكتاب التشخيصي الإحصائي للاضطرابات النفسية والعقلية، الصادر عن الجمعية الأميركية للطب النفسي في واشنطن (DSM - IV TR) (١٩٩٤).

تلك التي تحدث عند الاستيقاظ، أو عندما يكون الشخص في حالة تسمُّم).
(ملاحظة: عند الأولاد الصغار نجد إعادة تمثيل دور الرض النوعي من قبل الولد).

٤ ـ كرب نفسي شديد عند التعرُّض لمنبهات إشراطيَّة داخلية أو خارجية المنشأ ترمز أو تشبه جانباً من الحادثة الراضّة.

جـ ـ وجود تجنُّب شديد ومستمر إزاء المنبهات المقترنة مع حادثة الرضِّ واستجابة عامة هامدة (لم تكن موجودة قبل الصدمة)، وكما هو مبيَّن في ثلاثة أو أكثر من البنود التالية:

١ ـ تبذل جهود لتجنُّب الأفكار، والمشاعر، أو الأحاديث المتعلقة بالصدمة.

٢ ـ تبذل جهود لتجنُّب النشاطات، والأمكنة، أو الناس التي تثير استعادة ذكريات الصدمة.

٣ ـ عدم القدرة على تذكر الجانب المهم من الرضِّ (أو من الصدمة).

٤ ـ وجود اهتمام ضعيف وملاحَظ من حيث الإسهام في النشاطات المهمَّة.

٥ ـ الإحساس بالانسلاخ أو الغرابة عن الآخرين.

٦ ـ عاطفة ضحلة نسبياً ومحدودة (أي عدم القدرة على الإحساس بمشاعر المحبة).

٧ ـ الإحساس بمستقبل ضيِّق وغير واعد (أي لا يتوقع الحصول على وظيفة أو مهنة، ولا على الزوج والأولاد، أو متَّسَع من حياة سويَّة).

د ـ أعراض مستمرة ذات طابع إثارة متزايدة (لم تكن موجودة قبل الرضِّ) وكما هو مبيَّن بعَرَضين أو أكثر من الأعراض التالية:

١ ـ صعوبة الولوج في النوم.

٢ ـ التهيُّج أو الإثارة أو انفجارات غضب.

٣ ـ صعوبة التركيز (تركيز الانتباه).

٤ ـ فرط التنبيه (اليقظة الزائدة).

٥ ـ استجابة تخوُّفية مفرطة (استجابة إجفال).

هـ ـ مدَّة الاضطراب (أي الأعراض المبيَّنة في المعايير) (ب ـ ج ـ د) تتجاوز الشهر.

و ـ ويسبب هذا الاضطراب سريرياً كرباً واضحاً، أو تأذياً في الوظيفة الاجتماعية، والمهنية، أو غيرها من الوظائف الحياتية الهامَّة.

حدِّدْ فيما إذا كان الاضطراب:

١ ـ حاداً: إذا كانت مدته أقل من ثلاثة أشهر.

٢ ـ مزمناً: إذا كانت مدته ثلاثة أشهر فأكثر.

حدِّد فيما إذا كان الاضطراب:

مع بداية متأخرة، إذا كان ظهور الأعراض جاء بعد ستَّة أشهر على الأقل من التعرض للموتِّر الراض أو الصادم.

اضطراب الشدَّة النفسية الحاد (Acute Stress Disorder)

أ ـ يكون الفرد قد تعرَّض لحادثة راضَّة في كلا الظواهر التالية:

١ ـ خَبُرَ الشخص أو شاهد أو واجه حادثة، أو حوادث تضمَّنت حدوث موت حقيقي، أو التهديد بالموت، أو إصابة بالغة، أو تهديداً للسلامة البدينة، أو تهديداً للذات أو للآخرين.

٢ ـ تضمنت استجابة الفرد خوفاً شديداً وفقدان العون أو الرعب.

ب ـ إما أثناء الإحساس وإما بعد الإحساس بالحادثة المثيرة للكرب والغم، نجد لدى الفرد ثلاثة أو أكثر من الأعراض التفككية التالية:

١ ـ إحساس ذاتي بالخدر الحسِّي، والانسلاخ عن المحيط، أو غياب الاستجابة الانفعالية.

٢ ـ تناقص الوعي نحو المحيط الذي يعيش فيه (أي يشعر بحالة دوار).

٣ ـ الإحساس بالانسلاخ عن الواقع.

٤ ـ الإحساس بانسلاخ كيانه عن المحيط.

٥ ـ فقدان تذكر تفككي (عدم القدرة على تذكر جانب هام من الرضِّ أو الصدمة).

جـ ـ الحادثة الراضَّة تكون دائماً راجعة ومتكررة الحدوث وذلك بإحدى الطرق التالية على الأقل: صورة ذهنية راجعة، بالأفكار وبالأحلام، بالخداعات البصرية، بعوارض تمثل في الذهن وكذكرى مستمرة الحضور، أو بالإحساس ببعث الخبرة الراضَّة والعيش في أجوائها، وكأنها تحدث حالياً، أو الشعور بالكرب عند التعرُّض لما يذكِّر الفرد بها من منبهات.

د ـ تجنب واضح للمنبهات التي تثير استعادة الذكريات الراضَّة (أي الأفكار، والمشاعر، والمحادثات، والنشاطات، والأمكنة، والناس، وغيرها).

هـ ـ أعراض قلق واضحة، أو إثارة متزايدة الشدَّة (صعوبة النوم، تهيُّج، ضعف تركيز الانتباه، فرط تنبيه ويقظة، استجابة تخوُّفية مفرطة، عدم استقرار حركي).

و ـ يسبب الاضطراب كرباً مهماً سريرياً، أو تأذي الوظيفة الاجتماعية والمهنية وغيرها من الميادين الحياتية، أو أنه يعيق الفرد على متابعة جانب من العمل الضروري، مثل الحصول على دعم ضروري أو على حشد قدراته ومصادره الذاتية، أو بإعلام أفراد الأسرة عن الخبرة الراضَّة.

ز ـ يظهر الاضطراب ضمن أربعة أسابيع من التعرض للحادثة الراضَّة، ويدوم يومين على الأقل، وقد يمتد لمدة أقصاها أربعة أسابيع.

ح ـ لا يكون الاضطراب بسبب تأثيرات فسيولوجية مباشرة لتعاطي مادة (أي سوء استخدام مادة مخدرة أو دواء)، أو مرض طبي عام، ولا يعزى إلى اضطراب ذهاني قصير المدَّة، وليس هو تأزماً للاضطراب المحدَّد على المحور الأول أو الثاني.

قلق الموت (Death Anxiety)
والخوف من الموت (Thanatophobia)

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر/ ٢٧ ـ ٣٠] صدق الله العظيم.

لا بدَّ من الإشارة إلى قلق الموت، والخوف المرضي منه الذي ينتاب عادة الضباط والقادة والمقاتلين إبّان المعارك الدامية وفي حالات القصف والدمار، وهذه الحالات تختلف من فرد لآخر وذلك حسب العمر والخبرة والجنس وعنف القتال. . . كما حدث في أفغانستان، العراق، ولبنان، وفلسطين، والكويت، وحرب إيران ـ العراق، وفيتنام، وكوريا، وغيرها. وهذا القلق والخوف من الموت قد يكون عادياً، وقد يتجاوز حدود المقبول أو العادي ليصبح قلقاً أو خوفاً مَرَضياً يترك أثره السلبي على حياة الإنسان ووظائفه، وقدراته، الجسمية والنفسية، والفكرية والاجتماعية، والمهنية. . . كما يؤثر ذلك تأثيراً سلبياً على مستوى الأداء وخاصة في وسط المعركة.

إن مفهوم القلق يرتبط بمفهوم الخوف، ولكن هناك بعض السمات التي تميِّز بين القلق والخوف، ومن بين هذه السمات أن المنبِّه أو الموضوع المسبب للقلق، وخاصة ما يسمى بالقلق الهائم أو غير محدد الموضوع (Free - Floating) يكون غير محددٍ أو غير معروفٍ، والتهديد بالنسبة للقلق يكون داخلياً وبسبب الصراع النفسي، أو ضعف الأنا أو الإحساس بالذنب. . . إلخ، وعملية الصراع النفسي (The Conflict) موجودة في القلق، والقلق غالباً ما يكون مزمناً، والأسباب غامضة. . . أما في حالة الخوف فيكون موضوع الخوف أو منبِّه الخوف معروفاً ومحدداً، ومصدر التهديد يكون من الخارج، ولا يوجد صراع نفسي في الخوف، وغالباً ما يكون الخوف حاداً، علماً بأن جوزف ولبي، وهانز آيزنك، وغيرهما من علماء السلوك والعلاج السلوكي، يرون بأن القلق والخوف يمثلان شيئاً واحداً.

والقلق على أشكال، منها حالة القلق (Anxiety State) وتكون عندما يدرك الفرد بأن موقفاً ما، أو منبهاً ما يؤدي إلى تهديده، أو إحاطته بخطر، ومنها سمة القلق (Anxiety Trait)، وهي عبارة عن استعداد ثابت نسبياً لدى الفرد يرجع إلى العوامل الوراثية، والتكوين العصبي لدى الفرد، وعامل الشخصية. وفي سمة القلق نلاحظ بأن الفرد يكون قلقاً ومتوتراً في معظم مواقف الحياة التي يمر بها، وتكون ردود أفعاله قلقة، ويصعب التحرر من ذلك، أو تجنب هذه السمة. أما القلق من الموت (Death Anxiety) فإنه لا يشير إلى قلق محدد، ولكنه نوع من القلق الهائم أو الطليق يتركز حول عدد من الموضوعات تتصل بالموت والاحتضار، والفراق... إلخ. إنه حالة انفعالية تتضمن عدم السرور والانشغال بالتأمل، والتوقع لأي مظهر من مظاهر الموت.

ولعل أحد الأسباب التي تدعو إلى كره الموت والقلق منه أو الخوف هو أن الإنسان قد يكون لديه آمال يريد التوصل إليها في يوم ما، أما الموت فإنه لا شفاء منه ولا علاج له، ولا مفر منه... ومشكلة الحياة والموت شغلت الفلاسفة والعلماء ورجال الدين وعلماء النفس، كما شغلتهم أيضاً العلاقة بين النفس والجسد (Mind - body Relationship)، وتبيَّن لهؤلاء بأن الموت هو عبارة عن كف تام ودائم لحالة الوعي أو الشعور، وتوقف المخ عن أداء وظيفته بالنسبة للعمليات الحسية والحركية والوظائف العقلية العليا مثل الإدراك والانتباه والتذكر... إلخ، كما اهتم العلماء بردود فعل الأفراد تجاه الموت من حزن، وحداد، وكآبة، وبكاء، وانتحار... ووجدوا بأن هذه الردود أفعال تؤثر على الصحة النفسية والجسدية وعلى الأداء المهني، مما يدفع بالبعض إلى الإفراط في التدخين، أو تعاطي المهدئات، أو تناول المسكرات والمخدرات وغيرها، وذلك استجابة لما يعانونه من قلق واكتئاب وحزن وآلام... وتشير بعض المراجع إلى أن أتجاه الناس نحو الموت هو اتجاه متناقض (Paradoxical)، أي أن الناس يسلِّمون بالموت ولا يستطيعون نكرانه ومع ذلك فإنهم يكرهونه ويتناسونه، وفي القرآن الكريم جميع الناس فانون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر/ ٣٠]، والموت نهاية لحياة وبداية لحياة أخرى في الآخرة نجهل ما فيها، وكذلك هو بداية لحياة أخرى في الدنيا، حيث تبقى ذكريات الإنسان وأعماله الطيِّبة في الدنيا والآخرة بعد مماته،

والحديث يقول (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [رواه مسلم]. لهذا فإن كثيراً من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وغيرهم يبقى ذكراهم بعد مماتهم من خلال أعمالهم العلمية، ومؤلفاتهم وأبحاثهم، ومحاضراتهم، ومؤتمراتهم العلمية وغير ذلك... ومن خلال ما تركوه في الدنيا لدى تلامذتهم، وأبنائهم... وتختلف النظرة إلى الموت باختلاف الأفراد والفروق الفردية (Individual Differences) بينهم من حيث الذكاء، والتربية، والقيم، والوعي، والقلق، والاندفاع، والقدرة على السيطرة والخبرة السابقة، والعمر، والجنس... ومستوى الإيمان... إن خوف الناس من الموت أمر طبيعي وعادي، ولكن المبالغة في الخوف أو القلق هو أمر غير عادي أو غير سوي، يشير إلى وجود اضطراب في الشخصية.

والإسلام نزع الخوف والرهبة من الموت من صدور الناس، بل إن الإسلام حبَّب الموت إلى الناس وأضفى عليه الصورة المحبَّبة للإنسان، وقد دعا الإسلام إلى الجهاد، وإلى الاستشهاد في سبيل الله، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك/ ٢]، ويعتبر الرسول العظيم الموت عبارة عن ولادة جديدة حيث يقول: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا). ونحن نلاحظ أن كثيراً من المتدينين وصل بهم الزهد والتصوف إلى الدرجة التي لا يخشون فيها الموت أبداً، بل إن بعض المجاهدين في سبيل الله، قد يشتاقون ويتلهفون ولا يخافون الموت، وحسبنا في ذلك ما نشاهده من عمليات استشهادية وجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق ونصرة الدين والدفاع عن الوطن وعن كرامة المسلمين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة/ ١١١].

ولقد دعا الإسلام إلى الجهاد وإلى مقاتلة الأعداء للدفاع عن الدين، والوطن، والثروات، ولدفع الفتنة عن المسلمين، والقتال هو أحد وجوه الجهاد الذي فرض على المسلمين، والاستشهاد هو أيضاً أحد وجوه الجهاد في سبيل الله. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران/ ١٦٩] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٤] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران/ ١٥٧]. ويرى البعض أن من أسباب قلق الموت أن لا مفر منه، وأن ليس للموت دافع، والإنسان يجهل زمان ومكان وظروف الموت، ولكن من حسن الحظ أن عامل العقيدة والإيمان يلعب دوراً هاماً في عدم الخوف من الموت على العكس من الأفراد الذين ضعف إيمانهم، فهم يخشون الموت بشدة.

إن الموت لدى المسلم هو ليس ذلك المجهول الذي يبث الرهبة والخوف في النفوس، ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش عمراً زائلاً في الدنيا، وعمراً خالداً في الآخرة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران/ ١٤٥]. إن الإسلام نظَّم للمسلم أمور دنياه وأمور آخرته.

هذا وقد حاول البعض التمييز بين قلق الموت، وقلق الاحتضار (Dying Anxiety)، أي معاناة الفرد الأخيرة بسبب الإصابة أو المرض، وما يتبع ذلك من آلام ومعاناة تنتهي بالموت، مع الإحساس باليأس والقنوط من الشفاء، وقد ثبت من الدراسات بأن استجابة المريض الذي يحتضر هي الاكتئاب أكثر من القلق، أما عن مكونات قلق الموت فهي الخوف من الاحتضار، والخوف مما سيحدث بعد الموت، والخوف من توقف الحياة، والخوف من التفسُّخ أو التحلل، ومن الانفصال، وموت الذات، ومن موت الآخرين، أو الخوف من احتضار الآخرين. والواقع أن قلق الموت هو تركيب متعدد الأبعاد، يختلف من فرد لآخر، ويمر بمرحلة الاحتضار التي تتصف بالإنكار والعزلة، وبحالة الغضب والسخط (لماذا أنا بالذات؟)، والمساومة، ثم الاكتئاب، ثم مرحلة التقبل وانتهاء النضال، وقد ثبت بأن العاملين في مجال الرعاية الصحية لا يعاملون المرضى المحتضرين معاملة لائقة، بل يميلون إلى تجنبهم وإهمالهم، بينما يرغب هؤلاء المرضى بمناقشة مرضهم... ويمكن قياس قلق الموت عن طريق المقابلة الشخصية بالإضافة إلى الاختبارات النفسية، الاختبارات الإسقاطية، مثل اختبار (T. A. T)، وأجهزة التغذية الراجعة الحيوية (Biofeedback)، كما أن هناك عدداً من اختبارات قلق الموت مقياس لورا كوليت ـ ديفيد لستر ومقياس دونالد تمبلر (١٩٦٧).

أما عن قلق الموت وبعض المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية فقد أشارت بعض الدراسات إلى عدم وجود علاقة بين قلق الموت والعمر، وأن الإناث أعلى في قلق الموت من الذكور، وقد لوحظ بأن نسبة (٨٧٪) من المقاتلين في أرض المعركة يقلقون من الموت، وقلق الموت لدى الضباط أقل من المجندين، وأقل منهم لدى زوجات الضباط، كما أن المهن أو المهام الخطرة لدى رجال الشرطة، وإطفاء الحرائق، والمظليين، والمهن المتعلقة بالأموات مثل الطبيب الشرعي، وعمال الدفن، فإنه لم تظهر فروق دالة إحصائياً بين أصحاب هذه المهن والمجموعات الضابطة، وتبين بأن مستوى قلق الموت يزداد لدى من يعانون من أمراض جسمية. إن مرضى السرطان على فراش الموت كشفوا عن مستويات منخفضة من قلق الموت، وكذلك مرضى غسيل الكلية الذين كشفوا عن مستوى متوسط من قلق الموت...

أسباب قلق الموت لدى عينة مصرية

- الخوف من نهاية الحياة.
- الخوف من الحساب والعقاب في الآخرة.
- الخوف على الأولاد.
- الخوف من مصير الجسد بعد الموت.
- الخوف من عدم تحقيق الأهداف قبل الموت.
- الخوف من ترك ملذات الدنيا.
- الخوف من مفارقة الناس.
- الخوف من الانتقال إلى حياة الآخرة.
- الخوف من الوحدة.
- الخوف من قلة الأعمال الصالحة.
- بسبب موت أحد الأقرباء أو الأقران بعمر صغير.
- الخوف من المجهول بعد الموت.
- الخوف من ملاقاة الله عز وجل.
- الخوف من الموت قتلاً.

- الخوف من الموت بعد مرض عضال.
- الخوف من مفارقة الروح للجسد.
- الخوف من موت الإنسان قبل أن يؤدي العبادات.
- الخوف من مشاهدة الآخرين لاحتضار الشخص ذاته.
- الخوف من توقيت الموت في أي لحظة مفاجئة.
- الخوف من الموت حرقاً.
- الخوف أن يحزن الأحياء على الأموات.
- التشاؤم عموماً من الموت.
- الخوف من الموت بسبب عدم الفهم الواعي لمعنى الموت.
- ....

أسباب قلق الموت لدى عينة سعودية

- الخوف من العقاب على الأعمال الدنيوية.
- الخوف من عدم تحقيق الآمال قبل الموت.
- الخوف من مفارقة الأهل والأحباب.
- حب البقاء والتمسك بالدنيا.
- عدم الإيمان وضعف الوازع الديني.
- التقصير في النواحي الدينية.
- الخوف على الأولاد والأسرة، وهو العائل الوحيد.
- الرغبة في التمتع أكثر بالدنيا.
- عدم معرفة المصير بعد الموت.
- الخوف من ظلام القبر وعذابه.
- الموت هادم للذات ومفرق للجماعات.
- هذا الخوف غريزة في الإنسان.
- عدم معرفة آخر يوم في الحياة.

- يصاحب خروج الروح من الجسد ألم شديد.
- الخوف من المجهول.
- كثرة الذنوب.
- الخوف من عذابِ النار ومن يوم القيامة.
- ....

أسباب قلق الموت لدى عينة لبنانية

- الحرب الأهلية.
- ما يحدث بعد الموت.
- الحساب والعقاب.
- عذاب القبر.
- الخوف من الإحساس بالألم.
- يوم القيامة.
- عدم فهم طبيعة الموت.
- الخوف من فقدان السعادة.
- قلة الإيمان.
- الخوف من طريقة الموت.
- تمسك الإنسان بالبقاء.
- الحرب أثرت في نفوس الناس.
- الخوف من الموت من دونْ ستر أو غطاء.
- استمرار الحرب الأهلية.
- مأساة الشعب اللبناني.
- سماع القصف يومياً.
- توقع الموت في كل لحظة.
- ....

العلاج

يعالج قلق الموت في الحالات الشديدة بالأدوية المهدئة، وبالعلاج السلوكي (Systematic Desensitization) وبعملية التحصين المنظم، وبالتدريب على الاسترخاء، واستخدام أجهزة التغذية الراجعة الحيوية، وكذلك العمل على خفض مستوى قلق الموت لدى العاملين في المراكز الصحية من أطباء وممرضين، وذلك حتى يتعاملوا بكفاءة مع المرضى المحتضرين. وقد يصحب قلق الموت حالة اكتئاب، أو عصاب قلق، أو حالة وساوس، لهذا يمكن استخدام العقاقير، أو العلاج الكهربائي (ECT)، ويفيد العلاج النفسي الجماعي، والتأهيلي، والعلاج بالعمل، والعلاج النفسي السلوكي - المعرفي، كما يفيد العلاج التثقيفي للموت (Death Education) عن طريق المحاضرات والحلقات الدراسية من أجل خفض قلق الموت لدى أصحاب المهن الذين يتعاملون مع المرضى المحتضرين.

الفصل السادس

الأمراض النفسية

* الضغوط النفسية والاضطرابات
* اضطرابات التحويل، الهستيريا التحويلية
* اضطراب الإحساس بالآلم
* الوساوس القهرية
* الهوس والاكتئاب
* اضطراب الفصام العقلي
* الإدمان على الكحول والمخدرات...

الضغوط النفسية والاضطرابات

Stress and Psychosomatic Disorders

إن الضغوط النفسية التي يتعرض إليها المقاتل خلال المعارك، أو قبل دخول المعركة، وما يصاحب ذلك من توترات وقلق ومخاوف، بالإضافة إلى التعرض إلى الشدَّة الصدمية، وإلى أعراض ما بعد الشدَّة الصدمية (P. T. S. D.) تؤدي أحياناً بالفرد العسكري إلى التعرض إلى الاضطرابات النفسية ـ جسدية التالية:

الاضطرابات النفسية ـ جسدية (السيكوسوماتية)

(**Psychosomatic Disorders**)، مثل:

١ ـ اضطرابات جهاز الهضم

١ ـ القرحة المعدية.

٢ ـ قرحة الاثني عشرية.

٣ ـ قرحة القولون.

٤ـ الإمساك أو الإسهال المزمنين.

٥ ـ عسر الهضم.

٦ ـ السمنة المفرطة.

٧ ـ فقدان الشهية للطعام العصبي.

٢ ـ اضطرابات جهاز التنفس

١ ـ الحساسية الأنفية للروائح.

٢ ـ الإصابة بنزلات البرد.

٣ ـ الربو.

٤ ـ التدرن الرئوي (السل).

٣ ـ اضطرابات جهاز القلب والدوران

١ ـ الخفقان ولغط القلب الوظيفي.

٢ ـ عصاب القلب.

٣ ـ ضغط الدم (انخفاض ضغط الدم، ارتفاع ضغط الدم، ضغط الدم الجوهري).

٤ ـ الذبحة الصدرية.

٥ ـ الإصابة بانسداد الشرايين التاجية والأوعية الدموية.

٤ ـ اضطرابات الجلد

١ ـ الحكَّة أو الهرش.

٢ ـ تساقط الشعر.

٣ ـ فرط التعرق.

٤ ـ مرض الصدفية (القوباء).

٥ ـ الأكزما.

٥ ـ الاضطرابات الجنسية

١ ـ العنة الجنسية (الضعف الجنسي لدى الرجل).

٢ ـ القذف المبكِّر.

٣ ـ القذف المتأخر.

٤ ـ العقم.

٥ ـ متلازمة الكوفاد لدى الرجال.

٦ ـ اضطرابات الجهاز العضلي والهيكلي

١ ـ آلام الظهر (اللمباجو).

٢ ـ التهاب المفاصل شبه الروماتزمي.

٣ ـ الشلل الهستيري.

٤ ـ ضمور العضلات أو تضخمها.

٧ ـ اضطرابات جهاز التبول

١ ـ عسر التبول.

٢ ـ سلس البول.

٣ ـ كثرة مرات التبول.

٨ ـ اضطرابات جهاز الغدد

١ ـ مرض السكَّري.

٢ ـ التسمم الدرقي.

٩ ـ اضطرابات الجهاز العصبي

١ ـ الصداع.

٢ ـ الصداع النصفي (الشقيقة).

٣ ـ الخلجات العصبية.

٤ ـ الدوخة أو الدوار.

١٠ ـ اضطرابات النوم

١ ـ الأرق.

٢ ـ الأحلام المزعجة والكوابيس.

٣ ـ كثرة النوم.

١١ ـ توهم المرض (Hypochondriasis)[١]

النيوراستينيا أو الإعياء النفسي (Neuraesthenia): ويسمى هذا الاضطراب بالضعف العصبي، وقد استعمل هذا المصطلح لأول مرة عام (١٨٦٩م) ليشير إلى عدد من الحالات العصابية النفسية الناجمة عن ضغط الحضارة الحديثة ومشاكل الحياة، وتأثير الأزمات، وقد كان ينظر إلى هذا الاضطراب في مطلع القرن التاسع عشر كعرض جامع لكافة الأمراض العصابية النفسية،

(١) لمزيد من المعلومات حول الأمراض النفسية ـ جسيمة يمكن مراجعة كتاب الأمراض النفسية ـ جسدية للمؤلف، دار النفائس، بيروت، (٢٠٠٠م).

إلاّ أن المعالجين لاحظوا بأن معظم أعراض هذا المرض تدخل في إطار القلق والخوف والهستيريا التحويلية. وقد كان يعتقد بأن هذا العرض ينجم عن تعرض الإنسان إلى حالة إجهاد بسبب حالة صراع نفسي مزمنة، وحيث تحدث تغيرات بيوكيميائية لدى الفرد تؤثر على الجهاز العصبي، وقد ثبت بأن هذا الاضطراب لا ينجم عن إصابة عضوية عصبية، ويحتمل أن يسبب الضغط النفسي الشديد والمزمن إلى حالة من الإرهاق والملل والروتين، وإلى ضعف في الوصلات العصبية مما يؤدي إلى هبوط وظيفي في الجهاز العصبي، وبالتالي عدم استعادة للنشاط العادي. ويختلف الأفراد في مدى استعدادهم للإرهاق والإعياء النفسي وذلك حسب البنية الوراثية للجهاز العصبي، وقدرة الغدد الصم على التكيف مع المنبهات البيئية ومستوى المناعة النفسية. واضطراب النيوراستينيا يختلف عن حالة التعب والإجهاد العضلي أو الفكري والذي يصاب به الفرد بسبب القيام بعمل أو بنشاط معين... حيث أن الخاصية الوحيدة للنيوراستينيا هي شكوى الفرد من إحساس مستمر بالإجهاد والتعب والإعياء، وعدم القدرة على العمل أو النشاط... ومن دون أن يكون هناك مبرر لذلك. وهنا يجب التمييز بين أعراض النيوراستينيا وبين أعراض بعض الأمراض الجسمية المزمنة التي تشبه أعراض النيوراستينيا، مثل حالات فقر الدم، ونقص الفيتامينات والمعادن في الجسم، واضطرابات الغدد الصم، وأمراض الكبد والكلية، والأمراض العقلية... إن مريض النيوراستينيا يشعر بالتعب عند مزاولته أبسط الأعمال التي تستغرق دقائق، ويتعذر عليه مواصلة العمل، حتى لو توفرت له الراحة الجسدية. والفرد يشعر بالضيق، وعدم القدرة على مواصلة التفكير، مع صعوبة في التذكر، وبلادة زائدة، وتوقع الانهيار في كل وقت، والحساسية الزائدة للضوء، وللمنبهات الأخرى كالصوت، مع معاناة الأرق، والصداع، والخوف من المرض، وسيطرة أفكار الموت. وقد تبين بأن الجنود الذين يعودون من أرض المعركة، أو الذين يكونون في حالة انتظار لدخول المعركة يعانون من أعراض النيوراستينيا من دون وجود مبرر أو تفسير لذلك.

توهم المرض «داء المراق» (Hypochondriasis): يعتبر توهم المرض اضطراباً نفسياً مضمونه اعتقاد الفرد بوجود مرض ما في جسمه على الرغم من أنه لا يوجد أي دليل طبي على ذلك، أي من دون وجود أساس عضوي

لهذا الاضطراب، وينشغل الفرد بمخاوف من وجود مرض، أو، أحياناً، الخوف من الإصابة بمرض ما خطير، ويقوم التقدير على سوء تفسير للأعراض البدنية. وهذا الانشغال بالأعراض الوهمية يستمر بالرغم من التطمين الطبي وكذلك التقييم والفحوص الطبية التي تنفي وجود المرض، ويسبب ذلك كرباً وانزعاجاً ينعكس سلبياً على الوظائف الاجتماعية والمهنية. ولا بد من أجل تشخيص هذا الاضطراب من أن يدوم لمدة ستة أشهر على الأقل حسب (DSM - IV)، وهذه لا تكون بسبب قلق معمم، أو اضطراب وسواسي ـ قسري، أو اضطراب هلع، أو عارضة اكتئابية، أو اضطراب فراق أو انفصال، أو اضطراب تجسيدي (من جسد) من نوع آخر. ويمكن أن يكون ذلك مصحوباً باستبصار ضعيف إذا كان المريض في معظم الوقت لا يدرك بأن الخوف من إصابته بمرض خطير هو ليس معقولاً، وفيه مبالغة، وهذا ما يدفع بالمريض إلى الاهتمام بنفسه وبجسده، مع الإحساس بالضعف والخوف، وبعدم الثقة، وهذا ما يؤثر على قدرة الفرد على التكيف. ويحدث عادة توهم المرض لدى الكبار في أعمارهم بين (٥٠ ـ ٦٠) سنة، ونادراً ما يوجد لدى الأطفال إلاّ في حالات فقدان الأم والإيداع في المؤسسات، كما أن هذا الاضطراب شائع لدى الإناث أكثر من الذكور، وفي حالات العجز والإعاقة، وفي المواقف التي يتعرض فيها الفرد إلى ضغوط نفسية شديدة أو إلى إصابات عضوية، أو تسممات، كما في حالات استخدام الأسلحة الكيميائية، وانتشار الأوبئة والأمراض... والفرد يتوهم بأن مرضه عضوي وبعد الفحص والتقييم يتبيَّن بأن المشكلة نفسية وجدانية المنشأ. ويحدث ذلك أيضاً لدى بعض الأفراد من ذوي الحساسية النفسية الذين يتوهمون بأنهم مرضى ببعض الأمراض التي سمعوا أو قرأوا عنها، وفي حالة المعاناة من القلق ووجود عدوان مكبوت، والفشل في الحياة عامة وإحساس الفرد بالاضطهاد والنبذ وبعدم قيمته، وإحساسه بالنقص... إلخ. ويكون توهم المرض بمثابة شعور رمزي عن ذلك، ويمكن أن يحقق بعض المكاسب، ويخفف من مشاعر التوتر والاضطهاد... ويمكن للفرد أن يكتسب توهم المرض من والديه، كما يظهر التوهم في حالة فقدان الحب وانهيار الدفاعات النفسية ضد حالات العدوان الجنسي.

ومن أعراض هذا الاضطراب أيضاً سيطرة فكرة المرض على الفرد وبشكل وسواس قهري، وكثرة التردد على الأطباء، والمبالغة في الأعراض التافهة، والاعتقاد بوجود مرض خطير، والجري دائماً وراء فتاوى العلاج، هذا بالإضافة إلى شكاوى جسمية خاصة بالمعدة وبالأمعاء. ويجب ملاحظة بأن شدة الحساسية والمبالغة في توهم المرض قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية ـ جسدية. وفي بعض الحالات يكون اختيار العضو الذي هو مركز لتوهم المرض له علاقة رمزية بالمشكلة النفسية التي تكمن وراء توهم المرض، وغالباً ما تكون الأسباب لاشعورية عميقة في النفس. وتوهم المرض نادراً ما يظهر على شكل عصاب مستقل، ولكنه غالباً ما يصاحب أعراض مثل الاكتئاب، وفي بعض الحالات يكون توهم المرض إضافة إلى مرض عضوي فعلي يجعل الأعراض مبالغاً فيها، وتكثر حالات توهم المرض لدى العسكريين وقبل دخولهم مناطق الخطر أو القتال. وتعالج مثل هذه الحالات بالأدوية النفسية المطمئنة (الوهمية) (Placebo)، وبالعقاقير المهدئة، كما أن العلاج النفسي التحليلي، والسلوكي ـ المعرفي، والعلاج بالعمل يفيد في مثل هذه الحالات.

اضطراب التحويل (Conversion Disorder)
الهستريا التحويلية (Conversion Hysteria)

اضطراب التحويل، أو ما يسمى بالهستيريا التحويلية، أو ردُّ الفعل التحويلي الجسمي، من أعراضها إصابات أو اضطرابات عضوية مثل العمى الهستيري، والصمم الهستيري، وفقدان الكلام الهستيري، وفقدان الذاكرة الهستيري، والشلل الهستيري، والتشنجات والاختلاجات المصاحبة لذلك. وفي الهستيريا التحويلية يكون المريض مخلصاً تماماً في إحساسه بالمرض، فبالرغم من أن الاضطراب العضوي الوظيفي يحدث في أحد أجزاء الجسم الذي يتحكم فيه عادة تحكماً إرادياً شعورياً، إلاّ أن الإصابة نشأت بسبب عوامل لاشعورية، ويكون العجز أو الإصابة غير مصطنعة ولا يمكن علاجها إلاّ بعد الكشف عن العوامل النفسية العميقة التي أدت إلى ذلك. وكثيراً ما تضطرب أعضاء الحس خلال الهستيريا التحويلية فيشعر المصاب بنوع من الخدر، وكأن أجزاء من الجسم قد تخدَّرت، أو يشعر بآلام مبرحة. وفي كتاب المعايير التشخيصية (DSM - IV) نجد أن في اضطراب التحويل لا بد من توفر المعايير التالية:

١ ـ عرض واحد أو أكثر أو قصورات تؤثر على الوظيفة الحركية أو الحسية الإرادية توحي بوجود مرض طبي عام، أو مرض عصبي.

٢ ـ أن تكون العوامل النفسية مقترنة بالعَرَض أو بالعجز، ولأن بدء العَرَض يكون مسبوقاً بصراعات نفسية وضغوط وموثرات...

٣ ـ إن العَرَض لا يكون مصطنعاً ولاإرادياً (على العكس من حالة التمارض).

٤ ـ إن العَرَض لا يمكن أن يفسَّر، وذلك بعد الفحص بوجود مرض طبي عام، أو بسبب تعاطي مادة...

٥ ـ يسبب العَرَض الهستيري كرباً سريرياً مهماً، أو إعاقة في أداء الوظائف المدرسية والمهنية...

٦ ـ إن العَرَض أو العجز لا يقتصر على الألم أو سوء الوظيفة الجنسية... ولا يكون بسبب اضطراب نفسي آخر.

وعلى الأخصائي تحديد فيما إذا كان العَرَض (أو الإصابة):

١ ـ العَرَض مصاحب لعَرَض حركي أو قصور (أي خلل في التوافق الحركي أو التوازن، أو شلل، أو ضعف متوضع، أو صعوبة في البلع، أو لقمة في البلعوم، أو غياب الصوت، أو احتباس البول).

٢ ـ العَرَض مترافق بعرض حسِّي أو قصور (أي فقدان الحس باللمس، أو الإحساس بالألم، أو رؤية مزدوجة، أو العمى، أو الصمم، أو الأهلاس).

٣ ـ الاضطراب مترافق بنوبات اختلاجية أو صرعية، ومن ضمنها نوبات صرعية أو اختلاجية تتواجد فيها عناصر حسِّية أو حركية إرادية.

الصفات العامة للشخصية الهستيرية

يمكننا أن نلخص الصفات العامة للشخصية الهستيرية بما يلي:

١ ـ القصور الوجداني وعدم النضج، وعدم الاتزان العاطفي، مع سطحية الانفعال، والتغير السريع في المزاج.

٢ ـ المزاج المنبسط (عكس المنطوي).

٣ ـ القابلية للإيحاء وسرعة التأثر.

٤ ـ الأنانية وحب الظهور ولفت انتباه الآخرين، وحب الاستعراض، والمبالغة في الكلام، وفي الملبس... من دون وجود مبرر منطقي.

٥ ـ التغير السريع في النواحي الوجدانية، والانتقال من حالة السرور والمرح إلى الحزن والبكاء...

٦ ـ تفسير معظم الظواهر العادية بطريقة جنسية.

٧ ـ القدرة على التحلل من الشخصية الأصلية والهروب إلى مواقف معينة، وتلوُّن الشخصية.

٨ ـ غالباً ما يكون الهستيري أمْيَل إلى النحالة، وصغر الحجم، ومن ذوي ذكاء متوسط أو ضعيف.

٩ ـ تزداد الأعراض الهستيرية في عمر البلوغ والمراهقة وذلك بسبب عدم النضج الكامل، وكذلك لدى المسنين بسبب ضمور الجهاز العصبي. أما في مراحل العمر الأخرى فتختلف النسبة حسب الإجهاد أو الشدَّة.

أعراض الهستريا

١ ـ الشلل الهستيري (Paralysis) في الذراع، أو الساق، أو في جميع الأطراف، وتصلب بعض العضلات، بحيث يصبح المريض غير قادر على الحركة.

٢ ـ اللازمات العصبية الهستيرية (Tics)، وهي حركات عضلية مفاجئة في الوجه مثلاً، حركات الرقبة أو الرأس الفجائية، أو تسليك الزور عن طريق النحنحة...

٣ ـ الارتجافات الهستيرية (Tremors) كما في رجفان اليدين، أو الرأس، أو جميع أجزاء الجسم، والارتجافات تكون غير منتظمة، وتختفي عند تشتيت انتباه المريض، وهذه الارتجافات لا تحدث في الغالب إلاّ عند قيام الفرد بعمل ما.

٤ ـ النوبات الهستيرية (Hysterical Fits)، وهي نوبات تشنجية، وأكثر الأعراض شيوعاً، وتستمر النوبة من دقائق إلى بضعة أيام، وتتراوح بين حالة الإغماء البسيط إلى التهيج العصبي مع تحطيم كل ما هو أمام المريض. وتحدث النوبة في حال وجود عدد من الأهل أو الأقرباء، وتكون بعد ضغط نفسي أو أزمة انفعالية.

٥ ـ فقدان الكلام (Aphonia)، فقدان القدرة على الكلام بصوت مرتفع، أو فقدان القدرة على الكلام كلية، وتلاحظ كثير من هذه الحالات بعد إحباط وفشل وإذلال كما في وقت الحروب.

٦ ـ الغيبوبة الهستيرية (Hysterical Coma)، وهذه الحالة تشبه النوم الطبيعي ولا يستجيب الفرد لأي منبِّه، ولا يجيب عن الأسئلة، ولا يأكل، أو يشرب، ويحتاج إلى اهتمام خاص من حيث عملية التبول والتبرز والتغذية.

٧ ـ الجولان الهستيري (Hysterical Gait): إن لكل مرض شكلاً مميزاً

في المشي، وفي الجولان الهستيري يسير المريض باهتزازات شديدة وكأنه تحت تأثير المخدرات، ويتمايل على الجانبين، وأحياناً يأخذ شكل الرقص لدى النساء.

٨ ـ الاضطرابات الجلدية (Dermatitis Disorder)، حيث يبدأ المريض في الحفر في جلده بواسطة أظافره، ولعمق يسبب ألماً أو نزيفاً، أو يبدأ المريض باستعمال آلة حادة يشقق بها جلده، مما يسبب تشوُّهاً في الجسم.

٩ ـ إعوجاج الرقبة (Torticollis)، حيث يشعر الفرد بألم في الرقبة مع عدم القدرة على تحريكها، وتأخذ الرقبة وضعاً على أحد الجانبين، وخاصة بعد صحو الفرد من نومه.

١٠ ـ من الأعراض الحسِّية فقدان الإحساس (Anaethesia)، حيث لا يشعر الفرد بأي ألم عند لمسه بآلة حادة، أو عند حرق إحدى أطرافه، ويكون في كل الجسم، وأحياناً في أماكن متفرقة.

١١ ـ العمى الهستيري (Hysterical Blindness)، ويكون ذلك بعد صدمة انفعالية شديدة، حيث يرغب الفرد لاشعورياً بعدم رؤية الموقف المؤلم، فيفقد الفرد البصر.

١٢ ـ فقد التذوق، أو الشمِّ الهستيري.

١٣ ـ الآلام الهستيرية، وهي من الأعراض الشائعة، ونلاحظ المريض يتردد على الأطباء بدون وجود سبب عضوي، ومعظم الأسباب نفسية وجدانية اجتماعية، ومن أجل تحقيق مكاسب ثانوية.

١٤ ـ هناك شكل من أشكال الصداع يأخذ الطابع الهستيري، مثل التلميذ الذي يعاني من الصداع الذي يمنعه من مواظبة الدراسة..

١٥ ـ القيء والغثيان الهستيري، ويوجد لدى الإناث أكثر من الذكور، ولدى الطالبات قبل الامتحان، وبين الزوجات قبل العملية الجنسية بسبب كراهية الزوج.

١٦ ـ الحمل الكاذب.

١٧ ـ فقدان الشهية للطعام (Anorexia)، أو الشهية الزائدة (Bulimia).

١٨ ـ السعال السهتيري، ويكون بعد صدمة وجدانية، ويعبِّر عن رغبة لاشعورية في النفور.

١٩ ـ التجشؤ أو الفواق (Belching) وانتفاخ البطن، والكرة الهستيرية في البلعوم.

٢٠ ـ البرود الجنسي، وآلام الجماع، والتقلص المهبلي.

٢١ ـ فقدان الذاكرة (Amnesia).

٢٢ ـ التجوال الهستيري (Fugue).

٢٣ ـ المشي أثناء النوم (Somnambulism).

٢٤ ـ الهذيان الهستيري.

٢٥ ـ تعدد الشخصيات وازدواج الشخصية (Multipersonality).

وتعالج هذه الحالات بالتحليل النفسي وبالكشف عن العوامل اللاشعورية العميقة المسببة للاضطراب، بالإضافة إلى العلاج الدوائي بمضادات القلق والاكتئاب المصاحبة للأعراض الهستيرية، ولا تعطى الصدمات الكهربائية لعلاج مرض الهستيريا، بالإضافة إلى العلاج النفسي السلوكي، والمعرفي.

اضطراب الإحساس بالألم
(Pain Disorder)

تشير الدراسات الطبية والسريرية إلى أن الألم عبارة عن إحساس يتوقف على الشخص نفسه، بمعنى أن مشاعر الإنسان وانفعالاته حيال إصابة ما، يمكنها أن تحدد مدى ما تشعر به من ألم ناتج عن هذه الإصابة، فالجندي داخل المعركة يمكن أن يصاب بجرح شديد ولكنه لا يشعر بالألم ويستمر بالقتال لفترة من الزمن، وهذا يكون بسبب أن مشاعره وتفكيره وأحاسيسه متركزة على جو المعركة، وفي بعض الحالات قد يعتبر الجندي هذه الإصابة مفيدة لأنها تبعده عن جو المعركة والقتال وتجعله يشعر بالأمان. والإنسان قد تصاب قدمه وهو ذاهب للرد على مكالمة هاتفية هامة، فنجده رغم إصابته يتابع حديثه على الهاتف... أما إذا حدثت الإصابة في وقت لا يشغل فكر الإنسان وأحاسيسه أي شاغل، فإنه يشعر بألم شديد وغير محتمل.

ويعتبر الألم من الناحية الطبية إشارة تدل على الإصابة أو المرض، والألم في حد ذاته له جهاز عصبي حسِّي خاص، فالمستقبلات في الجلد والنسج العميقة تحتوي على نهايات عصبية دقيقة تكوِّن شبكة في أنحاء الجسم، وتكون كل بقعة في الجلد تحت تأثير (٢ ـ ٣) خلية عصبية لنقل الألم، وتوجد المستقبلات الحسِّية للألم في بصيلات (كراوس)، وللألياف العصبية المشرفة على الألم قياسان منها القطر الرفيع وتكون في حدود (٢ ـ ٣) ميكرومتر، (ألياف ثيتا)، وسرعة نقلها للألم تكون بطيئة، ومنها ذات القطر الواسع في حدود (٦ ـ ٨) ميكرومتر (ألياف دلتا)، وسرعة نقلها للألم يكون كبيراً، ويختلف المنبه الذي يثير الألم باختلاف النسج المنبهة. فالمنبهات التي تنبِّه الجلد هي التي تؤذي النسيج كما في حالة الوخز، والحرق، والقطع، والهرس، والتجميد... ولكن هذه المنبهات قليلة التأثير في المعدة والأمعاء. فألم المعدة والأمعاء يحدث عن طريق الرضِّ الموضعي على مخاطية ملتهبة أو محتقنة، أو بتوتر عضلة ملساء أو تشنجها،

ويحدث الألم في عضلات الهيكل العظمي بسبب نقص التروية الدموية؛ أو بسبب النزف، ونقص التروية هو السبب الوحيد في ألم عضلة القلب، والمفاصل تكون غير حساسة للوخز والقطع والكي، ويحدث ألم الشرايين إذا نبضت بشدة... وجميع هذه المثيرات تثير النهايات العصبية.

وللألم من الناحية الفيزيائية عتبة إدراك، وهي الدرجة الدنيا للمنبه الآلمي المعترف به كألم واحد لدى جميع الأفراد، وهذه العتبة تنخفض بالالتهابات وترتفع بالتخدير الموضعي، وبالأدوية المسكنة للألم، كما أن تركيز الفكر على الجزء المؤلم بالإيحاء يخفف من الشعور بالألم والتفاعل معه (دور التنويم المغناطيسي في إجراء بعض العمليات الجراحية بدون ألم)، كذلك فإن عامل الإيحاء يؤدي أيضاً إلى الألم، كما أن الانفعالات كالخوف والغضب والتوتر... تطمس الألم. وتختلف درجة الألم والشكوى منه باختلاف الشخصية، والحالة النفسية للفرد، وبعض الأفراد، وبسبب التعود وبرودة الطبع، يكونون أكثر تحملاً للألم، وهناك أفراد لا يتأثرون بالألم نهائياً وذلك بسبب إصابة الجهاز العصبي لديهم، أو التركيز العميق لقدراتهم العقلية على موضوعات غير موضوع الألم كما في الفرق الصوفية، والفرق الدينية (احتفال عاشوراء) (حالات الماسوشية)، ويرى الأطباء بأن لا شيء يحط من قدرات الإنسان أكثر من الألم، فالألم الدائم له تأثير على الجملة العصبية، حيث يتعرض الفرد إلى الإعياء والتعب وإلى اضطراب في النوم مما يدفعه نحو تناول المسكنات أو المخدرات والتعود عليها، وقد ذكر طبيب التخدير العالمي من جامعة هارفارد، بأن إصابات الجنود في الحرب العالمية الثانية دلت على أن في كل أربع إصابات بالغة لدى المقاتلين كانت هناك إصابة واحدة تحتاج إلى تسكين، بينما كانت هناك حاجة لتسكين آلام ثلاثة مصابين من أصل أربع إصابات لدى المدنيين، وكانت إصابات المدنيين أصغر بكثير من إصابات المحاربين، والمشكلة في الألم عندما يكون شديداً ومستمراً. وحسب المعايير الواردة في كتاب (DSM - IV) تحت عنوان الاضطرابات ذات الشكل العضوي، نجد ما يلي:

١ ـ الألم يكون على مستوى من الشدَّة الكافية يستحق معها الاهتمام السريري.

٢ ـ يسبب الألم كرباً سريرياً أو إعاقة للوظيفة الاجتماعية أو المهنية أو للوظائف الأخرى.

٣ ـ للعوامل النفسية دور مهم في ظهوره، وشدته، وتأزمه، أو في بقائه واستمراره.

٤ ـ إن العرض أو العجز لا يكون قصدياً إرادياً أو مصطنعاً (عكس ما نجده في حالة التمارض).

٥ ـ لا يكون سبب الألم اضطراباً في المزاج أو قلقاً، أو ذهاناً.

٦ ـ ألم حاد، مدة الألم أقل من ستة أشهر.

٧ ـ ألم مزمن، مدة الألم ستة أشهر فأكثر.

٨ ـ يمكن أن يترافق الألم مع عوامل نفسية ومرض طبيٍّ عام (ألم أسفل الظهر، ألم العصب الوركي، ألم الحوض، الصداع، ألم الصدر، ألم بطني، ألم بولي، ألم كلوي...).

وعادة يميِّز الأطباء بين.

١ ـ الألم السطحي الوارد من إحساسات الجلد.

٢ ـ الألم الحشوي، وهو ألم الأحشاء والعضلات، وهو ألم شديد، وإذا اشتد يصبح محرقاً كما في حالة تخرُّش المري.

٣ ـ ألم عضلات الهيكل العظمي.

٤ ـ الألم المرتد، حيث يشعر الفرد بالألم الحشوي والعميق على سطح الجلد.

ويعالج الألم بالمسكنات وبتشتيت انتباه المريض عن الألم، وبالتدريب على الاسترخاء والسيطرة على الذات، بالإضافة إلى العلاجات النفسية التحليلية، والسلوكية، والمعرفية كما تستخدم الأدوية الوهمية، والتدريب على تحمل الآلام.

الوساوس القهرية (الحواز)
(Obsessions Compulsive)

لوحظ بأن كثيراً من المجندين والضباط الذين يعانون من اضطراب ما بعد الشدَّة الصدمية تظهر عليهم أعراض الشكوك والوساوس، حيث نجد الفرد يقوم بعمل ما من دون إرادته بل استجابة لدافع داخلي، وفي حالة الوسواس تتسلط فكرة معينة على الفرد ولا يستطيع الفرد التخلص من هذه الفكرة على الرغم من قدرته على الاستبصار، ومع إدراكه بأن هذه الفكرة غير منطقية وسخيفة وخالية المعنى أو القيمة ولا هدف لها، ويعتبر الوسواس القهري أقل الأمراض النفسية شيوعاً. ويلاحظ في الوسواس:

١ ـ وجود أفكار أو دوافع أو انفعالات أو حركات آلية غير منقطية وغير هادفة.

٢ ـ تسلُّط هذه الأفكار أو الدوافع مع تردد ذلك بالرغم من الإحساس بأنها سخيفة.

٣ ـ يحاول الفرد أن يقاوم هذا الوسواس المتسلط وعدم الاستسلام له، ولكن هذه المقاومة تسبب له قلقاً وتوتراً شديدين.

٤ ـ وقد لوحظ بأن مريض الوسواس يكون من النوع الانطوائي (بخلاف الفرد الهستيري)، ويكون المريض شديد التدقيق والحذر، وذا ضمير حساس، وهو متطرف بقيمه، ومدقق مع الغير. ينشغل الوسواسي بترتيب الأشياء، وإتمام العمل، والضبط النفسي على حساب المرونة.

٥ ـ ينشغل بالتفاصيل، والقواعد، واللوائح، والنظام، ويظهر نزوعاً نحو إتقان العمل وكماله بحيث يعيق إنجازه بسبب ما يفرضه على ذاته من معايير صارمة، يكرِّس نفسه وبشكل مفرط للعمل، مفرط في محاسبة الذات، غير مرن في الأمور التي تتعلق بالقيم والأخلاق، يظهر عدم المرونة والعناد في مواقفه.

وتكثر حالات الوسواس القهري بين عمر (٢٠ ـ ٤٠) سنة، والمريض لا يأتي للعلاج إلا بعد الإصابة بفترة تتراوح بين أشهر إلى خمس سنوات أو أكثر، وعادة يكون مرضى الوسواس من ذوي ذكاء فوق المتوسط، ومن مستوى اقتصادي واجتماعي يفوق باقي مرضى الأمراض النفسية، ونسبة الشكاوى النفسية المصاحبة للوسواس كالتالي (٧١٪) قلق، (٥٢٪) مخاوف، (١٨٪) اكتئاب، والوسواسي غالباً ما يكون نحيلاً وطويلاً.

من الحالات التي وردت إلى العيادة النفسية حالة مريض تراوده صورة جثَّة بعد تعفنها، وفي كل وقت ومكان، ومريض آخر تراوده فكرة أن أحد الأشخاص سيسرقه، ومريضة تراودها فكرة أنها ستُغتصب وهي تعلم أن ذلك مستحيل. ومن الوساوس الاندفاعية نحو القيام بعمل ما، مريض تنتابه فكرة دفع صديقه من النافذة، وآخر تنتابه فكرة إلقاء نفسه من الطوابق العليا، أو تحت القطار، وبعض المرضى ينتابهم الضحك في المأتم، أو الرغبة في عد الأرقام المفردة والمزدوجة (Arithmomania)، وبعض المرضى تنتابهم فكرة عدِّ شعر الذقن بعد الحلاقة، وسيدة تنتابها فكرة ذبح ابنتها وكانت تصرخ وتبكي وكانت تعتقد بأنها مجنونة، وأصبحت هذه السيدة لا تدخل المطبخ وتخاف من رؤية السكين، ومن الحالات أيضاً رغبة قسرية لدى رجل تسيطر عليه فكرة اغتصاب ابنته، وشاب كان يبحث في القمامة عن الأوراق الملقاة حتى لا يكون اسم الله فيها. وهناك طقوس حركية مثل غسيل الأيدي مئات المرات بعد عملية التبول، أو إعادة الوضوء عدة مرات، أو دخول الحمام لفترات طويلة بسبب الاعتقاد بالنجاسة، وبعض الأفراد يمتنع عن المصافحة. ومن الحالات التي وردت إلى العيادة النفسية حالة امرأة كانت تنام داخل البانيو طوال فترة الطمث، وكذلك امرأة كانت تغسل السرير والجدران في غرفة النوم بعد عملية الجماع الجنسي. ومن الحالات أيضاً فتاة كانت تخاف الجلوس على المرحاض حتى لا تتلوث بالمياه التي يحتمل أن تكون ملوثة بالحيوانات المنوية مما قد يؤدي إلى الحمل، حتى أنها أصبحت تستعمل مرحاضاً خاصاً.

وقد يأخذ الوسواس شكل الأسئلة مثل (لقد خلقنا الله ولكن من خلق الله؟)، (لماذا نعيش ولماذا نموت؟)، (هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر؟). وهناك

سيدة عولجت في مستشفى الطب النفسي تنتابها فكرة احتمال رضاعتها وزوجها من مرضعة واحدة، ومن ثمَّ يكون زواجها حسب الشريعة الإسلامية باطلاً.

وقد يكون الوسواس على شكل أفعال قسرية (Compulsive Acts)، حيث نجد بعض الناس يخضعون لنظام ترتيب معين، فالحذاء الأيمن لا بد وأن يلبس قبل الحذاء الأيسر، وإذا خالف الشخص ذلك فإنه يشعر بضيق وتوتر، وكذلك ترتيب الملابس والأشياء بشكل دقيق ومحدد. وبعض الأفراد يعتدُّون بالأحجية، وأن مجرد قراءة عبارة أو جملة قبل البدء بعمل معين يعتبر في إطار السحر القسري، يضاف إلى ذلك الأفعال القَسرية المناهضة للمجتمع (Anti - Social Compulsive Acts)، مثل السرقة القسرية (Kleptomania)، والجنون في الشراب، والجنون الجنسي القسري (Nymphomania)، والفيتشزم القسري (Compulsive Fetishism) أي جمع الأشياء التي تثير الغريزة، وهناك التطلع الجنسي، والتنصُّت، والاحتكاك أو ملامسة الغير (Frotteur)، وكشف أسرار الناس وغيرها. ويجب على الاختصاصي أن ينتبه فيما إذا كانت أعراض الوسواس هي أعراض ثانوية لأمراض أخرى كامنة خلفها، لذلك يجب فحص المريض عضوياً ونفسياً، ولأن مثل هذه الأعراض الوسواسية قد تظهر في حالات الحمى المخية، أو إصابات الفص الصدغي، وفي حالة الذهان الدوري (Manic-Depression)، وفي حالة اكتئاب سن اليأس، وطبعاً فإن النوباتٰ في مثل هذه الحالات تكون متكررة. وفي حالات الشخصية الانطوائية يكون من الصعب تشخيص الوسواس، وخاصة إذا صاحب ذلك أعراض ذهانية كما في حالة البارانويا، وحيث قد يتجه الاهتمام نحو الفصام، وخاصة أن بعض مرضى الوسواس القهري يصابون بأعراض الفصام، كما أن بعض مرضى الفصام تبدأ أعراضهم بعصابات قهرية. ولا بد من دراسة تاريخ حالة المريض، وقد أشار عالم التحليل النفسي أوتو فينخل (١٩٣١) إلى أن مريض الوسواس ليس لديه قدرة على عملية التحويل النفسي، مع عدم وجود تعاون وجداني، مع تغيُّر في أعراض المرض، وعدم القدرة على تحقيق الاسترخاء التام نظراً لملاحظته الدائمة لسلوكه وكلامه وأفكاره. ويستفيد مريض الوسواس من العلاج البيئي الاجتماعي، أي تغيير الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بالمريض، وحتى

يبتعد المريض عن مصدر الوسواس وخاصة إذا كان الوسواس له علاقة بالأمور المادية والبيئية مثل الخوف من التلوُّث، بالإضافة إلى العلاج الكيميائي بالعقاقير المضادة للقلق وللاكتئاب مما يزيد من قدرة المريض على المقاومة. ولا يُلجأ إلى العلاج الكهربائي إلاّ في حالات الاكتئاب الشديدة المصاحبة للوسواس، ويفيد العلاج النفسي السلوكي، والسلوكي المعرفي. ومن الطرق النفسية التي استخدمها المؤلف في علاج حالات الوسواس القهري:

١ ـ دراسة تاريخ حالة المريض (Case History) والتشخيص الفارقي.

٢ ـ سمات الشخصية قبل المرض (Premorbid Personality).

٣ ـ العلاج السابق الدوائي، ولدى المطوعين ورجال الدين.

٤ ـ إرشاد أسرة المريض لتحقيق التعاون والتكامل في العلاج.

٥ ـ تحديد الخط القاعدي لسلوك الوسواس (Baseline) ورصد السلوك الوسواسي.

٦ ـ العلاج النفسي الاستبصاري (Insight Psychotherapy).

٧ ـ العلاج النفسي السلوكي ـ المعرفي ـ التدعيمي.

٨ ـ دحض الأفكار الوسواسية (Thoughts Disputing).

٩ ـ وقف الأفكار الوسواسية (Thoughts Stopping).

١٠ ـ طريقة كتابة الأفكار الوسواسية وتكرارها لدرجة التعب (Negative Practice).

١١ ـ طريقة التعريض الإغراقي التخيُّلي (Imaginal Flooding Exposure).

١٢ ـ منع الاستجابة الوسواسية (Response Prevention).

١٣ ـ طريقة محاكاة الآخرين بسلوكهم (Modeling).

١٤ ـ طريقة تشتيت الانتباه.

١٥ ـ طريقة التحصين المنظم (Systematic Desensitization).

١٦ ـ رصد الأفكار الوسواسية وإعادة التقييم بعد العلاج.

١٧ ـ يمكن في بعض الحالات استخدام الاسترخاء وأجهزة التغذية الراجعة الحيوية.

الهوس والاكتئاب (اضطرابات المزاج)
Mania and Depression (Mood Disorders)

١ ـ أعراض الاكتئاب الرئيسي (Major Depression)

وهذه الأعراض هي:

١ ـ مزاج مكتئب هابط معظم النهار وكل يوم تقريباً، ويكون البرهان على ذلك إما وصف المريض لحالته الشعورية، أو من خلال الملاحظة.

٢ ـ اهتمام ضعيف بالأمور الحياتية والشخصية مقارنة إلى ما كان عليه المريض سابقاً قبل الإصابة بالاكتئاب، في معظم الأيام.

٣ ـ تناقص كبير في الوزن عندما يفقد شهيته نحو الطعام، أو على العكس زيادة الوزن بسبب زيادة الشهية للطعام.

٤ ـ أرق أو فرط أرق كل يوم تقريباً.

٥ ـ هياج نفسي حركي، أو تثبيط نفسي حركي كل يوم تقريباً.

٦ ـ الشعور بالتعب وفقدان الطاقة.

٧ ـ الشعور بضعف قيمة الذات أو مشاعر الذنب المفرطة.

٨ ـ تناقص القدرة على التفكير والانتباه، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات.

٩ ـ أفكار اجترارية راجعة تدور حول الموت، مع أفكار انتحارية راجعة...

ويجب أن تستمر الأعراض وبشكل واضح لأسبوعين، ويجب أن تتوفر خمسة أعراض على الأقل، وتؤثر الأعراض على وظائف حياة الفرد، ويجب أن لا تكون ناتجه عن تعاطي المخدرات أو مرض عضوي عام مثل ضعف إفراز الدرقية... وأن لا تكون الأعراض ناجمة عن الإصابة بكارثة أو فاجعة كموت عزيز، ويجب أن تستمر أكثر من شهرين.

والمريض في هذا النوع من الاكتئاب يصحو صباحاً وهو في حالة انقباض، وهبوط في المعنويات، وقد يبكي المريض، أو يصرخ، مع شيء من الرعب والخوف، وتضخيم الأمور، وشك ووسواس، وأفكار الحوادث، والموت، والقتل، والإصابة. ويتردد المريض على الأطباء العضويين من دون فائدة، وقد يشعر المريض بصداع، ودوار، وضيق تنفس، وصعوبة في الهضم، وانتفاخ البطن، وآلام الساقين والمفاصل، مع هذاءات عدمية...

٢ ـ الاكتئاب العصابي (Neurotic Depression) التفاعلي

ومن أعراض هذا الشكل من الاكتئاب:

١ ـ مزاج مكتئب معظم النهار وفي أكثر الأيام، وهذا ملاحظ من قبل المريض نفسه، أو من قبل الآخرين، ويستمر لمدة سنتين على الأقل.

٢ ـ وجود عرضين أو أكثر من الأعراض التالية أثناء الاكتئاب.

أ ـ ضعف الشهية للطعام أو الشراهة للطعام.

ب ـ الأرق أو فرط الأرق.

جـ ـ طاقة منخفضة أو تعب.

د ـ ضعف اعتبار الذات.

هـ ـ ضعف الانتباه أو صعوبة في اتخاذ القرار.

و ـ مشاعر اليأس.

٣ ـ أن ينتفي تماماً وجود عارضة هوسية أو تحت هوسية أو مختلطة، ولا يعتبر ذلك إذا كان السبب مادة دوائية، أو مرضاً طبياً، أو تأثيرات فسيولوجية.

٤ ـ تسبب الأعراض كرباً سريرياً، أو تضطرب الوظيفة المهنية أو الاجتماعية...

٣ ـ حالات الهوس (Mania)

١ ـ من أعراض الهوس مزاج متهيِّج، صلف، متعاظم، مريض، يدوم لمدة أسبوع على الأقل.

٢ ـ تظهر في مدة الاضطراب ثلاثة أو أكثر من الأعراض التالية:

ـ تقدير ذات متعاظم لدرجة توهم العظمة.

ـ تضاؤل مدَّة النوم والحاجة إليه.

ـ هروب الأفكار وتلاحقها في ذهنه.

ـ قابلية تشتت الذهن.

ـ كثرة في الكلام والثرثرة.

ـ تزايد النشاط الموجه نحو هدف ولكن غالباً لا يستمر عليه.

ـ الانخراط المفرط في نشاطات سارة.

ـ يؤثر الاضطراب على الوظائف الاجتماعية والمهنية وفي العلاقات مع الآخرين.

ـ لا تكون الأعراض بسبب دواء، أو تأثيرات فسيولوجية، أو مرض عضوي.

٤ ـ أعراض ما تحت الهوس (Hypomanic Disorder)

١ ـ فترة متميزة من مزاج متهيِّج، متفاخر، متعاظم، تدوم أربعة أيام على الأقل، وتختلف بشكل واضح عن المزاج العادي غير المكتئب..

٢ ـ خلال مدة اضطراب المزاج تستمر ثلاثة أو أكثر من الأعراض التالية:

(أربعة أعراض إذا كان المزاج متهجياً).

ـ تقديم متعاظم للذات لدرجة توهم العظمة.

ـ تضاؤل الحاجة إلى النوم (لا ينام المريض أكثر من ثلاث ساعات).

ـ الثرثرة في الكلام أكثر من المألوف.

ـ هروب الأفكار وتزاحمها في ذهن المريض.

ـ تشتت الانتباه.

ـ تزايد النشاط الموجَّه نحو هدف ولكن غالباً لا يستمر عليه.

ـ الانخراط المفرط في نشاطات سارَّة قد يترتب عنها نتائج مؤلمة مثل

الإفراط في الاهتمامات الجنسية، أو تبديد المال في شراء أشياء غير ضرورية.

- هذه الأعراض تكون واضحة لدى الآخرين.
- لا تسبب الأعراض تأذياً هاماً أو كبيراً في الوظائف الحياتية، كما أنها لا تحتوي على سمات ذهانية.

٣ - لا تكون الأعراض بسبب تأثيرات فسيولوجية مباشرة لدواء، أو مادة مخدِّرة، أو مرض طبي عام.

٥ - ذهان الهوس والاكتئاب (Manic - Depressive Psychosis)

أعراض الذهان المختلط (Mixed) يجب أن تشاهد كل يوم تقريباً وفي مدة لا تقل عن أسبوع واحد. إن اضطراب المزاج هو شديد لدرجة أنه يؤثر في الوظائف الحياتية (المهنية، والأسرية، والاجتماعية، والدراسية...) ويؤثر في العلاقات مع الناس أو يستدعي العلاج في المستشفى لمنع المريض من إيذاء نفسه أو إيذاء الآخرين. وهذا النوع من الاضطراب تتناوب فيه دورات متكررة من الهوس والاكتئاب. وهذا الاضطراب يأخذ عادة الشكل التالي:

- نوبات هوس بنسبة (٣٠٪) تقريباً.
- نوبات اكتئاب بنسبة (٤٥٪).
- نوبات مختلطة، هوس واكتئاب معاً، بنسبة (٢٥٪).

وقد يتخلل الاضطراب لحظات من الهدوء النفسي أو من الصحة النفسية، وتختلف فترة كل دورة عن الأخرى، فقد يدور الدور بضعة أيام، وقد يستغرق عاماً كاملاً، وقد لوحظ بأن دور الهوس غير المعالج لا يدوم أكثر من ستة أشهر، ودور الاكتئاب لا يدوم أكثر من تسعة أشهر، كما لوحظ بأن أدوار الهوس أقل من أدوار الاكتئاب. وقد تختلط بعض أعراض الهوس بأعراض الاكتئاب كما في حالات الاكتئاب الباسم (Smilling Depression)، وعادة تكون بدايات المرض فجائية، وتنتهي الدورة في حدود ستة أشهر بشكل تلقائي أو بسبب العلاج، وحالات الانتكاس متوقعة. وفي دورة الهوس يجب السيطرة على النشاط النفسي - الحركي الزائد، ويمكن ذلك

عن طريق إعطاء مادة كلوربرومازين (Chlorpromazine) أو عن طريق المسكنات، ويفيد العلاج بالكهرباء (.E. C. T)، والعلاج النفسي ضروري، ويجب إبقاء المريض تحت المراقبة خشية الانتكاس، أو إيذاء الذات، أو محاولة الانتحار، كما تعطى مضادات الاكتئاب. (راجع كتاب «الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية» للمؤلف، دار القلم، بيروت (١٩٨٣)).

اضطراب الفصام العقلي
(Schizophrenia)

الفصام مرض ذهاني عقلي نجد الفرد ينسحب من واقعه، مع أوهام (Delusions)، وهلاوس (Hallucinations)، وكلام مشوَّش غير واضح، واضطراب في الإدراك، ونرجسية، وجنسية مثلية، وسلوك مضطرب كاتاتوني (Catatonic) وهذاءات اضطهاد وعظمة (Paranoid)، بالإضافة إلى أعراض سلبية مثل تبلُّد العاطفة، وسطحيتها وفقدان الإرادة (Avolition)، ويصاحب ذلك اضطراب الوظيفة المهنية والاجتماعية مثل العمل، والعلاقات البينشخصية، أو العناية بالذات، أو الدراسة. . . ويجب أن تستمر الأعراض لمدة لا تقل عن ستة أشهر، وفي ضمن هذه المدة يجب أن تستمر الأعراض من دون انقطاع لمدة على الأقل شهر واحد، أو أقل من شهر، إذا كان المريض يعالج (أوهام، وهلوسات، وكلام مشوش، وسلوك مضطرب كاتاتوني (شمعي، أو تخشبي)). ويجب عند التشخيص الفارقي نفي تشخيص اضطراب المزاج المصحوب بسمات ذهانية وكذلك نفي الاضطراب الفصامي (Schizoaffective)، لعدم وجود اكتئاب رئيسي أو هوس، أو عوارض مختلطة. . وكذلك يجب نفي وجود مرض طبي عام، أو اضطراب ناجم عن المخدرات، وهناك نماذج للفصام:

١ ـ الفصام البارانويدي (Paranoid)، حيث نلاحظ المريض ينشغل بواحد أو أكثر من التوهمات أو الهلاوس السمعية المتكررة، ولا يوجد كلام مشوش، أو سلوك جمودي، أو عاطفة ضحلة أو غير ملائمة.

٢ ـ فصام كاتاتوني (تخشبي أو جمودي)، ومن أعراضه جمود حركي يأخذ صورة الجُمدة (Catalepsy) أو الذهول، أو نشاط حركي مفرط لا معنى له، سلبية مع شكوك كبيرة ومقاومة لجميع التعليمات، والمريض يبقى في وضعية متصلبة ضد جميع المحاولات للتخلِّي عن ذلك، أو الخرس

التام. ويلاحظ شذوذات لحركة لاإرادية حيث يتم اتخاذ وضعيات غريبة وحركات نمطية، مع صدى لفظي (Echolalia).

٣ ـ فصام المستخلف (Residual Schizophrenia)، ونلاحظ فيه غياب الأوهام البارزة، وغياب الهلوسات واضطراب الكلام، والسلوك الجمودي، وهناك دلالة مستمرة على وجود يشير إلى توافر الأعراض السلبية، أو عرضين من أعراض الفصام مثل المعتقدات الغريبة، والإدراك غير العادي، والمريض بإمكانه الحفاظ على توافقه الاجتماعي.

٤ ـ الفصام الوجداني (Schizoaffective)، ويلاحظ وجود مدة مستمرة غير متقطعة من المرض يتخللها إما عارضة اكتئابية، وعارضة هوسية، أو عارضة مختلطة مع أعراض الفصام الرئيسية (أوهام، هلاوس، كلام مشوش، سلوك تخشبي، وتبلد العاطفة وسطحيتها، وفقدان الإرادة). وفي الفترة ذاتها من المرض نجد الأوهام والهلاوس تدوم لمدة أسبوعين على الأقل، ولن تكون أعراض اضطراب المزاج (الهوس والاكتئاب) غائبة.

٥ ـ الفصام غير المحدد أو غير المتميِّز (Undifferentiated)، وهو نموذج من الفصام نجد فيه كافة أعراض الفصام النموذجية عدا معايير النماذج الفرعية للفصام مثل البارانويدي (الزورائي) والكاتاتوني، والمضطرب (Disorganized).

وتعالج حالات الفصام بمضادات الذهان، وهناك عدة عوامل تؤثر في العلاج والشفاء مثل:

١ ـ عمر المريض، بحيث كلما ظهر المرض في سن مبكرة ضعفت فرصة الشفاء.

٢ ـ كلما كانت القدرة العقلية (الذكاء العام) أكبر كانت فرصة الشفاء أكبر.

٣ ـ تزداد نسبة الشفاء لدى المرضى الذين يميلون إلى البدانة وتضعف لدى ذوي الأجسام الواهنة.

٤ ـ يتحسن المريض إذا كانت شخصيته قبل المرض سوية (غير عصابية أو انطوائية...).

٥ ـ تزداد نسبة الشفاء عند بدء المريض (علاج مبكر).

٦ ـ التاريخ العائلي المشحون بحالات عصابية وفصامية يضعف فرصة المريض للتحسن أو الشفاء.

٧ ـ الوسط الاجتماعي الأسري المحيط بالمريض والمضطرب يؤخر من فرصة الشفاء.

ولا بد من التشخيص الفارقي، وإدخال المريض إلى المستشفى في حالة عدم استبصاره بأعراضه، وفي حالات الفصام الحاد والكاتاتوني، وعندما يحاول المريض الانتحار أو أن يؤذي نفسه، وفي حالة العدوان على الآخرين، وعندما يرفض الطعام والشراب، وتكون حالته الاجتماعية سيئة. وكذلك يدخل المريض المستشفى في حالة الهيجان الشديد، أو حالة الغيبوبة، أو الانعزال المفرط. ويفيد العلاج الدوائي، والعلاج النفسي (التحليلي والجماعي)، وكذلك العلاج الأسري، وفي بعض الحالات يستخدم العلاج بالكهرباء، وبالجراحة.

اضطرابات النوم (Sleep Disorders)

من هذه الاضطرابات ما يلي:

١ ـ عسر النوم (Dyssomnia)، أو كما يسمى في كتاب (DSM - IV) الأرق الأولي، وهو الصعوبة في الدخول في النوم والاستمرار فيه في مدة تقل عن شهر واحد، ويسبب كرباً، وإعاقة للوظائف الحياتية للفرد. ولا يحدث هذا الاضطراب بسبب قلق معمم، أو اكتئاب، أو صرع ليلي، أو مشاكل النوم الناجمة عن التنفس... ولا يكون بسبب مادة مخدرة أو دواء أو بسبب مرض طبي.

٢ ـ فرط في النوم (Hyper Somnia)، أي فرط في النوم يدوم لشهر واحد، على الأقل، ويسبب كرباً، وإعاقة لوظائف الحياة لدى المريض.

٣ ـ الأحلام والكوابيس المزعجة (Nightmare Disorder)، حيث يصادف المريض استيقاظات متكررة من فترة النوم الرئيسية مع تذكر مفصَّل لأحلام مرعبة وقوية، وعادة تتضمن الأحلام تهديدات بالبقاء، وللأمن، ولاعتبار الذات. وتحدث هذه الأحلام في النصف الثاني من النوم (أي مرحلة النوم

النقيضي)، يضاف إلى ذلك الرعب الليلي (Sleep Terror) حيث يستيقظ الفرد بشكل مفاجئ، مع خوف، وصراخ، ورعب، مع علامات إثارة الجهاز العصبي الذاتي، مثل تسرع القلب، وتسرع التنفس، والتعرق... مع عدم الاستجابة لتسكين الأعراض وطمأنة المريض، والمريض لا يتذكر شيئاً من الحلم. يسبب كرباً، ويؤثر على وظائف الفرد الحياتية.

الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات على العقل
(Alcoholism and Drug Addiction)

الفرد قد يلجأ بسبب الضغوط النفسية، وحالة القلق والخوف والتوترات، وأعراض ما بعد الشدَّة الصدمية، وكذلك معاناة المشاكل والآلام، إلى الإفراط في التدخين، أو إلى تعاطي الكحول أو المخدرات، أو المؤثرات العقلية التي من شأنها أن تخفف من هذه الضغوط وتساعد الفرد على الهروب من واقعه المؤلم أو نسيان مخاوفه وآلامه وذكرياته الصادمة. وتعاطي هذه المواد الكحولية والمخدرات تؤدي بالفرد إلى الاعتماد الجسدي والاعتماد النفسي، بحيث يصعب على الفرد التخلي بسهولة عن إدمانه، وفي حالة التوقف تظهر لديه أعراض سحب المادة (Withdrawal Symptoms). ويتطلب الإدمان من المريض تعاطي مقادير متزايدة من المادة وذلك للحصول على التأثير المطلوب. وأعراض الانسحاب هذه مثل الرجفان، والرعشة والتعرق، والدوخة، وخفقان القلب، والأرق، وفقدان الشهية، آلام في الصدر، صداع، هلاوس، غثيان، تقيؤ، ارتفاع درجة الحرارة، تشنجات، تشوش عقلي، خلل حسِّي، اضطراب الذاكرة، الموت أحياناً... إلخ. وتدوم هذه الأعراض لمدة (٣ ـ ٨) أيام بعد التوقف عن تعاطي المادة. وتختلف أعراض سحب المادة من مادة إلى أخرى، وتصنف منظمة الصحة العالمية (WHO) المواد الكحولية والمخدرات والمؤثرات العقلية بـ:

١ ـ المواد الكحولية وأنواع الخمور.

٢ ـ مسكنات الألم، وهي مجموعة الأفيونات المشتقة من الأفيون.

٣ ـ المواد المفرحة أو المنشطة مثل الحشيش (Marihuana)، والكوكائين

(Cocaine) والأمفيتامينات (Amphetamine) وهي مواد منشطة ومنبهات نفسية، مثل الريتالين، والميثدرين، والبنزدرين..

٤ ـ مركبات الباربيتورات مثل العقاقير المنومة (Hypnotics) والعقاقير المهدئة (Tranquilizers) أو المسكنة (Sedative)، وأهم هذه المركبات أميتال الصوديوم (Sodium Amythal) واللومينال، والدورميل وغيرها.

٥ ـ مركبات الميبروبامات (Meprobamates) وهي من المهدئات، وتشبه في تأثيرها الباربيتورات وهي مثل الديازيبام، والفاليوم، والليبريوم..

٦ ـ عقاقير الهلوسة (Hallucinogens) وأهمها: .L. S. D، والمسكالين، الديتران، والسيرنيل، والبسيلوسيبين...

٧ ـ وهناك أيضاً مادة القات (Cathine) وهي مبنهة للجهاز العصبي تستعمل في اليمن والصومال والحبشة..

٨ ـ التبغ، ويستخلص منه مادة ألنيكوتين.

٩ ـ الشايين، والكافئين.

١٠ ـ شم الغازات والمواد الغروية، ومشتقات الصمغ والبنزين، والأسيتون، وهناك استنشاق لغاز البوتان، وطلاء الأظافر، وغيرها من المؤثرات العقلية.

ويكون العلاج بالأدوية المضادة للتسممات، وكذلك العلاج النفسي الفردي والجماعي، والعلاج الديني، والعلاج التأهيلي بالعمل، والعلاج بالإبر الصينية، والعلاج النفسي السلوكي والمعرفي. ويتم العلاج داخل المستشفى وتحت إشراف طبي، مع متابعة المدمن بعد الشفاء في المشفى النهاري، وفي المجتمع خشية الانتكاس.

المخدرات كسلاح سياسي

استعملت المخدرات قديماً وحديثاً كسلاح ضد الأعداء والجنود، وذلك لسلب إرادة الأفراد والسيطرة على إرادتهم ومعنوياتهم، كما استعملت المخدرات كوسيلة من أساليب الترويض النفسي وغسيل الدماغ للأسرى والأعداء، ومن أجل تنفيذ الاغتيالات والجرائم للخصوم السياسيين. وكثير من الدول في العالم، مثل بريطانيا واليابان، اتخذت المخدرات كوسيلة

لتحقيق أغراضها السياسية. لقد استخدمت اليابان الأفيون في حربها ضد الصين في الحرب العالمية الأولى، واتخذت بعض الدول المخدرات كمبرر لإعلان الحرب، كما في الحرب بين بريطانيا والصين بين عامي (١٩٤١ ـ ١٩٤٢)، وكانت بريطانيا تريد تدمير الشعب الصيني وتخدير الشعب وخلق مجتمع من المدمنين. وشاع استخدام الأفيون في الحرب العالمية الأولى لدى الإنكليز الذين أعطوها لخيول سلاح الفرسان وللبغال من أجل أن تتمكن هذه الحيوانات من جر المدفعية الثقيلة، وذلك بعد أن شرد عدد منها بسبب الأصوات المزعجة للمدفعية، وكذلك نشر البريطانيون الأفيون بين الفلاحين المصريين (السخرة) الذين كانوا في الجيش البريطاني، وذلك لسلب إرادتهم وامتصاص سخطهم، والمستعمرون كافة استخدموا المخدرات لافساد العلماء، والمهرة، وذوي القدرات، وكذلك إفساد شريحة الشباب، وهو سلاح رخيص الثمن وسهل الانتشار. وتشير الدراسات إلى أن ثلثي المحاربين الأمريكان في فيتنام عادوا إلى أمريكا مصابين بعادة الإدمان، كما أن الصهاينة استخدموا المخدرات ضد الأمة العربية وخاصة في مصر. لقد زرع الصهاينة الحشيش وصنعوا المخدرات ونقلوها إلى العرب في فلسطين والأردن ولبنان ومصر، وكان سلاحه الجوي في عامي (١٩٦٧) (١٩٧٣) يلقي المخدرات في البحر أو في الأماكن الريفية مستغلاً التيارات البحرية في نقلها إلى الشاطئ، كما أن مركز المخابرات (الموساد) يعتمد في عمله على تجارة المخدرات لتغطية مصاريف أعماله، وفي عام (١٩٩٦) كشفت الجهات المصرية عن سماسرة صهاينة يبيعون المخدرات وينشرون المواد المهلوسة بين طلبة الجامعات والشباب، ومن بين هذه المواد ما أشيع عنه (باللبان الجنسي)، كما استعمل الأميركان والبريطانيون المخدرات والحشيش في أفغانستان للتجسس ولتدمير القيم والأخلاق والدين... وما زالت محاولات زرع ونشر المخدرات والحشيش سارية المفعول حتى الآن. ومن المؤسف أن معظم الدول العربية والإسلامية، مثل مصر والمغرب ولبنان، ودول الخليج العربي، تنتشر فيها تجارة الكحول والمخدرات وغيرها.

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الفصل الرابع
الإعداد النفسي

الفصل الخامس
الحرب النفسية والاضطرابات النفسية

الفصل السادس
الأمراض النفسية

الموضوع	الصفحة

المكتبة النفسية

* المرشد الصحي النفسي لتعليم التكيُّف السلوكي للأولاد ..... د. محمد الحجار
* العلاج السلوكي للتوتر والغضب .... د. محمد الحجار
* عالج مشكلاتك النفسية بنفسك .... د. محمد الحجار
* الوجيز في فن ممارسة العلاج النفسي ـ السلوكي .... د. محمد الحجار
* التخلُّف الدراسي وصعوبات التعلُّم ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد
* التبوُّل اللاإرادي لدى الأطفال ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد
* مشكلات المراهقة والشباب ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد
* دليل المعلم لتشخيص صعوبات التعلُّم ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد
* الأمراض النفسية ـ جسدية (أمراض العصر) ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد
* العلاج اللادوائي لارتفاع الضغط الدموي الأساسي .... د. محمد الحجار
* الأمراض النفسية المعاصرة .... د. مطيع رئيف سليمان
* سيكولوجيا الأطفال .... د. رأفت محمد بشناق
* العلاج التنويمي السريري .... د. محمد الحجار
* تشخيص الأمراض النفسية .... د. محمد الحجار
* قراءات في علم النفس الإسلامي .... ماهر سقا أميني
* تربية الأبناء (إسلامياً وعلمياً) .... محمد أحمد زناتي
* علم النفس العسكري ....أ. د. فيصل محمد خير الزرّاد

الرقم: 524 - 10

يتفاوت البشر في قدراتهم ومواهبهم وأساليب استجاباتهم لطوارئ الحياة، فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له. والجندية من أشرف الأعمال، لما يفرضه واجب الجندي عليه من أعمال لا يستطيع كل الناس تأديتها. ولذلك نجد الدول تولي هذا القطاع اهتماماً خاصاً، يبدأ من اختيار العسكري المؤهَّل جسمياً وعقلياً وعاطفياً للدفاع عن وطنه والتضحية بنفسه في سبيله، ويلي ذلك: الإعداد الكامل، إن لجهة التدرب والتعلم على استخدام السلاح، أو لجهة الإعداد النفسي والعقلي والعاطفي، لرفع الروح المعنوية التي تشكل أهم عامل في كسب المعركة.

وقد جمع مؤلف الكتاب بين العلوم العسكرية، والعلوم النفسية، والغيرة على الوطن والعقيدة، فضمَّن كتابه هذا ماهية علم النفس العسكري وأهميته، وتقويم الجنود واختيارهم، والمعنويات ودورها في كسب المعركة، والإعداد النفسي، والحرب النفسية، والاضطرابات والضغوط النفسية.

لهذا لا تقتصر ضرورة هذا الكتاب على العسكريين من دون غيرهم بل هو ضروري لكل مثقف ولكل سياسي ولكل شاب، ونظنه من الكتب النادرة في المكتبة العربية.

الناشر

ISBN 978-9953-18-476-0
9789953184760